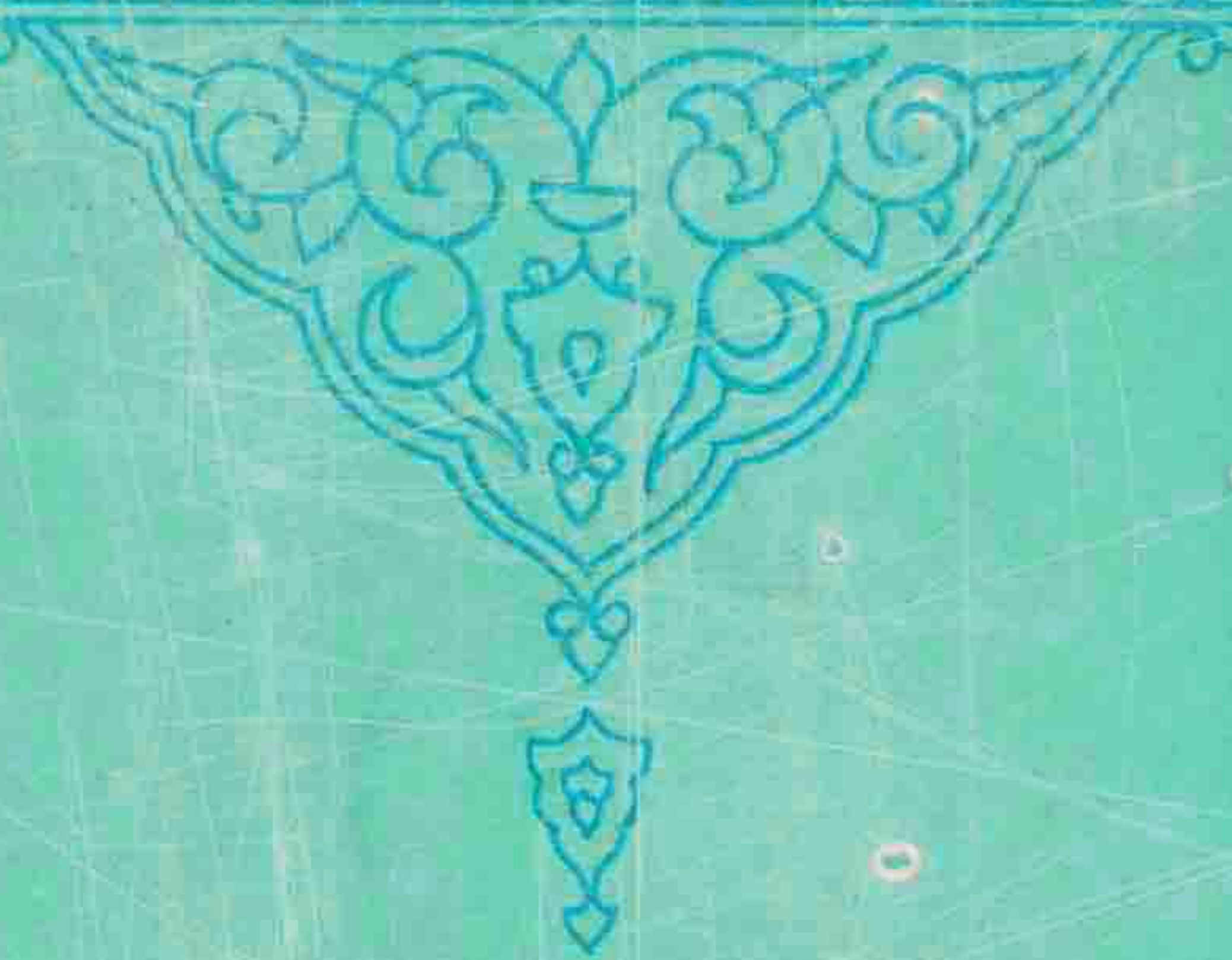


عبد اللطيف بن علي السلطاني

Badir

سبيلك

العقيدة الإسلامية



الطبعة الأولى

1402 هـ - 1982 م

نشر



عبد اللطيف بن علي السلطاني

في سبيل العقيدة الإسلامية

دار البیت

عبد اللطيف بن علي السلطاني

في
سبيلك

العقيدة الإسلامية

الطبعة الأولى

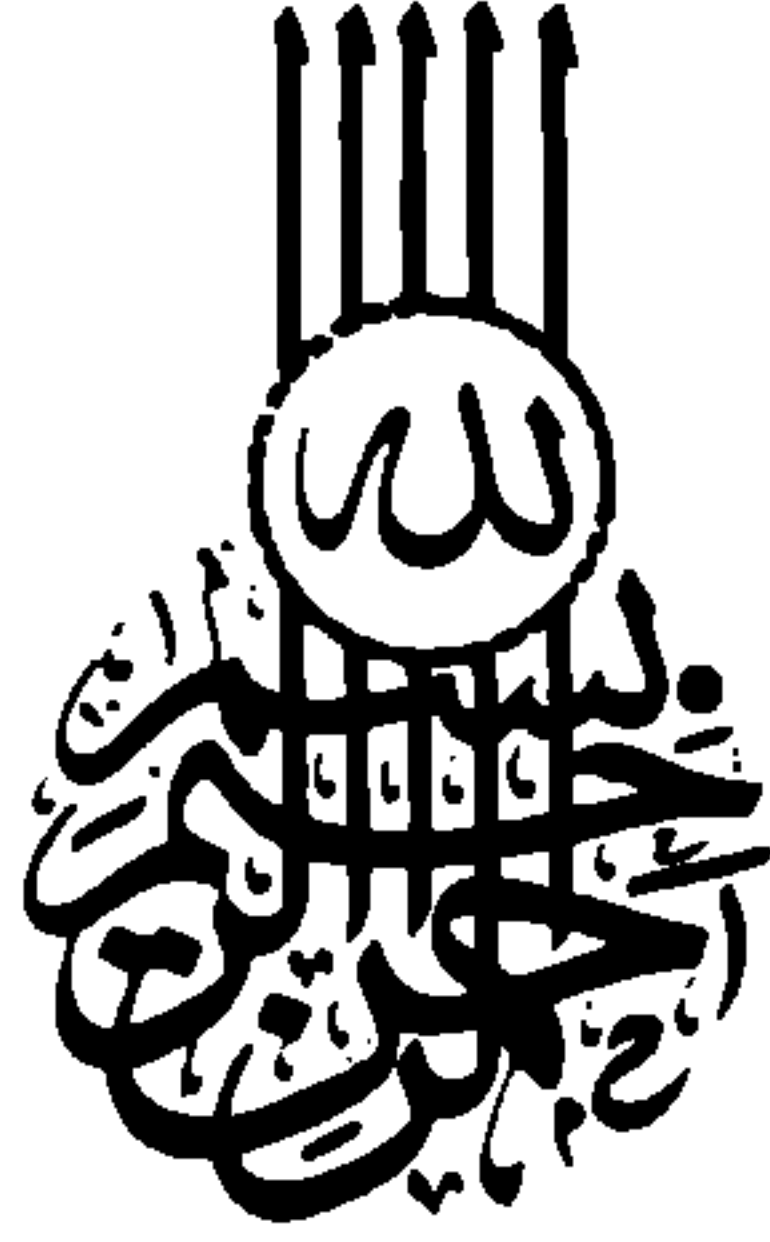
1402 هـ - 1982 م

نشر



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الإفْسَاح



إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا

الآية 96 من سورة مريم عليها السلام

جمعت هذه الآية بين الايمان بقواعده في قوله
آمنوا وبين الاسلام بقواعده في قوله وعملوا الصالحات.

الدعاء

إلى أزواج المعذبين والمحرّمين في مجتمعتهم
الإيسلوي،

إلى كل مؤمن بسنة كامل في إيمانهم،

إلى كل مسلم صادق في إيمانه،

إلى الفقراء الفقير المستعبدين في كل مكان

أهدي كتابي هذا

ليثبتوا ويثبتوا فسوق أرضهم أقدارهم،

من أجل الحق والحققة الإيسلامية،

وليفتحوا أبصارهم على ماضيهم، وينكروا

بالإسلام بصائرهم.

المؤلف

توجيه وارشاد :

الحمد لله ولى المؤمنين ومسبغ النعم على الخلق
أجمعين ، فمن شكرها وأدى حقها عد في جماعة المؤمنين ،
ومن جحدتها وأنكرها وكفر بها حشر في زمرة الاغبياء
الجاهلين والجاحدين الكافرين

والصلاة والسلام على امام المرسلين ، وخاتم رسل الله
أجمعين محمد بن عبد الله أكرم رسل الله المعظمين
وعلى آلهم ومن تبع هداهم ، واستمر في سيره على
الطريقة المثلى الى يوم الدين ، ولم يخرج عنها الى بنيات
الطريق بل حافظ على السير في خطها المستقيم
عاملا ، وناصرا ، وداعيا ، ومدافعا ، فكان من الناجين ،
فاله وحده ناصر الحق وأهله ، على الباطل وجنده ،
وهو القائل «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» والقائل
« أَللَّهُ وَبِيِّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ،
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ
إِلَى الظُّلُمَاتِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

وبعد فان من حق الله الخلاق العليم على عباده ان
يعبدوه وحده ولا يشركوا معه غيره ، وان يطيعوه
ولا يخالفوا له أمرا ولا نهيا ، ولا يخافوا سواه ، أولئك

هم الذين استنارت عقولهم بنور التوفيق فوهبوا حياتهم وكل ما يملكون الى ما يفرس في نفوس عباد الله حبه وطاعته وذلك بارشادهم الى سلوك صراط الله المستقيم والسبيل الواضح القويم وهو دين الله الاسلام الذي لا يقبل من أحد غيره « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ». اذ هو دين الله الى البشر اجمعين وشريعته السمحة البينة عقيدة وعملا فقد كثرت عقائد الزيغ والضلال والبهتان وانتشر دعواتها في كل مكان ، يصدون الناس عن سبيل الله ويوجهونهم شطر سبيل الشيطان وقد وجدوا في بعض الضالين من أعانهم على نشر باطلهم في المجتمعات وبلغ بهم هذا الى المجتمعات الاسلامية، والاطراف الطلابية، والمفروض فيهم ان يكونوا على جانب من الحذر والنباهة ، ولكنهم اغتروا بمعسول الكلام المزيف والبس عليهم الامر وانطقت عليهم الحيل وانها - والله - لسبة شنيعة ، وكارثة خطيرة لحقت بشعبنا المسلم وشبابنا المرجو للمهمات بعد ان استرد مجده السليب ووطنه العزيز من يد الفاصب الغريب ذلك هو شعبنا الجزائري الذي ما عرف في تاريخه القديم الا بصلافة عوده وقوة عقيدته الاسلامية حتى في احلك ليالى الاستعمار فقد كان له رصيد وافر من ذخيرة عقيدة التوحيد ، فاستنار في حياته بنور الاسلام وعقيدة التوحيد ، وبهذا - فقط - حافظ على شخصيته في دينه وعقيدته ،

وعلى كل مميزاته ومميزات شخصيته الاسلامية من اخلاق فاضلة ، وسجايا حميدة ذات الطابع الاسلامى ، من حياء وكرم ، وغيره ونجدة فى الملمات والمهمات ، ولم يندمج فيما حاط به من جماعات الضلال ، وتمسك بحبل الله المتين ، واعتصم به وعقد العزم على ان لا يسلب يده منه مهما نزل به ما نزل من صارفات الايام واحداثها فنجا - والفضل لله - من كل محاولات المستعمر الكثيرة ، التى كم حاول واجتهد فى صرفه عن دينه وعقيدته فباء فى كل محاولاته بالفشل والخيبة واستمر شعبنا يقاوم الدخيل بتلك العقيدة الى ان استرد ارضه وشرفه وحرريته من غاصبها الدخيل وحررها من كل شيطان مارد

ومن المؤسف جدا ان تظهر فى اوساط شباب هذا الشعب المسلم شرذمة قليلة حقيرة ادعت انها من رجال العلم الحريصين على نفع الوطن واهله فتفاعل الناس بها وقالوا عسى ولعل ان نرى منها قولا صحيحا وسلوكا سليما غير ان الواقع ابطل هذا التفاؤل واظهر انها ما اتخذت العلم لباسا الا للتدليس وبث الالحاد والبلبلة فى اوساط الشباب - اذ يصعب عليها جنب الكبار المتشبعين بالتعاليم الصحيحة الى ضلالها والحادها - فهى مسخرة ومسيرة وماجورة من قبل اسيادها الملاحدة الذين يريدون مسح شباب الامة الجزائرية المسلمة ووجدت مساندة من بعض ابناء هذا الوطن ممن تغذوا بلبن المستعمر الكافر ، وهم فى حقيقتهم لا دين لهم ،

ولا وطنية تصممهم ولا ضمير يؤنبهم ولا هدف لهم سوى حب الشهرة واشباع الشهوات ، وتحريف الشباب الجزائرى المسلم عن المنهج الاقوم وفتح المجال لهذه الشرذمة فأطبت فى الكذب والتزوير والبهتان ، وأصدرت منشورات لطخت بياضها بسواد الكذب والبهتان كما لطخت بياض صحائفها فجاءت تلك الوريقات المملوطة « وخذة » وكارثة اصيبت بها امتنا فى شبابها ! ومن العجب والوقاحة انها صارت تعارض نشر الكتب الاسلامية فى وطن الاسلام !! وما فكرت انها فى وطن اسلامى عريق فى اسلامه ، غيور عن معتقداته ، وهى واعوانها ومسيروها والحارسون عليها والراضون عنها فى ذلك شركاء

فالبرغم من تشجيع هذه الشرذمة الضالة ورغم مساندتها المطلقة، فقد خابت فى كل محاولاتها لايقاف تيار الاتجاه الاسلامى فركضت وراء سرايها ما شاء لها الشيطان واعوانه ان تركض وكذبت ما شاء لها الهوى ان تكذب ، وشوشت على المصلين والعباد فى بيوت الله الى ان اطلقت لسانها وأقلامها المأجورة فى أعز عزيز على الامة الاسلامية والى ما فى قلبها من عقيدة التوحيد ، محاولة انتزاعها واقتلاع جذورها ، ظلنا منها ان هذا ميسور وسهل ، ولكن هيهات ثم هيهات !! فقد اصطدمت بالواقع وباعت بالفشل الذريع والخيبة المرة. فتنبهوا أيها المسلمون الى هذا ولا تغفلوا عما يراد بكم وبالوطن العزيز .

فالى شبابنا المسلم الواعى لما يجب عليه هذه
الفصول من حياة قادة التوحيد وأنصار عقيدته ،
والادلاء على الخير واصلاح النفوس وهم ما بين رسول
من رسل الله الكرام عليهم الصلاة والسلام - فقد
أمرنا خالقنا بالتأسى بهم - وبين مؤمن بدعوتهم ، فأخذ
عنهم خالص العقيدة الصحيحة ، وزبدة الايمان الصحيح
فى الصدق والوفاء للعقيدة ، والاقترام بعباده الصالحين ،
فاصبروا - أيها الابناء البررة - على ما يصيبكم فى
سبيل عقيدتكم كما صبروا وستفوزون بالنصر كما
فازوا وكونوا لعقيدتكم الصحيحة تكن لكم ، تمسكوا
بها ودافعوا عنها عدوان الالحاد والملحدين فانكم أنصار
الحق ودعاته وهم انما يدافعون عن الباطل ويدعون
اليه تماما كما كان مشركو قريش يفعلون فى دفاعهم
عن أوثانهم فما أشبه اليوم بالامس ، والليله بالبارحة ،
واثبتوا كما ثبت أسلافكم الاولون فان العاقبة
للصابرين الثابتين والنصر انما يناله الصادقون
المخلصون والهزيمة والخذلان من نصيب المعتدين
الظالمين واجعلوا نصب أعينكم قول الشاعر الحكيم
حين قال

قف دون رايك فى الحياة مجاهدا

ان الحياة عقيدة وجهاد

واذكروا - أيها الابناء - موقف رسول الله - ابراهيم
الخليل - عليه السلام من أجل عقيدته ، التوحيدية ،

حين قال **حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ** فهل تركه ربه للظالمين؟؟ وهل تغلى عنه وتركه ولم ينصره؟ حين ارادوا به كيدا فجعلهم ربه الاخسرين؟ كلا وتفكروا - جيدا - فى موقف أصحاب الاخدود وهم يعرضون على النار الواحد بعد الواحد تلك النار التى أوقدها لهم الظالمون وهل خافوها؟ واعتبروا بصلافة عود الصحابي « بلال » فى عقيدته وظهره تحت سياط مشركى قريش فى حر الظهيرة وفى بطحاء مكة، يريدون أن ينتزعوا منه عقيدة التوحيد ليكفر بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويؤمن باللات والعزى ويكون من المشركين، وهل أجابهم الى ذلك؟ كلا بل أخذ يقول ويردد « **أَحَدٌ أَحَدٌ** » .

لهذا يجب على العلماء أمام هذا الالحاد الذى يتزايد خطره وشره يوما بعد يوم محاولا بث عقيدته الالحادية يجب عليهم اليقظة والانتباه والعمل لدرء هذا الخطر بما يليق به من نشر الكتب التى تقاومه وتبطل عمله اذ هو لا يؤمن برب ولا بخالق ولا ببعث ولا بما يأتى بعده من حساب وجزاء ولا بنار ولا بجنة، ولا بالحياة الاخرى الدائمة، فهو مادي ولا يؤمن الا بالمادة، اذ هو يسعى بكل قواه أن ينجح فى أعماله الاجرامية هذه فعلى العلماء أن يحاربوا الالحاد بجميع أشكاله وأنواعه وأساليبه فنحن مسلمون مؤمنون تؤمن بما جاءنا من عند الله فنؤمن بالبعث وبالحياة الاخرى بعد هذه الحياة

هذا هو توجيهنا لشبابنا ولكهولنا ولشيوخنا
فالسكوت عن الالحاد ودعوته وهى تنشر بيننا، جريمة
كبيرة يقترفها من يسكت عنها ترضية لجانب فلان أو
فلان ، فالحق واحد والاسلام حق والالحاد باطل
(وَالْإِسْلَامُ يَعْزُومُ وَلَا يُعْلَى) متى وجد أنصارا مخلصين
ومؤمنين به صادقين

ونرجو الله ربنا ومولانا أن يقوى ايماننا ويتقبل
منا أعمالنا وأن يثيبنا عليها بقدر اخلاصنا لعقيدتنا
وأن ينصر جند الاسلام جند الحق والهداية والسلام
أينما كانوا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانا كما قال القائل

كتبت وقد أيقنت يوم كتابى
بأن يدي تفنى ويبقى كتابها
فان كتبت خيرا ستجزى بمثله
وان كتبت سوءا عليها كتابها



تمهيد :

قال بعض علماء الاسلام ومنهم (عبد الرحمن ابن مهدي) الذي كان من الملازمين للامام مالك ، كما كان من أعلم الناس بالحديث ينبغي لمن أراد أن يصنف كتابا - دينيا - ان يبدأ بالحديث الصحيح الذي رواه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضی الله عنه وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**) . أخرجه الامامان البخاري ومسلم في صحيحهما ففي هذا الحديث تنبيه لطالب العلم الديني الى تصحيح نيته لان الجزاء على الاعمال انما يكون على حسب نية العامل اذ لا يصح وضوء ولا صلاة ولا صوم ولا جهاد ولا أى شىء من جميع الطاعات الا لمن نوى وقصد انه أراد بعمله طاعة الله عز وجل ، اما اذا تجرد العمل من النية فانه يكون لغوا لا ثواب عليه ولا جزاء فيه اذ بالنية والقصد تتميز الاعمال الدينية عن غيرها من سائر الاعمال ، فالنية عنصر أساسى فى

صحة الاعمال وبطلانها فليس عمل المنافق الذى يحضر
مصلى المسمين ويصلى معهم من غير وضوء - وهو غير
مؤمن بها - كمن يصلحها بنية فعل الواجب الذى أوجبه
الله عليه لانه مؤمن بوجوبها عليه والى هذا تشير الآية
الكريمة وهى قوله تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً) .

وقد جرى بعض العلماء على هذا العمل من تقديم هذا
الحديث على غيره ، منهم الامام البخارى فى صحيحه ، حيث
ابتدأه بالحديث المذكور وقد ذكره فى سبعة مواضع من
صحيحه للمناسبة

ونظرا لكثرة فوائد هذا الحديث وصحته فقد قال فيه
الامام الشافعى - رحمه الله - وغيره هو ثلث الاسلام ،
كما قال انه يدخل فى سبعين بابا من ابواب الفقه
وقال آخرون من العلماء هو ربع الاسلام لما رأوا فيه
من ان اصول الاسلام التى بنيت عليها أحكامه ترجع الى
أربعة أحاديث نبوية أولها حديث عمر هذا (إِنَّمَا
الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) ، وثانيها حديث أبى هريرة رضى الله
عنه (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمُرءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) ، وثالثها
حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه (إِنْ أُلْحَلَّ بَيْنُ
وَإِنْ أُلْحَرَّمَ بَيْنُ) ، ورابعها حديث سهل بن سعد الساعدى
رضى الله عنه (إِزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُعْبِكَ اللَّهُ الْخ) .
وقيل غير هذه الاربعة وقد جمعها الحافظ أبو الحسن
طاهر بن معوذ المعافرى الاشبيلي الاندلسى فقال :

عَمْدَةُ الْبَرِّ عِنْدَنَا كَلِمَاتٌ
أَرْبَعٌ مِنْ كَلَامِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ
إِتَّقِ الشُّبُهَاتِ وَازْهَدْ وَدَعْ مَا
لَيْسَ بِعَيْنِكَ وَأَعْمَلَنَّ بِنِيَّةِ

وقيل قائلها الامام الشافعي وحديث انما الأعمال
بالنيات المذكور حديث صحيح - كما مر - فهو من
الاحاديث التي يدور عليها التكليف الديني ، تعددت
طرق رواياته وكلها تتصل بمن سمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فلم يصح الا من روايته هو عن النبي
صلى الله عليه وسلم واتفق العلماء على صحته لثقة
رواته وتلقوه بالقبول واستخرجوا منه أنواعا شتى
من أصول الاحكام والتوجيه وبه صدر الامام البخاري
صحيحه - كما تقدم قريبا - واقامه مقام الخطبة لصحيحه
حسبما أشار اليه من كتب عليه وشرحه وهذا العمل منه
- رحمه الله - اشارة الى ان كل عمل أو قول لا يراد به
وجه الله فهو لغو وباطل لا ثمرة له ولا فائدة فيه
لا في الدنيا ولا في الآخرة مثل الذي يصلى رياء
وسمعة من حيث لم يقصد بصلاته طاعة الله بفعل
ما أوجبه عليه فان صلاته لا تنفعه ولا تنهاه عن
الفحشاء والمنكر لان هذا من ثمرتها - وان تردد فاعلها
عن المساجد - وكمن يريد - باسم المجاهد وبيطاقته -
ان يكون مجاهدا له من الحقوق ما للمجاهدين في سبيل
الله ، ولم تكن له نية الجهاد في سبيل الله ، أو لم يجاهد

أصلاً فحشر نفسه في زمرة المجاهدين بالرغم مما
وضعه القرآن وبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفصيح العبارة فهو مجاهد - بالسيف - وبالرغم على
الاسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وفي
الوقت نفسه رأيناه لم يستجب لما طلبه منه الاسلام
بفعل ما فرضه عليه وترك ما نهاه عنه من الاستقامة
على شرعه بتحليل حلاله وتحريم حرامه ، والقيام
بواجباته والكف عن منهياته فهو تارك للواجبات
- كالصلاة مثلاً - منتهك للمحرمات - كشرب الخمر
مثلاً - فكيف يعقل أو يتصور متصور انه من المجاهدين
في سبيل الله ، وهذا محال تصوره في الاسلام ، ومن قال غير
هذا فهو جاهل بالاسلام، ولم يفهم أحكام الاسلام أو سولت
له نفسه الافتراء على الله الكذب اذ شتان بين الجهاد
والقتال! و «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ»
هذا هو الحق والصواب حب من حب وكره وكره ،
وما سواه غش في الاسلام والنبى صلى الله عليه وسلم
قال (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) ولا ينبغي لمن لا يفهم أحكام
الاسلام ان يقحم نفسه بين العلماء - ولو لقبه العامة
بالشيخ - لانه يكتسب بذلك اثماً ، ويكون سبة وعارا على
الشريعة الاسلامية وكارثة تنزل بها وعرضة لمسخ
الله الى شر مخاوماته ، فقد كثر ادعاء العلم حتى صاروا
يتكلمون في كل شيء ، ولو فيما لا يعرفون، كما سمعناهم
يتكلمون فيما ليس لهم به علم قال جرير
وَابْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُرِّ فِي قَرْنٍ لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبَزْلِ الْقَعَائِسِ

ولمنزلة حديث عمر المتقدم (**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ** الخ) ولمكانته عند من عرفوا منزلته في التشريع الاسلامي قال الامام عبد الرحمن بن مهدي - المتقدم الذكر - لو صنفت كتابا فيه أبواب لجعلت حديث عمر هذا في كل باب من أبوابه

اما الامام مسلم - رحمه الله - فقد أورده في كتاب الجهاد من صحيحه ، وكأنه أراد بعمله هذا ان يشير الى ان البعض ممن يدعون الجهاد - ولم تكن لهم نية فيه - لا نصيب لهم في ثمراته ولهذا نبههم الى ان النية في العمل هي روحه ومنه، وبدونها فهو جسد ميت بلا روح.

وكلمة - انما - تفيد المحصر كما قال جمهور علماء العربية والاصول وغيرهم حيث قالوا ان لفظه انما موضوعة للمحصر فتثبت المذكور هنا - وهو قبول الاعمال والجزاء عليها اذا عملت مصحوبة بالنية ، وتنفي ما سواها ، فكأنه قال ان الاعمال تحسب وتقبل ويجازى عليها فاعلها اذا كانت بنية ولا تحسب ولا تقبل ولا جزاء عليها اذا تجردت منها، مثل سائر العبادات والطاعات جميعها كما مر، وتفصيل هذا في كتب الفقه والحديث

وبناء على ما جاء في هذا الحديث فان الرسول صلى الله عليه وسلم بين لأُمَّته أنواعا ثلاثة ممن هاجروا من مكة الى المدينة تاركين مكة أرض الشرك - في ذلك الوقت - الى المدينة أرض الاسلام وهم

أ - مهاجر هاجر بنية وقصد تقوية حزب الله ونصره

وتأييد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذه النية
غالب الصحابة رضوان الله عنهم اجمعين

ب - ومهاجر هاجر بنية وقصد كسب الدنيا والمال ،
لان من كان يتعامل معهم من المؤمنين فى مكة هاجروا الى
المدينة فلحق بهم من أجل فائدته الدنيوية ، فلم يسعه
المقام بعدهم فى مكة فلحق بهم لنيل مكاسب دنيوية
لا تعود فائدتها الا عليه وكان يفزوا معهم لينال نصيبه
من الغنيمة

ج - ومهاجر آخر خطب امرأة ليتزوج بها تدعى
(أم قيس) فابت ان تتزوجه ما دام فى مكة ، الا اذا هاجر
الى المدينة فأجابها الى شرطها وهاجر الى المدينة من
أجل الزواج بها وجاء فى الروايات عن الصحابة ان
هذا المهاجر كان يعرف باسم (مهاجر أم قيس) فهذان
الصنفان الاخيران من المهاجرين لم يكونا من المهاجرين
لله لما بينا من انعدام النية فى هجرتهم فلم يفوزا
بثواب الهجرة اذ الهجرة فى الشرع هى الخروج من أرض
الكفر الى أرض الاسلام وفى وقتنا الحاضر انعكست
هذه المعانى فصارت الهجرة تطلق على من هاجر من أرض
الاسلام الى أرض الكفر لمقاصد سياسية وغيرها

جاء فى المحكم الماثورة (لو نفع علم بلا عمل لما ذم
الله سبحانه أحبار وعلماء أهل الكتاب) و (لو نفع عمل
بلا اخلاص لما ذم الله سبحانه المنافقين)

نسال الله العالم بالنيات ان يجعل نياتنا فى أعمالنا
وأقوالنا خالصة له من كل شائبة تفسدها وتحبطها ،
ونرجوه ان يجعلها خالصة لوجهه الكريم أمين .

تقديم :

العقيدة

العقيدة هي قوة عظيمة تحتل مكان الاحساس من الانسان فتهب لصاحبها الايمان بما يعتقد وشدة المقاومة لكل ما لا يتفق مع ما مالت اليه تلك العقيدة وارتضته لنفسها وهذا لتأييد ما عقد عليه صاحبها عزمه واختياره وتحول بينه وبين الضعف والخور والذوبان في كل طارئ جديد ، وهذه الصفة احدى مميزاتنا قال الشاعر المفلح الحطيئة

أولئك قوم ان بنوا احسنوا البناء
وان عاهدوا أوفوا وان عاقدوا شدوا

فالعقيدة مأخوذة من العقد بمعنى اللي يقول القائل عقدت الحبل فهو معقود فهذا في الحسيات واما في المعنويات فمعناها التعهد والالتزام ومن هذا جاءت عقدة النكاح والبيع والشراء وغير ذلك من العهود والعقود والالتزامات والعقد - بالكسر - هو الخيط ينظم فيه الخرز واللؤلؤ وغيرهما .

قال علماء اللغة العربية - في مادتها - عقد يعقد - بالكسر - عقدا وعقودا معناه التزم بالعهد والعقد فيجب عليه الوفاء بما التزمه وعقده وتقول تعاقد القوم على كذا بمعنى تعاقدوا والتزموا به ، ومنه قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) . قيل في تفسيرها هي العهود ، وقيل هي الفرائض التي التزموها وتحملوها بعقيدة التوحيد والاسلام

والعقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك في نظر معتقده كما قال الجوهرى

وفى الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل ، كعقيدة وجود الله عز وجل ، واعتقد كذا بقلبه آمن به وصدق ، واعتقد الامر صدقه وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به واتخذة ديننا فأصحاب العقيدة هم من كانت لهم عقيدة عقدوا عليها قلوبهم فصارت أرواحهم ونفوسهم وحياتهم مبدولة بسخاء فى سبيل عقيدتهم فهم قد اشتروا بها - العقيدة - ما اعتقدوه - ودفعوها فداء وثمانها - وهى الغالية - فى سبيل بقائهم على عقيدتهم التى اعتقدوها وعقدوا عليها حياتهم ورضوا بما دفعوه فيها وذلك بثباتهم عليها وتمسكهم بها من غير ان يلزمهم بها احد أو يجبرهم عليها مجبر ، وهذا هو الايمان بالعقيدة

وهذه فصول جمعتها من ملف حياة أبطال العقيدة الاسلامية الذين ظهروا مع ظهور دين الله الاسلام الخالد

تصلح لتربية النفوس وتوطئتها عليها لكي تخوض معركة الحياة التي تجرى بين الايمان والالحاد ، فهي معارك ضارية من قديم الزمان الى اليوم والى ما بعد اليوم ويلزم مقاومة الالحاد بالعتيدة القوية ، فهي سلاح الانتصار الذى لا يغلب صاحبه جمعتها من قصص القرآن وكتب السيرة التي اهتمت بحياة أولئك الابطال وما نالهم من خصوم الاسلام واسميتها (فى سبيل العقيدة الاسلامية) فهي تتناول مواقف شجاعة وقفها أولئك الابطال فى وجوه أعداء الله والاديان السماوية ، مثلهم مثل كفار قريش الذين وقفوا فى وجه العقيدة الاسلامية والدعوة المحمدية وحاولوا بكل قواهم صد الناس عنها وصرفهم عن الاهتداء بهديها غير ان الله مكن لها فى الارض وثبتها بثبات أولئك المؤمنى على عقيدتهم التى آمنوا بها فلم يرهبهم وعيد ولم يؤثر فيهم عذاب شديد بل صمدوا لكل ذلك صمود الجبال العظام ومنهم الرسل الكرام الذين اختارهم الله لتحمل الرسالة وتبليغ دين الله الى البشر اجمعين وتطهير العقائد من كل ما يخل بعلو مرتبة الانسان على سائر المخلوقات وقد ميزه خالقه بالعقل والادراك للاشياء والموجودات على حقيقتها ومن غير اللائق به ان يخضع لمخلوق قد يكون أقل منه ادراكا وأحرى به اذا كان جمادا او نباتا فان فى هذا الخضوع والطاعة لغير الخلاق العليم اهدارا لكرامة الانسان التى اكرمه بها خالقه الحكيم ورفع منزلته على منازل غيره ، وجعله هو

المتصرف فيها فقد ضل هذا الانسان عن الصراط
المستقيم - ولا زال في ضلاله الى الآن - بالرغم من
المراحل التي قطعها الانسان في ميادين شتى من علوم
وغيرها فجاءت دعوة الرسل والشرائع السماوية لتعود
به الى الطريق المستقيم التي حاد عنها بضلالة فآمن بها
طائفة من هذا النوع هديت اليها فآمنوا بتلك الدعوة
وهي تدعوهم الى توحيد الله الخلاق العليم فايدها
وكانوا من انصارها بالرغم مما حاط بهم من مخاطر
وأهوال تتفتت منها الجبال الصخرية ويزوب منها
صلب الحديد من شدة فظاعتها واهوالها لتكون لنا نعم
العون على ما نلاقه من اتعاب في سبيل حياتنا الاسلامية
من خصوم الاسلام في بلد الاسلام سواء كانوا من
المخارجين عنه بالاصالة أو المنتسبين اليه بالوراثة
فقد كثر منهم التهجم والعدوان على العقيدة الاسلامية
وعلى حاملها فنحن في حاجة ماسة الى امثلة بطولية
صادقة ، مما ضربه للعالم اولو العزم والثبات على العقيدة
والمبدأ من أولئك الابطال الذين هم من الرعيل الاول في
بداية انبثاق نور الاسلام وعقيدة التوحيد ، ففي ماضي
وتاريخنا - والفضل والحمد لله - امثلة رائعة تصلح
لتربية أنفسنا وابتناء زماننا عليها

فندكرهم بهذه الامثلة النادرة في غير ماضى الامة
الاسلامية لقد صرنا نخشى - والله - دروسها
واندثارها بل ونسيانها حيث اننا شاهدنا ولمسنا
وسمعنا بما يجرى في الاوطان الاسلامية من صدود

واعراض ونكران لعقيدة الاسلاف ، ولما أتت به هذه العقيدة - حيث لا أفضل منها في الوجود - ولقطة الدعاة لهذه العقيدة وتفرقهم وليست لهم أسلحة الدفاع العصرية فقد هجمت عليها عقيدة الالحاد والكفر والذبذبة بوسائل العصر وهي تنادى وتقول انها جاءت لمحاربة عقيدة الاسلام الموروثة عن الآباء والاجداد فالسكوت عن هذا الهجوم يعتبر من العقوق الفاضح الذى تلبس به أبناء هذا الجيل بل صرنا نخشى ضياعها حتى من أوساط من يزعمون انهم من زمرة علماء الدين وورثة الانبياء والمرسلين وهنا نتساءل هل سكت الانبياء والمرسلون عن تبليغ دعوتهم ؟ وهل اهلوا دعوتهم التى كلفوا بها ؟ وهل كان فيهم الذى لا يقول كلمة الحق للحق ؟ وهل جرفت تيارات زمانهم الداعية الى تلك العقائد الزائفة التى كانت سائدة فى زمانهم ؟ تلك العقائد التى كانت على شفا حفرة من النار وعلى شفا جرف هار

فنحن - الآن - اذا درسنا التاريخ وقرأناه فانما ندرسه ونقرؤه من نافذة الحروب التى تشن على الاوطان - التراب والحجر والشجر الخ - واذا وجدنا أبطاله انما نمجدهم من زاوية مواقفهم فى وجه الغزاة الفاتحين - ونعتز بهذا - اما من جهة العقيدة والدين والاخلاق ، فذلك أمر تافه فى نظر البعض منا - لا يدخل فى الحساب والحقيقة هى كامنة فى العقيدة والدين ، وقد شاهدنا وعلمنا ان من كان يحيا بدون عقيدة ودين فانه سهل

عليه خيانة وبيع وطنه بابنخس الاثمان ، والشاهد على هذا الذي قدمناه البطل المغوار المرحوم الامير (عبد القادر ابن محيي الدين) فانه انما وقف في وجه الفزاة الاستعماريين حين احتلالهم للجزائر بلباس العقيدة والدين لا بسواهما مما تلوكة السنة القوم اليوم كل هذا مقصود به ابعاد الدين من ساحة الحرب والتحرير وهي نية خبيثة وقصد سيء لا يخفى على أحد

فالامير عبد القادر - رحمه الله - كان عالما دينيا بعقيدته التوحيدية فقيها اسلاميا بفقته في أحكام دينه وأجوبته التي كان يجيب بها سائليه مبسوطة في الكتاب الذي حوى سيرته واعماله (تحفة الزائر) فقد كان في حياته عالما قبل ان يكون أميرا وقائدا ولذا قدمه أهله وبنو عشيرته لقيادة المجاهدين في حربهم للاستعمار وجيوشه فهو من أبطال العقيدة المعروفين بمواقفهم النادرة فاذا ما مجدناه في يوم - ما - فلا ينبغي ان يخفى هذا المعنى علينا فأبطال العقيدة عندنا كثيرون والحمد لله ولم تصدر منهم خيانة ولا ضعف أيام المقاومة كما وقعت من غيرهم ممن لا عقيدة دينية لهم

فمواقف كهذه المواقف الراسخة تقتضى علماء الاسلام الناصحين - اينما كانوا - ان يوحّدوا كلمتهم ، ويقووا صفوفهم ويدعموها بصدق النية والاخلاص في العمل لنصرة العقيدة ولمجابهة هذا التيار الالحادي المهاجم على دين التوحيد ، اذ لو وجدهم أمامه في ساعة الهجوم

لاختفى بدلا من الظهورَ بهذا المظهر الذي ينم على التحدى لعقيدة الامة في وطنها وعلى من كان منهم ضعيفا ان يتغلى عن تلك الذبذبة المشينة التي ظهرت عليهم في هذا العصر فقد ساقتهم الى توهين كلمة الحق التي هي كلمتهم وتقوية صف الباطل والالحاد بسكوتهم وبكل اسف وحسرة فقد رأينا منهم من اظهر عداؤه لدعاة الحق وناصرى العقيدة الاسلامية بل وحتى ان البعض منهم لم يكتف بسكوته حتى أظهر الشماتة والتشفى بسبب ما أصاب بعض الدعاة ويصيبهم من أعداء الحق والعقيدة الاسلامية ، وما ذلك الا لاجراض دنيئة ونفوس مريضة بمرض - ما - كالحسد - مثلا - وهو داء قديم فيهم ، نسأل الله الشفاء لنا ولهم من هذا المرض الخطير ، أو كان ذلك منهم لمصالح ذاتية خوفا من ان تفوتهم بوقوفهم الى جانب الحق وانصاره فضلوا وأضلوا والله وحده يتولاهم بما يشاء فانه يمهل ولا يهمل وهو - وحده - القوى العزيز

فالى حماة العقيدة الاسلامية أمثلة صحيحة من تلكم المواقف التي - ثبتت كركائز للحق اعتمد عليها ، فثبتت أقدامه ودعمتها في أرض الايمان - فنجعلها نصب اعيننا كمصباح منير يرينا ويكشف لنا طريق السلامة والنجاة من مخاطر هذه الحياة ويجنبنا سبل الفواية والضلال ، فانهم - أهل تلك المواقف - هم أهل العقيدة الصحيحة الثابتون عليها بالرغم مما نالهم من أجلها وفي

سبيلها ، فحفظ. لهم التاريخ أروع القصص واسما
الامثلة واصدق الايمان

والعقائد كثيرة ومتنوعة فمنها عقيدة
التوحيد ، وهي عقيدتنا نحن المسلمين ، وهي التي ندين
الله بها

وعقيدة التثليث ، وهي التي طرأت على المسيحية بعد
ان كانت في اول أمرها وفي زمان رسولها عيسى عليه
السلام عقيدة توحيدية

وعقيدة الشرك بالله وفيها تعدد الالهة المعبودة
والمشركون اصناف وأنواع متعددة في اشراكهم

وعقيدة الملاحدة ، التي تنكر وجود الاله بتاتا

وعقيدة التوحيد هي العقيدة الصحيحة وهي الحق
الذي لا ينجو أحد الا بها ، وهي مبنية على توحيد الاله
المخالق لكل شيء والذي تجب طاعته على كل المخلوقين
اذ لا خالق سواه

ونراها في وقتنا الحاضر أصابها شيء من الضعف في
قلوب البعض من المسلمين وهذا بسبب احتكاكهم بغيرهم
ممن لا عقيدة لهم أصلا أو ممن لهم عقيدة باطلة وغير
مقبولة شرعا وعقلا ، وتظهر نتيجة هذا الضعف في الكلام
الذي نسمعه من بعض من ينتسبون للاسلام ، من ذلك ان
بعض الناس ينطقون بكلمات تشعر بان قائلها لا يفهم
ما يقول ، ولا يشعر بان صفة الخلق والايجاد لا تعطى

الا لله الواحد القهار فهو الخالق لا خالق سواه وهذا
معنى التوحيد ولا مدبر لشؤون الخلق الا هو فهو
العليم الحكيم ، وليس له شريك يعينه ، ولا وزير يؤازره
بل هو وحده خالق كل شيء ، لا اله معه ، ولا قادر على
الخلق والايجاد يسانده أو ينوب عنه فهو كما قال
(**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) .
وكما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه
(**اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسِتَ بِالْهِ اسْتَعْدْتُنَاهُ ، وَلَا بِرَبِّ ابْتَدَعْنَاهُ ،
وَلَا كَانَ قَبْلَكَ مِنْ إِلَهٍ نَلْبَأُ إِلَيْهِ وَنَذْرُكَ ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى
خَلْقِنَا أَحَدٌ فَفُشِرْ كُهُ فِيكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ**) .

ومن اظهر سوء الادب مع الخلاق العليم ما نسمعه
- بين الحين والآخر - من بعض كبار الناس وصفارهم
مما يعتبر في الشرع وقاحة وسوء أدب مع من خضعت له
ولقدرته وعزته جميع المخلوقات من انس وجان فقد
سمعناهم يتفوهون بالفاظ نابية وغير لائقة بالعبد
الضعيف والعاجز البين العجز فاذا اراد الواحد من
هؤلاء الناس ان يتكلم عن العناية والاهتمام بالمواطن في
تهذيبه وتهيئته لاي مهمة كانت لتناط بعهدته قال من
غير حياء من الله خالقه وخالق كل شيء هكذا بتبجح وفخر
(**نريد خلق الانسان المواطن**) وهذه العبارة فيها اساءة
الادب - بل ربما الكفر والمجود للخالق الواحد - مع
الله الذي لا شريك معه في خلق الانسان المواطن وغيره
فلا خالق مع الله الخالق لكل شيء ، ومنه هذا المخلوق
الخالق ، غرورا ، وجاء في القرآن الكثير من الآيات

لترفع عن هذا النوع من المغرورين غرورهم ، فقد قال
الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ،
هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَاَنْتَى تُوَفَّقُونَ) (1) . وقال (ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ) (2) .

فلا خالق الا الله ، فتنبهوا أيها (الغافلون المخطئون)
العاجزون عن رد الموت عنكم اذا حل بكم وصححوا
عقيدتكم فى الله قبل ان يفوتكم الاوان فإى شىء
جعلكم لا تدفعونه عنكم اذا نزل بساحتكم ؟ ذلك هو
عجزكم وضعفكم أيها الخالقون جهلا وغرورا واستخفافا
بمن خلقكم ورزقكم فانتم محتاجون اليه فى كل حين

دعوا هذه الكلمات الغير اللائقة بالبشر الضعيف
والتي قد تؤدى بصاحبها الى الكفر شيئا فشيئا اذ هى
من خصائص المدير الحكيم والخالق - وحده - الذى له
الخلق والايجاد والهداية والارشاد ، دعوها حتى
لا تلعنكم الاجيال المقبلة كما (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا
عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ
فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (3) فقولوا نهىء
بدل نخلق

(1) سورة فاطر - الآية 3

(2) سورة الانعام - الآية 102

(3) سورة المائدة - الآيتان 78 - 79 .

أي السبل أنفع لنشر العلم ؟

ان حياة العالم العامل بعلمه موزعة بين تعليم العلم وبثه في أوساط أمته والراغبين فيه وبين تأليف الكتب لفائدة الخلق أجمعين وتصنيفها ونشر العلم بواسطتها، وكل هذا من واجبات العلماء العاملين بعلمهم ولكن أيهما أولى بالتقديم والعناية ؟ هل نشر العلم وتصحيح العقيدة بواسطة التعليم للناس أهم وأولى بالاهتمام والتقديم ؟ او نشرهما بواسطة تأليف الكتب وتصنيفها ؟ فمال بعض المفكرين من العلماء الى الاهتمام بالتعليم ونشره بين الراغبين فيه واعدادهم لقراءة الكتب التي تؤلف بينما مال البعض الآخر الى نشره وتعميمه بواسطة تصنيف الكتب وتأليفها ليستفيد منها المعاصر وغيره اذ هي لمن حضر وعاصر مؤلفها ولمن سيأتي من بعد فهي بهذا الاعتبار من أهم ما يتركه الاولون للآخرين من التراث الغالي ، كما هو الشأن فيما تركه لنا أسلافنا الاماجد ، فقد استفدنا منها فوائد عظيمة لا تقوم بقيمة ، اذ حفظت لنا لغتنا وديننا وعقيدتنا وأخلاقنا وتاريخنا وأدبنا وغير ما ذكر ، ولولا ما تركه لنا أولئك الاسلاف العاملون بالرغم من

قلة الوسائل التي تعينهم على التأليف والنشر لولا تلك الكتب لضلنا عن طريقهم المثلى ولأصابنا الزيغ والخسارة ، اذ العلماء يموتون ويذهب علمهم بموتهم ، اذا لم يدونوه - وهل عوضنا من مات من علمائنا في العهد الاخير ؟ - بخلاف تأليفهم الباقية بعد موتهم فانها تبقى ولا تصيب بموت مؤلفيها فمال الى الراى الاول واختاره كثير من العلماء السابقين ، والى هذا الراى مالت (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) فأنشأت المدارس لتعليم الصغار التعليم الابتدائى ومعهد « عبد الحميد ابن باديس » للتعليم الثانوى والمساجد لتعليم الكبار الراغبين في التعلم ، وفيها وبواسطتها كانت تلقى دروس التوجيه الدينى والوعظ والارشاد والاخلاق الاسلامية ، للعامة الذين فاتهم التعلم فى وقته

اما تأليف انكتب وتصنيفها بالنسبة الى افراد جمعية العلماء فكان قليلا بالنظر الى صرف الاهتمام من معلميها وشيوخها الى اعداد القراء للكتب أو للتأليف لان شعبنا كانت فيه الامية متفشية ومستحكمة الحلقات وكانت صحف الجمعية وغيرها قليلة الانتشار بالنظر الى كثافة السكان ، فقد رأينا البعض من أبناء الامة يشتريها أو يشترك فيها بقصد التأييد والاعانة لا غير ، اما القراءة لها والاستفادة منها فلا يستطيع لانه أمى وبهذا الراى عملت وداومت عليه حتى تخرج من مدارسها ومعهدا - الوحيد - لديها طائفة لا بأس بها استفادت منها الامة فائدة أغنتها عن جلب الكثير ممن يقوم بأعباء

التعليم حين جاء وقت الاستقلال للوطن ، وان كان فيهم من اختار العمل فى الادارات الحكومية ، فرارا من متاعب التعيين وأوزاره الثقيلة ، وطلبا للراحة البدنية، وهذا عمل فى غير محله اذ لو مال معلموهم القدامى الى هذا من قبل أى الى عبودية الادارة لما كانوا هم فى مستواهم الحالى وعلى كل حال فقد حصل ما حصل بواسطة التعليم وأتعبه ومشاقه

ولا زلت اذكر تلك السنوات التى قضيناها فى التعليم واشعر فيها براحة ضميرى اذا ذكرتها أو تذكرتها فقد كنا نقضى معظم يومنا ونصيبنا من ليلنا فى التعليم بين تلامذة المدرسة ودروس المعهد ودروس المسجد للرجال وللنساء، وقد تصل ساعات العمل الى اثنتى عشر ساعة بين اليوم والليله وتارة تزيد على ما ذكر - وهو عمل مرهق ومضى - واخوانى الشيوخ الاحياء يعرفون هذا

وبهذا تكون « جمعية العلماء » قد أدت ما عليها من واجبات ثقيلة لا يعرفها الا من عاش معها ومارسها ولا يستسهل عملها أو يستصغره أو يستهين به الا جاهل به أو مأفون الرأى عديم الذوق والمعرفة للامور على حقيقتها ولا زلت أذكر ذلك اليوم الذى ودعنا فيه رئيسها المرحوم - ان شاء الله - الشيخ البشير الابراهيمى فى شهر مارس (1952) حين امتطى الطائرة فى طريقه الى المشرق العربى كى يسمى لدى

دوله حتى تمد يدها للشعب الجزائري لتعينه بقبول
بعثات من طلبة المعهد الباديسى يدرسون فى معاهدها
وجامعاتها فكان منها ما ارادت الجمعية وانتقلت
بعثاتها والتحقت بالمعاهد والجامعات الشرقية العربية ،
وجاء استقلال الوطن عن الاستعمار وعادت البعثات
من المشرق العربى وكانوا على درجات متفاوتة فى العلم
وكانت الجمعية تعلق على رجوعهم مزودين بالعلوم
النافعة كثير الامال اذا عادوا الى وطنهم بعلم غزير
ونشاط كبير وتضحية فريدة فى بابها ، نظرا لما تركوا
عليه وطنهم ونظرا لما راوه فى شيوخهم من النشاط
والجد والتضحية فى العمل كل ذلك بدون حساب أو
عوض

رحم الله من مات من أولئك الشيوخ الذين ضربوا
أحسن الامثلة فى البذل والتضحية فى حين كان
المستعمر يلوح من بعيد ويرغب فى وظائفه غير ان
الجمعية ورجالها المنخرطين فيها أعرضوا عن ذلك وبقوا
مخلصين لمبدأ الجمعية ، وهو الترفع عن وظائف المستعمر
ورضوا باتعاب جمعية العلماء فسيوخها معلمون فى
وقت التعليم وسعاة وجباة للمال فى وقت العطلة
الصيفية والتنقل فى الجبال والصحراء لنشر دعوتها
الاسلامية والعقيدة السلفية البعيدة عن البدع
والخرافات اذ هذا هدف من أهدافها يقومون به فى
جولاتهم

أما الرأى الثانى وهو التأليف والتصنيف ونشر العلم بواسطته ، فقد مال اليه البعض من العلماء وقالوا ان التصنيف والتأليف للكتب أولى وأهم من التعليم فيهم طائفة من العلماء الافذاذ منهم العالم الفذ المكثر من التأليف أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى رحمه الله ورضى عنه وعن أعماله فهو صاحب التأليف فى شتى الاغراض والفنون والعلوم وخاصة فيما له صلة بالدين والعقيدة والحديث والمواعظ فقد صرح فى كتابه « صيد الخاطر » برأيه ، والمتأمل فى الرأىين يدرك أهميتهما معا بالنسبة الى حاجة الامة اليهما كليهما ، ولكل من أصحاب الرأىين وجهة هو مولياها بنى عليها رأيه وما اختاره وكل منهما مصيب ان شاء الله ، ولازم للامة ولا يمكن الاستغناء باحدهما عن الآخر فقد عقد ابن الجوزى فصلا فى كتابه المذكور حيث قال

فصل :

الاشتغال بالتأليف واغتنام العمر .

قال رحمه الله ورضى عنه (رأيت من الرأى القويم ان نفع التصنيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة ، لانى أشافه فى عمرى عددا من المتعلمين وأشافه بتصنيفى خلقا لا تحصى ما خلقوا بعد

ودليل هذا ان انتفاع الناس بتصنيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم فينبغى للعالم

أن يتور على التصانيف ، ان وفق للتصنيف المفيد ، فانه
ليس كل من صنف ، صنف

وليس المقصود جمع شيء كيف كان انما هي أسرار
يطلع الله عز وجل عليها من شاء من عباده ويوفقه
لكشفها ، فيجمع ما فرق أو يرتب ما شئت ، أو يشرح
ما أهم ، هذا هو التصنيف المفيد) اه كلام الامام
ابن الجوزى رحمه الله

وكلام الامام ابن الجوزى هذا فى غاية النصح
والتوضيح والوضوح شأنه شأن علماء السلف الذين
أفنوا أعمارهم فى التعليم والتأليف بالرغم من قلّة
الوسائل التى تعينهم على عملهم الشاق والمرهق من
الكتابة بأيديهم الى نشر كتبهم بواسطة الاسفار الى
الاصقاع البعيدة ومع كل ما ذكر وغيره فقد عملوا
وانتجوا وتركوا لنا انتاجهم مكتوبا بخطوط ايديهم
وبأقلامهم القصبية فرحمهم الله وجزاهم عن الاسلام
والمسلمين خيرا وعوضهم عن اتعابهم تلك رضوانه
وعفوه عنهم وأسكنهم جنات النعيم آمين

ان المتقدمين من علماء المسلمين قد عنوا عناية فاقت
كل عناية بالتأليف فلم يأت منها خلفهم بعشر معشار
ما أتى به الاولون منهم ، فكأنهم قالوا (**إِنَّ أَلْيَدَ الَّتِي
لَا تَكْتُبُ ، كَالرَّجْلِ الَّتِي لَا تَمْشِي**) . فهى معطلة عن
وظيفتها التى خلقها الله لها وفى حكمة خلق الله
لوظائف أعضاء الانسان ما يدل على هذا ، فقد قال :

(الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ) . وقال (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ
نُسَوِّيَ بَنَانَهُ) والقلم لا تمسكه الرجل - الا ما ندر
بصعوبة - أو غيرها من سائر أعضاء الانسان - بل
انما تمسكه اليد بينانها لهذا شبهت بالرجل اذا لم
تقم بوظيفتها ولحكمة جعل الله يد الانسان ذات
أصابع ليتنفع بها في امسك القلم بتلك الاصابع
كما يستعين بها في الصناعات ولو كانت قطعة واحدة
كيد الحمار - مثلاً - لفاته هذا!

ولكل زمان مصاعبه ومتاعبه ففي زماننا هذا سهل
أمر التأليف والكتابة لكثرة الوسائل المعينة عليه من
مواد وورق واقلام ومطابع ونقل الخ وتعددت
المصاعب والعقبات فكثيرا ما أهملت مؤلفات وانتاجات
لسبب أو لآخر ! فهل نحن في عصر العلم والنور
والتقدم والحرية ؟ أم نحن في زمن مضى وانقطعت آثاره
الى الابد ؟؟

ان عصرنا هذا عصر الصراحة والنصح والدعوة الى
ما ينقذ البشرية من ربقة العبودية والتخلف واناة
الطريق أمام من على بصيرته غشاوة لا عصر خنق
الحریات واهدار كرامة الافكار ومن رأى غير هذا
فقد وضع نفسه أمام مرآة لا تريحه الا ما وراء ظهره
وتحجز عنه المستقبل !

فالكتاب ينظر اليه من عدة نواح قيمته محتواه
حاجة القراء اليه ... الخ لا الى زخرفته وحجمه

وعنوانه فكثيرا ما ظهرت عناوين جذابة لكن محتواها
إلحاد ودعوة لانحلال الاخلاق وميوعتها شجعتها وسائل
الاعلام التي تشرى عليها حكومات اسلامية وتسيرها
مثل الاشرطة الخلعة والافلام اللادينية والتحقيقات
اللاأخلاقية و و فآين الضمير الفيور ؟ وآين
الرجل المناسب فى المكان المناسب ؟ !

وقد رأينا وسمعنا شيئا يعارض هذا تماما وهو
ادعاء الديمقراطية وآى ديمقراطية هذه التى تعمل
على تعطيل حرية الرأى والقول ..؟ اذ حرية الرأى
والتعبير أو القول والنشر من الحريات الاساسية التى
تربى الشعوب على الصراحة والنصح والصدق فىهما
لا تلك الحريات المزعومة التى تطبع الاشخاص
بطابع النفاق والملق والتزلف الى الحكام لنيل عطفهم
ورضاهم وان كان فى هذا غش للشعب ورميه فى
مجاهل القرون الوسطى المظلمة قرون الجهل
والانحطاط والتخلف الفكرى والحضارى وان كان
قرننا هذا يدعى فى المحافل الدولية بقرن العلم والنور
والتقدم والحرية الخ هذا ما يعلى شأن الامم ويرفع من
مقامها فى صفوف أمم العالم المتحضرة اما العودة الى
زمان الاستعمار - فى وقت الاستقلال - فى خنق
الحريات واهدار كرامة الافكار فهو دليل على التخلف
الفكرى وحب السيطرة والانتقام الشخصى وان ادعى
مدع غير هذا فهو فى الاوراق لا غير .

الانسان وحقوقه فى هذه الحياة ..؟

ونظيف الى هذا دعوى أخرى مللنا - كثيرا - سماعها وهى هذا القول الشائع على اللسان والاقلام تحت عناوين جد ضخمة عن « حقوق الانسان » قالوا عن هذه الحقوق أو العقوق « انها مبدأ مسطر فى قوانين جمعية الامم » الموقرة كثيرا ومعنى هذه الحقوق ان كل دولة انخرطت فى هذه الهيئة لزمها أن تطبق هذه القوانين وتنفذها فى بلدها على رعاياها فتمكن كل انسان من حقه الطبيعى كى يعيش فى حياته هذه كريما محترما، غير أن الواقع انكشف على خلاف ذلك فتسطير القوانين على الاوراق شىء وتطبيقها شىء آخر وأرى أن هذه خدعة أو خرافة من الخدع والخرافات التى تقال للصبيان لتنويمهم أو لتلهيتهم حتى لا يقلقوا آباءهم وأمهاتهم بسؤالهم طلب بعض ما يريدون ويشتهون

فقد رأينا أنه كلما جاءت ذكرى يوم الاعلان العالمى (لحقوق الانسان) المزعومة ، وهى يوم 10 ديسمبر 1948 وذلك حين أعلنت جمعية الامم عن حقوق الانسان الا ورأينا وسمعنا وسائل الاعلام انطلقت بأبواقها من صحافة واذاعة وتلفزة ومجتمعات تعقد لهذا الغرض وهو تمجيد هذا اليوم الاغر فى حياة الانسانية التى عانت كثيرا من الظلم والاستبداد تمجده لما وقع فيه وهو هذا الحدث الهام الذى أعلنت فيه جمعية الامم عن حقوق الانسان .

ونحن كمسلمين ومؤمنين نؤمن بحقوق الانسان منذ
 أربعة عشر قرنا فاننا نعرف أن للانسان حقوقه منذ
 أربعة عشر قرنا خلت ، فقد قال لنا القرآن كتاب ربنا
 الذى ربانا عليه (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
 وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
 عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١) وقال لنا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : (كَلِّمُوا لَادِمًا ، وَآدَمَ
 مِنْ تَرَابٍ) وقال (النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشْطِ) (2)
 وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب متى أَسْتَعْبَدْتُمْ
 النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟

ان ديننا « الاسلام » قد ضمن للمسلم حرিতে فى كل
 أطوار حياته فى القول والتعبير والعمل ما لم يكن فى
 ذلك أذى لغيره فان كان القائل مصيبا فيما قال
 وأبدى رأيا فيه الخير والمنفعة للامة سمع قوله وعمل به ،
 وان كان فيه المضره والفساد أهمل وألغى وما لم يكن
 كفرا بالله ورسوله هكذا ربي « الاسلام » المسلم على
 الصراحة فى القول وأوجب عليه الامر بالمعروف
 والنهى عن المنكر ليصلح المجتمع الاسلامى حتى
 لا يكون فيه المنافق والمتملق والمداهن على حساب
 العقيدة فكان المسلمون يواجهون ملوكهم بالاسئلة
 المخرجة فى المواطن المخرجة من غير أن يكفوا أفواههم
 بالامر بالسكوت ، بل تعجبهم فيهم الصراحة اذا كانت

(1) سورة الحجرات - الآية 13

(2) أخرجه الديلمى عن سهل بن سعد .

للمصلحة العامة ، وشواهد هذا كثيرة في التاريخ الاسلامي وهذا بخلاف ما كان معمولاً به في زمن ملوك الطوائف - وما أشبه زماننا هذا بزمن ملوك الطوائف - والله الامر من قبل ومن بعده ومن أبرز مظاهر تربية الاسلام لأمرء المسلمين وعامتهم على الصراحة أن رجلاً من عامتهم قال لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب اتق الله يا عمر !! وهذا من باب النصيحة له فنهره أحد الحاضرين في المجلس وقال له أتقول لأمر المؤمنين اتق الله ؟ فما كان من عمر الا أن رد على هذا المنكر على الناصح قوله في كلمته المشهورة حيث قال (دَعَهُ فَلْيَقْلُهَا فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِيكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُواهَا ، وَلَا خَيْرَ فِينَا إِذَا لَمْ نَقْبَلْهَا) وكقوله لعمر بن العاص والى مصر (يَا عَمْرُوءَ، مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْتَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ؟؟؟) وهذا حين اعتدى بالضرب ابن الوالى عمرو بن العاص على ابن أحد الاقباط الشعبيين فى سباق الخيل حين منعه من سبقه وقال له أتسبق ابن الأكرمين ؟ فاستدعى عمر الوالى وابنه فى زمن الحج وأمر القبطى بأن يقتص من ابن الوالى فى حضرة أبيه فهذا من عدل الاسلام فى زمنه الاول ، فما أعدل حكم الاسلام حين يلقى من يطبقه على المسلمين وغيرهم !!! بل كان بعض الاعراب يجابه الرسول صلى الله عليه وسلم بالغلظة فى القول فيعفو عنهم ولا يعاقبهم ، وهو من هو ؟

فهذا أبلغ درس عملى يلقى الاسلام على الانسانية المذبذبة بالظلم والظلميان من لدن حكامها ، وهذه هي

حقوق الانسان فى الاسلام تظهر بلا تهريج ولا صياح
بلا فائدة من وراء ذلك الصياح والتهريج وهذه هى
حقوق الانسان والمواطن فى الاسلام لو كان هذا العالم
يبعث عن الحقيقة والواقع

وبعد الاسلام وقبل جمعية الامم تلك واعلانها المذكور
قامت الثورة الفرنسية وأعلنت عن حقوق «الانسان» سنة
1789 فتقبل الناس هذا الاعلان بالاعجاب والاكبار، ولكن
بقى هذا الاعلان بلا تطبيق ولا عمل به حتى لحقه صنوه
فأهمل هو كما أهمل سابقه

فقد رأينا أن الاسلام هو السابق لكل ذلك ثم فرنسا
وقد تبعتها بعض الدول فى اعلانها ذلك



العقيدة الصحيحة قوة للقلب وقوت له والمعذبون من أجلها

عندما نتساءل ما هي العقيدة الصحيحة ؟ ومن هم أهلها ؟ يأتينا الجواب هي عقيدة الحق والخير وأهلها هم أهل الحق والخير والصلاح الذين ثبتوا عليها ولم يتخلوا عنها ساعة من الزمن سواء في زمن اليسر أم في زمن العسر لم تطفهم مرتبتهم في مجتمعهم بل ظلوا متمسكين بها في كل الحالات ، ولو عذبوا من أجلها وفي سبيلها حتى ماتوا عليها ولم يسلموا فيها أو يزهدوا فيها وفي الدفاع عنها، وإذا تساءلنا من هم ؟ جاءنا الجواب هم من الامم الموحدة القديمة منها والمتأخرة ، لان هذا النوع موجود في كل أمة منذ كانت الدنيا ، وكانت عقائد الناس متباينة ومختلفة وفي طي هذا الجواب نحتاج الى شيء من البيان والتوضيح

انهم جماعة من المستضعفين والمعذبين الذين عاشوا في فترة طفى فيها كل جبار عنيد من ملك قوى نزع الايمان بالله من قلبه كما نزعته منه الرحمة والعطف على خلق الله، كـ(النمرود) مع خليل الرحمن «ابراهيم» عليه السلام في التاريخ القديم وابراهيم هو امام

الموحدين والمسلمين وأبو الانبياء والمرسلين كما قال
ربنا في كتابه العزيز ، مظهرًا فضل خليله ابراهيم
وملته الحنيفية (**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ
الْمُسْلِمِينَ**) . وكموسى مع الطاغية «فرعون» وكرسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه مع
كفار قريش الجهلة الاشداء عباد الاوثان قساة القلوب ،
فقد الحقوا بالمؤمنين الموحدين الكثير من العذاب الذى
لا يحتمل ولا يطاق ولكن أولئك الضعفاء تلقوه بقوة
العقيدة فى الله والصبر الجميل حتى مكنوا دين الله
الى من يعبد الله وحده ممن كانوا فى زمانهم والى من
جاء من بعدهم وغرسوا شجرة التوحيد فى التربة
الصالحة فى أرض من سبقت لهم فى علم الله السعادة
والنجاة من الضلال فتمت وترعرعت وآتت أكلها باذن
ربها فماتوا وتركوا سيرتهم الطيبة مثالا يحتذى لمن
يأتى من بعدهم كى يسيروا فى حياتهم على ضوئها
ويكونوا مع ظالمى زمانهم كما كانوا هم مع الظالمين فى
أيامهم وكأصحاب الاخدود فى القديم من التاريخ
وكأبى بكر وبلال وصهيب وغيرهم من أمثالهم ممن
سىمر بنا شىء مما أصابهم فى سبيل عقيدتهم رحمهم
الله جميعا ورضى عنهم وعن مواقفهم وألحقنا بهم
ونحن ثابتون على عقيدتنا غير مبدلين ولا مغيرين
فأمثالهم موجودون فى كل زمان ومكان الى الآن لكن
لا يمكن استيعابهم جميعا وما أذكره هنا كاف فى
الاعتبار والاتباع لمن رزقه الله حسن الاقتداء ، ومن

كان أهلا للعمل بما يرضى الله ورسوله وصالح المؤمنين
فلهؤلاء أشباه ونظائر فيما مضى من الزمن ولربما
فيما يأتي - أيضا - الى أن يرث الله الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين فالفضل يرجع في التمسك بالحق
والعقيدة الاسلامية والتضحية بالانفس الى أولئك
الابطال الشجعان الاوفياء لعقيدتهم ودينهم وهم
الذين حضروا في بداية معركة التوحيد مع الشرك
حين تغلب الحق على الباطل بقوة العقيدة الصحيحة
والاخلاص في العمل ونصر الله المبين فتولى الشرك
مهزوما مدحورا وفي هذا العبرة للمعتبرين

فهم حقيقة أبطال قصة الكفاح الديني والعقائدي
ومصباح تاريخنا الاسلامي الذي يجب علينا أن لا ننساه
أبد الأبدين

أولئك هم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
ورفيقه أول المؤمن به أبو بكر الصديق وبلال الحبشي
وصهيب الرومي وعمار بن ياسر وأسرته كلها ، وفي
مقدمتها أمه (سمية) وسلمان الفارسي وغيرهم ممن
سنتكلم عن شيء من مواقفهم وما نالهم من التعذيب
وصبرهم عليه وهو شيء لا نظير له فضربوا بهذا
أروع الامثال الرائعة والمروعة في الصبر وبذل
العزیز الغالى من نفس ومال في سبيل المبدأ والعقيدة
وتأييد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ذاقوا من
شديد العذاب والاهانة ألوانا وأنواعا وأشكالا من

قوم قساة القلوب ، غلاظ الاكباد أقوياء الاعوان ، حتى
ألبسوهم أدرع الحديد وطرحوهم بها فى حر الشمس
وشدة الهاجرة وكووهم بالنار والجمر وما أطفأها الا
دسم جنودهم وشحمها وهل يعد هذا العذاب عذابا
يستهن به ؟ ينال عبادا فى الدنيا - بلا ذنب - الا لانهم
قالوا (رَبَّنَا أَلَّهٗ) لا والله وما هو بالامر اليسير
الذى يطاق لولا قوة العقيدة والصبر

وما نحن نشرع - مستعينين بالله وقوته - فى تقديم
هذه (العينات) البشرية ذات القوة الروحية التى
غذاها ايمان كامل بالخالق ، ووعده الصادق فكانوا الى
جانب من وفقوا فوقفوا فى صف واحد لتأييد الحق
وأنصاره وخذلان الباطل وأعوانه



سيدنا ابراهيم خليل الرحمن :

أول أولئك الابطال ابراهيم خليل الرحمن
ورسول الله الى عباده بشريعة الاسلام شريعة التوحيد
والاخلاص لله في كل الطاعات والعبادات ، ونبذ الشرك
وعبادة المخلوق كيفما كان هذا المخلوق ، عبدا من عباد
الله ملكا ، أو شجرا أو حجرا ، أو غير ذلك من الكواكب
وغيرها ، مما كان يعبد في الزمن القديم ، واسم ابراهيم
ينبئ بما في قلبه من معاني الشفقة والرحمة لذلك
كان أهلا لاختيار الله له لتحمل عبء الرسالة ومواجهة
المشركين باندعوة الى عبادة الله وحده في زمن كان
ملكه وحاكم بلده طاغية من الطغاة ادعى الألوهية جهلا
وغرورا بحقيقة نفسه ودعا الناس الى عبادته فقيل
ان كلمة ابراهيم (أب رحيم) في اللغة السريانية ،
(احدى اللغات السامية) التي هي لغة قومه في ذلك
الوقت أما لفظة الخليل فانها مأخوذة من (الخلة) وهي
المحبة الخالصة والصدقة الكاملة وبالطبع فهي خلة
ومحبة لله لا لشيء آخر فهو قد صفا قلبه لله فأحبه
الله وجعله خليلا له في هذا المقام العالى اذ الخلة
منزلة عالية ودرجة رفيعة ، لم ينلها في المرسلين غيره
قال الله جل شأنه (**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**) .

لماذا لقب ابراهيم بالخليل ؟

ذكر الامام ابن قيم الجوزية في كتابه « الوابل الصيب من الكلم الطيب » فقال سمعت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول (أوحى الله الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم : أتدرى لم اتخذتك خليلاً ؟ قال : لا . قال : لأنى رأيت العطاء أحب اليك من الأخذ) . اهـ . وهذه صفة من صفات الخالق جل جلاله فانه يعطى ولا يعطى ويطعم ولا يطعم وقيل انما اتخذته ربه خليلاً لا طعامه الطعام واکرامه الضيفان ومن هذا ما ذكره الامام السيوطى فى « الدر المنثور » ونسبه الى البيهقى فى الشعب عن عبد الله بن عمرو ابن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل (يَا جِبْرِيلُ لِمَ اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ؟ قَالَ : لِإِطْعَامِهِ الطَّعَامَ) .

وكان ثناء الله على خيله ابراهيم ثناء يناسب مقامه عنده جاء ذلك فى كثير من الآيات القرآنية منها قوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ) وقوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ، قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) وهذا مدح وثناء من الله على ابراهيم وقد علم الله أنه أهل لقيادة أمته والسير بها فى طريق السلامة والنجاة ، وهى طريق التوحيد الخالص فكان عليه أن يخلصها من رجس الوثنية وعبادة المخلوق وهو الدين الذى كان عليه أهل زمانه وأمته فى عبادتهم للمكهم (نمرود)

اذ قد حمله الرسالة ، وفيها الدعوة الى توحيد الله فى
العبادة والطاعة ، وفى هذا قال الله (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ، قَالَ : إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ،
قَالَ : وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ؟ قَالَ : لَأَيُّنَ الْعَالَمِينَ)

وقد لاقى ابراهيم من قومه الوثنيين ما لاقاه غيره
من الدعوة الى الله والى اصلاح المجتمعات من الفساد
وسوء الاخلاق والمعتقدات فلحقه اضطهاد وتعذيب
من جبار زمانه « نمرود » الشيء الكثير

وكان هذا الجبار ادعى الالوهية بعد أن استحوذ على
عقول بنى قومه بالقوة والجبروت حتى أخضعهم
وطوعهم لسلطانه فأقروا له بالطاعة والالوهية
- مرغمين - على أنه معبودهم ومالكهم وأرزاقهم بيده
وكانت له مواقف مع رسول الله ابراهيم سواء قبل
مبدا الرسالة أو بعدها ومن لم يعترف لهذا الطاغية
بهذه الالوهية ناله ما ناله من أنواع التعذيب والتنكيل
الشديدين الا الخليل فانه عصاه وسخر منه ومن دعوته
الشيطانية ومن ادعائه الالوهية اذ هو من البشر
الضعيف الذى لا حول له ولا طول ، يجرى عليه ما يجرى
على أمثاله الضعفاء وليس له من القوة الا ما لا مثاله
من البشر فلا يستطيع أن يدفع عنه بعوضة - - وهى
أضعف المخلوقات - من البعوض الذى سلطه الله عليه
وعلى قومه فبعثه الرب القادر الخلاق العليم عليهم
ليريهم مقدار ضعفهم وعجزهم العجز الذى لا شبيه له

ولا نهائيا في العجز بعده وقد أعطى الله ابراهيم من
قوة المحبة والبرهان ما صير هذا الملك الاله أضحوكة
وسخرية في بنى قومه

فقد رهب الله لخليله ابراهيم - من صفه - قوة
المحبة الثقيلة وهو ما جعله يسخر من الاوثان وعبادها
وعبادتها، وطاعة المخلوق للمخلوق كيفما كان مركزه
في المجتمع وقد علم انه لا طاعة الا للخالق الديان
خالق كل موجود ورب كل معبود من سائر المعبودات
من دون الله زورا وبهتانا

نشأ ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام في
بيئة جاهلة الى أقصى حدود الجهل فهي تعبد الاوثان
والاصنام وتخضع لها وتفعل هذا مع ملكها أيضا
وهم أهل (بابل) في العراق وكان ملكهم المعبود
(نمرود) بن كنعان مستوليا عليهم وقابضا على ناصيتهم
بيد من حديد اذ هو جبار شديد البطش بهم وحاكم
فيهم بأمره وهواه أمرهم بعبادته وطاعته والخضوع
له ، من غير أن ينازعه في هذا منازع ، وذلك لما يقدمه
لهم من وسائل العيش ومادته والراحة لهم وأرزاقهم
كأنه هو الذى خلقها وأوجدها من العدم حتى يمن
عليهم بها ، وهذا هو سبيل الطغاة والظالمين في كل زمان
ومكان ، وقد ظهر في هذه السنوات الاخيرة رئيس دولة
في شمال افريقيا يمن على شعبه بمواقفه السياسية في
تحرير بلاده من قبضة الاستعمار ، فقال لشعبه المقهور

به وبطفيانه (انا الذى خلقتكم وَجَعَلت لكم مقاما
فى العالم ، والا فمن هم أنتم ، وما هى قيمتكم لولاي؟؟
وماذا كنتم تساوون؟؟) وهذا من الفرور البشرى
النمروذى ، وما درى هو نفسه أنه لولا شعبه أيده
واستجاب لندائه وبذل الغالى والرخيص لما كان هو
يساوى شيئا ، ولما كان يجلس على كرسى الدولة والحكم؟
وهذا النوع موجود كما قلت فى كل زمان ومكان وهو
ناتج عن الفرور بالنفس أو الجهل بحقيقتها

نعود الى موقف خليل الرحمن اذ فى ذلك الوسط
المتعفن بالظلم والطفيان ولد ابراهيم ولحكمة يعلمها
الله فقد طهر قلبه من عقيدة الشرك بالله لانه أعده
لحمل أعباء الرسالة ومعاربة الشرك والباطل والظلم
والجهل ، حتى لا يقال له اذا حان وقت تحمل الرسالة
والامر بمعاربة الشرك أنت كنت تفعل هذا معنا
وهذا الموقف وقع لكافة الرسل الكرام كرسولنا محمد
صلى الله عليهم وسلم أجمعين ذلك أن الله سبق فى
علمه أنه سيبعثه رسولا الى أمته فلا تراه فى صفه
يعبد أوثانهم وآلهتهم الباطلة وملكهم الطاغية ، فبصره
الله من زمن حداثة سنه بما عليه قومه من الباطل
لذلك كله توجه خليل الرحمن الى تسفيه أحلامهم
فغاب أصنامهم من صفه ، وبين لعابديها عجزها وسخر
منها

وفى القرآن الكثير من هذا من ذلك قوله تعالى
« وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (51)

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ : مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
 عَاكِفُونَ ؟ (52) قَالُوا : وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (53)
 قَالَ : لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (54) قَالُوا :
 أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ؟ (55) قَالَ : بَلْ رَبُّكُمْ
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ، وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ
 الشَّاهِدِينَ (56) « سورة الانبياء

فكان ابراهيم قوى الحجّة – كما رأينا – وما سنرى
 مع أبيه وقومه ومع ملكهم أيضا فأرانا القرآن كيف
 كانت حجته مع الملك حين حاجه بالدليل والاقناع
 لا بالقوة والظلم كما فعل معه الملك لما عجز عن
 الحجّة، إذ أبهته ابراهيم وأعجزه عن الجواب العقلي المقنع،
 حين دعاه اليه ليريه قوته وجبروته وظلمه فقال له
 من هذا الاله الذى تدعو الناس اليه والى عبادته ؟ وهل
 تعرف ربا والها غيرى هو أولى بالعبادة والطاعة والخضوع
 منى ؟ فاجابه ابراهيم عليه السلام بان الاله الحق
 والمعبود بالصدق هو الله الواحد الاحد الذى لا اله الا هو
 غيره ولا معبود سواه هذا هو جواب ابراهيم عليه
 السلام وهو جواب المؤمن الموحد، فهو غير خائف منه ،
 لانه مخلوق مثله فادعاؤه الالوهية زور وبهتان فبين
 له عجزه وكذبه فيما ادعاه ، نتأمل هذا فى قوله عز وجل
 « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ؟
 إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّىَ الَّذِى يُعْبَى وَيُؤْمِتُّ ، قَالَ : أَنَا أُخْبِى
 وَأُؤْمِتُّ ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ
 فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ، فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى

أَلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»، الآية 258 من سورة البقرة. وشتان ما بين
الحياتين أو الاحيائين فاحياء الله للاجساد منه فهو
الذى خلق الحياة وانشأها فى الاجساد واذا أراد
سلبها منها سلبها منها بالموت وحياة هذا المغرور أو
احياؤه للشخص صورية بحتة فانه يأمر بقتل هذا
وابقاء ذلك حيا فهو لم يخلق الموت والحياة انما أمر
فقط فالمحى والمميت فى الحقيقة والواقع انما هو
الله فبحياة الله التى خلقها فى الشخص بقى حيا
وبموت الله التى خلقها للشخص يموت فليس لهذا
الجاهل قدرة على خلق أى شىء يسمى موتا أو حياتا ، وكان
ابراهيم حاضر الجواب المسكت والمبتهت فى آن واحد
لهذا بهت هذا الملك الكافر واحتار فى أمره وعجز عن
الجواب الفعلى والعملى حين طلب منه ابراهيم اظهار قوته
ان كانت عنده قوة كما يدعى بالآتيان بالشمس من
المغرب بعد غروبها عكس النظام الذى كانت تسير عليه
بتدبير الله لها ولسائر الكواكب حيث كانت تطلع من
المشرق فليحول هو طلوعها الى المغرب ، فعجز وانكشف
أمره للناس واختفى غروره وأمثال هذا المخلوق
المغرور كثيرون

فابراهيم عليه السلام تارة يحاج أباه وتارة قومه
وأخرى ملكهم الجبار، كل هذا ليظهر لهم ضلالهم وكفرهم
، وعجز معبوداتهم وتقليدهم لآبائهم بلا دليل لهم عليه
الا التقليد لهم

فابراهيم - امام الموحدين - عليه السلام يحتاج
 آباء وقومه ويريهم الدليل على وحدانية الله اذ هو
 الاله المعبود بالحق ويظهر لهم عجز معبوداتهم حين
 خوفه بمعبوداتهم الباطلة والعاجزة عن أن تلحق الضرر
 بأحد فقال حسبما ذكره الله في القرآن « **وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ،
 قَالَ : أَتُعَاجِزُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ؟ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ
 بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا
 أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ؟ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ ؟ وَلَا تَخَافُونَ
 أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ، فَايُّ
 الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ؟ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ.**»

يا له من حجاج بليغ وحجة دامغة يوجهها خليل
 الرحمن لقومه المشركين الجاهلين فأظهر لهم أنه
 لا يخاف معبوداتهم العاجزة لانها لا تستطيع أن تحدث
 شيئاً الا ما أرادته الله المعبود بالحق فهو وحده المستقل
 بالضر والنفع وكان الاجدر بالخوف أن يكون منهم
 لانهم عصوا رب الناس الذى بيده كل شىء فهذا هو
 كلام المؤمن بالله الذى احتوى قلبه على عقيدة التوحيد
 القوية وهى التى تصير صاحبها ثابتاً عليها لا يرهب
 أحداً ولا يداهن مخلوقاً ولا يتملق عاجزاً مثله ولا
 يخاف الا ممن بيده أرواح البشر وأرزاقهم وهذا ما
 يجب أن يكون عليه المؤمن الموحّد لربه واذا لم يكن
 هكذا كان كاذباً فى دعواه الايمان بالله وحده الذى
 لا شريك له .

ذلكم هو ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وقوة
 حجته مع خصوم التوحيد فهو دائما يقيم لهم الدليل
 على وحدانية الله وأنه الاله الحق فلا يقبل الشركة
 فى ألوهيته ولا فى ربوبيته وهذا الهام ربانى وتعليم
 الهى له ليرشد به المشركين الضالين الى أن المعبود واحد
 لا يسهو ولا ينام ولا يغيب عن معبوده فهو معه أينما
 كان حاضر فى قلب معبوده ولنتأمل دعوته وحجته
 هذه كيف تدرج بها وارتقى من درجة الى أخرى ،
 حتى أوقف المشركين على الصحيح من العقيدة والعبادة
 وهذا فى قوله تعالى فى سورة الانعام (وَكَذَلِكَ نُرِي
 إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ
 فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ : هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا
 أَفَلَ قَالَ : لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ ، «76» فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا
 قَالَ : هَذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لئن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي
 لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ «77» فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً
 قَالَ : هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنِّي
 بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ، «78» إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ «79»)



خليل الرحمن يبحث عن المعبود بالحق :

توجه خليل الرحمن بفكره الصافي الى البحث عن المعبود بالحق كي يحق له أن يعبده ويتوجه اليه في طلبه لقضاء ما قد يعسر عليه من شؤون حياته كما يرجوه لآخرته وليقيم الدليل للناس على ضلال ما هم عليه وبطلان عبادتهم لغيره تعالى وهو القادر على كل شيء فعبادة الاله القادر العالم الذي لا يخفى عليه شيء وان دق هي العبادة الصحيحة اذا كانت خالصة له وحده من كل اشراك لغيره معه فهو وحده يعبد لانه أحق بها من غيره فهو لا ينام ، ولا يغيب ، ولا يتغير وهكذا تدرج بفكره وارتقى بعقله الى أن وصل في بحثه الى الغاية المطلوبة من العباد وهي الوصول الى ادراك الحقيقة كي يبنوا عليها حياتهم هذا ما رأيناه في الآيات السابقة من سورة الانعام وما نراه الآن في الآيات الآتية من سورة مريم عليه السلام وذلك حين قال لأبيه حسبما نطق به القرآن (**وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ، إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا** »41) **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ : يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ؟** »42) **يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ**

فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا «43» يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ
إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا «44» .

بهذا الاسلوب فى المخاطبة يواجه خليل الرحمن
أباه فى رقة عبارة ولطف خطاب فيه نوع من
الاستعطاف بلا قسوة ولا غلظة وهو يعلم انه على الحق
وأن أباه وقومه على الباطل حتى اذا لم يستجب اليه
أحد من قومه - بمن فيهم أبوه - تنصل منهم وتبرأ من
أعمالهم المخالفة للفترة وتمسك بما وصل اليه
تفكيره من توحيد الله وترك ما سواه كما قص علينا
القرآن هذا حين شرح للمؤمنين موقف ابراهيم ومن
كان معه من المؤمنين فقد تبرأوا من كل مشرك حتى
من الوالدين وجاهروهم بالعداوة من أجل العقيدة
الصحيحة وفى سبيلها حيث طلب منا القرآن التأسى
والاقتداء بغليل الرحمن ومن كان معه من المؤمنين
ونبذ الكافرين والعصاة وعدم الاهتمام بهم ، ولو كانوا
من أقرب الناس الينا فليكن حبنا واحترامنا مبني على
أساس ما توجبه علينا العقيدة الصحيحة بلا مجاملة
ولا احترام ، هذا ما جاء فى قوله تعالى (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ :
إِنَّا بَرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ وَحْدَهُ) الآية 4 من سورة المتحنة .

أما ما ابتلى به ابراهيم من أجل عقيدته فذلك مثل رائف ، كاد يكون فريداً في بابه وذلك في قوة العقيدة التي تستجيب لاوامر ربها وتمثل له ولما يطلبه منها خالقها وأي بلاء أو ابتلاء وامتحان أشد وأقسى من الأمر بذبح الولد الوحيد في زمنه فذلك حين أمره الله بذبح ولده « اسماعيل » الوحيد الذي رزقه وهو في العقد التاسع من عمره ذلك ما جاء في قوله تعالى (فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ «101» فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّنَى قَالَ : يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ، فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : يَا أَبَتِ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنَ الصَّابِرِينَ «102») سورة والصافات .

ثبت ابراهيم عليه السلام في هذا الامتحان ، وخرج من هذه المحنة فائزاً منتصراً لقوة عقيدته وطاعته لربه ، واستمر خليل الرحمن على نهج الدعوة الى الله فلم يفتروا أو يضعفوا أو يرهبوا أحداً من خلق الله يدعو الى الله في الطرقات والمشاهد والمجتمعات العامة والخاصة الى أن أقض مضاجع المشركين وعلى رأسهم ملكهم (نمرود) بجنده وقوته ولما أعياهم أمره تأمروا على اعدائه واراحة مجتمعهم المشرك منه ومن دعوته واتفقوا على احراقه بالنار لما عجزوا عن محاربته ومحاجته بما يقبله العقل السليم من البرهان والدليل وهذا السلاح كثيراً ما يلتجئ اليه الاقوياء بقوة الباطل الذين تنقصهم الحجة والدليل فيميلون الى قوتهم والقوة سلاح العاجز عن المجابهة والمقاومة

بالحجة والدليل ومع هذا فلم تغنهم فتيلاً ولم تنصر
باطلهم على حق رسول الله ابراهيم فقد ثبت الحق
وانتصر بقوة الحق وانهزم الباطل واندحر بسلاح
الباطل وحده

خليل الرحمن يلقي فى النار من أجل عقيدته :

فقد أجمع المشركون على قتل ابراهيم واحرقه بالنار
بعد أن جمعوا - من أجل هذا - حطباً كثيراً ، وأوقدوا
فيه النار وألقوا فيها خليل الرحمن غير ان الله نجاه
منها ومن حرها واحرقها وأبطل كيدهم وخيب
مكرهم قال الله تعالى فى ذلك (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا
آلِهَتَكُمْ إِنَّ كُنتُمْ فَاعِلِينَ** «68» **قُلْنَا : يَا نَارُ ، كُونِي بَرْدًا
وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ** «69» **وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ
الْأَخْسَرِينَ** «70») سورة الانبياء

بهذا الاسلوب من القمع والزجر واخفات صوت الحق
والدعوة الى الله حاول هذا الطاغية وجماعته أن
يقضوا على عقيدة التوحيد والدعوة الى عبادة الله وحده
وهذا شأن الظالمين فى كل زمان ومكان من قديم الزمان
الى يومنا هذا والناس يعيشون فى عالم تغيرت فيه كل
معالم القرون الوسطى تلك القرون الفابرة التى
ذهبت وتركت وراءها ذكريات سوداء تعود لنا منها - بين
الحين والآخر - بعض الامثلة من تلك الصور والوقائع
التى كانت سائدة فى تلك العصور التعسة ، من خنق
لأصوات الحق وقهر للعباد ، وإذلالهم وجعلهم يؤمنون

ويؤمنون - يقولون آمين - بكل ما يأمرهم به الطغاة
والظلمة ، ويصادقون عليه - بلا تصفيق - ولكن هيهات
أن يصلوا الى ما أرادوه هيهات ! ! ! وفي الماضي عبرة
بالغة لمن له قلب يعي ويدرك الامور على حقيقتها فلا
تفكروا في العودة الى مثلها أيها الطغاة الظلمة أينما
كنتم

فان نمرود ابراهيم وفرعون موسى - موجودان في كل
وقت ولهم أشباه وأمثال من أمثال (النمرود وفرعون)
- سعوا بكل قواهم كي يصدوا الناس عن اتباع أمثال
دينك الرسولين الكريمين على الله - وعن الدعوة الى الله
- ويجعلوهم طائعين لهم دون غيرهم فيما يبدو لهم
ويعلو في ذوقهم ولو كان قبيحا ومرا في واقع الناس
أجمعين - فلم يفلحوا - فكما لم يوفق الله الظالمين لنجاح
مساهم وخيبهم في ذلك الزمان السحيق ، فكذلك سيؤول
أمر جباري هذا العصر الى ما هو أتعس وأخيب من أولئك
الغابرين

ان الله لم يبلغ هذين الظالمين ما أراداه فثار
الضعفاء في وجهيهما وأبوا عليهما دعوتهما الباطلة
وردوها عليهما وذلك بقيادة هذين الرسولين فضربا
المثل الصادق لكل حر يريد أن يحرر نفسه من سيطرة
الطغاة القساة الظالمين فان النمرود وقومه لما عجزوا
عن محاجة ابراهيم بالحجة التي يقبلها العقل السليم
لجأوا الى القوة التي هي سلاح العاجز للتغلب على الخصم

الذى غلبهم بقوة الحجّة التى يقبلها العقل ويرضاها
حكما فى النزاع فأجمعوا أمرهم على احراقه بالنار
والتخلص من دعوته التى أفسدت عليهم شركهم وأبطلت
عليهم باطلهم غير أن الله الذى خلق ابراهيم عليه السلام
وهداه الى الحق وطريق الرشاد فى صغره وأرسله
رسولا فى كبره الى عباده ليظهر قلوبهم من عقيدة الشرك
والخرافات والبغى - كان فى عونهم على تبليغ دعوته
ونصره على خصومه المشركين بمن فيهم ملكهم وغيره
فأحبط مساعدهم وأفسد عملهم وأضل كيدهم فباؤوا
بالخيبة والخسران ونجا رسوله وخليته ابراهيم عليه
السلام وخلص قصته فى القرآن فبقيت تتلى على مدى
الازمان لتكون موعظة وعبرة للمفرورين أمثالهم ذلك
كما قال تعالى فى الآية السابقة الذكر من عزم القوم
وملكهم على احراقه بالنار للتخلص منه ومن دعوته كي
يصفو لهم الميدان ويبقى لهم وحدهم حتى يعلو باطلهم
على حق الله ودعوة رسوله كما تقدم فى تصوير القرآن
لمآلهم فى قول الله عز وجل جل شأنه وعظم سلطانه
وغلبت قدرته كل مخلوق (**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا
آلِهَتَكُمْ إِنَّ كُنتُمْ فاعِلِينَ**)

هكذا يلجأ الظالمون - دوما - الى القوة والقهر
واخماد شعلة الحق واطفاء نور الله لينصروا باطلهم
على حق الله فى زعمهم ولكن محال ما حاولوه فقد
رد الله كيدهم الى نحورهم وأفسد تدبيرهم حين
أججوا له نارا عظيمة ، جمعوا لها حطباً جزلاً ، وأكثروا

منه كأنهم يريدون شئ عشرات الجمال أو مئات الابقار
 والثيران نل هذا الاستعداد العظيم من أجل رجل واحد
 وما دروا أر من ورائه قوة الله تحميه من كل سوء ذكر
 جل المفسرين أن النمرود بنى صرحا عظيما له خاصة
 ليراقب من عملية احراق النار لابراهيم طول هذا
 ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا من أجل أن
 يراقب عملية التحريق بحيث لا يصيبه حر النار
 العظيمة نال بن اسحاق (وجمعوا الحطب شهرا ثم
 أوقدوها واشتعلت واشتدت حتى ان كان الطائر ليمر
 بجنباتها فيحترق من شدة وهجها ثم قيدوا ابراهيم
 ووضعوه في المنجنيق مغلولا فلما أرادوا القاءه في
 النار ضجت السموات والارض ومن فيهن من الملائكة
 وجميع المخلوقات الا الثقلين - الانس والجن - ضجة
 واحدة رَبَّنَا اِبْرَاهِيمُ ... لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ
 غَيْرُهُ يُعْرَقُ بِالنَّارِ فَأَذِنَّا لَنَا فِي نَصْرَتِهِ ، فَقَالَ لَهُمْ :
 أَنَا وَرَبِّي وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ ، وروى أبى بن كعب رضى الله
 عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال
 (إِنَّ اِبْرَاهِيمَ حِينَ قِيدُوهُ لِيُلْقَوْهُ فِي النَّارِ قَالَ : لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الْمُلْكُ ،
 لَا شَرِيكَ لَكَ) . ثم رموه بالمنجنيق ، من مكان شاسع ،
 وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال
 (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قالها ابراهيم حين ألقى في
 النار ، وقالها محمد حين قيل له : (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا
 لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ

أَلْوَكِيلُ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءُ) سورة آل عمران الآية 173 وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه (لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ فِي السَّمَاءِ وَاحِدٌ ، وَأَنَا فِي الْأَرْضِ وَاحِدٌ أَعْبُدُكَ) أخرجه الحافظ أبو يعلى

وعن سعيد بن جبير أنه قال حين ألقى ابراهيم فى النار جعل ملك المطر يقول متى أوامر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع فقال (قُلْنَا يَا نَارُ : كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

وقال بعض السلف جعل الله فيها بردا يرفع حرها وحررا يرفع بردها فصارت سلاما عليه لا تؤذيه ، وقال كعب وقتادة لم تحرق من ابراهيم الا وثاقه ، فأقام فى النار مدة قيل انها سبعة أيام وقيل أكثر لم يقدر أحد أن يقرب منها ثم جاءوا اليها بعد خمودها فاذا هو قائم يصلى

أما الظالم (نمرود) فانه اتخذ صرحا عاليا - لينجو من حرها ولهيبها كما مر به وليشاهد من بعيد عملية الالقاء والاحراق وليشفى غيظه من الداعى الى الله ، ترى ماذا كان بعد هذا الاستعداد العظيم من أجل تحريق واحد من البشر؟؟ حدث ما لم يكن فى الحساب ، فقد حدث بعد كل هذه المحاولات الفاشلة أن الله أفسد عملهم وأبطل محاولتهم تحريقه بالنار لكى يبقى ابراهيم داعيا عباد الله الى توحيد الله وعبادته وحده ،

وترك الشرك والضلال وعبادة المخلوق للمخلوق
ومقارعة الحق بالهجة لا بالقوة والاحتيايل

هذا وقد وردت روايات كثيرة عن كيفية القاء ابراهيم عليه السلام فى النار التى أوجت له بعد جمعهم لها الحطب الكثير ولما تأججت واشتعلت وعلا لهيبها الى عنان السماء أتوا بالمنجنيق - وهو آلة حربية كانت تستعمل فى الحروب للقذف يقذف بواسطتها ما يريدون قذفه الى المدى البعيد - فوضعوه فى كفة المنجنيق ورموا به فى تلك النار بعد أن أوثقوه وربطوا يديه حتى لا يفر وهنا تدخلت العناية الربانية لانقاذ خليل الرحمن من المحنة والهوان اللتين سلطتا عليه بسبب موقفه من الشرك والمشركين ، فأمر أحكم الحاكمين اذ هو الحاكم المطاع الذى لا حاكم غيره بيده الامر والنهى وله الطاعة المطلقة على كل مخلوق ما عدا البعض من بنى آدم فانهم تجبروا وعصوا خالقهم ، فأخر عقوبتهم الى حين ، من غير ان يعجز عنهم أو يخرجوا من قبضته فكل شىء طوع أمره وارادته - أمر الواحد القهار النار فقال (يَا نَارُ : كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ) فكانت النار المطيعة لخالقها لذينة على ابراهيم فلا هى بالحارة المحرقة ولا هى بالباردة المؤذية بل كانت وسطا بينهما فسلب منها احراقها وحرها وشدتها فكانت بين الحرارة والبرودة يستلذ بها ابراهيم - وهذا عكس ما أرادوه له - فلم تمسه بمكروه ولم تؤثر فيه بشىء ولو كان قليلا ، انما

أحرقتم فقط الجبل الذي كان موثقاً به - الوثاق فأزالت
عنه شدته فبقى في النار طليقاً يتنعم فيها فقد جاءت
عنه روايات تميد أنه قال (مَا تَنْعَمْتُ فِي حَيَاتِي مِثْلَ
الْمُدَّةِ الَّتِي قَضَيْتُهَا فِي النَّارِ) وفي رواية أخرى وقال
المنهال بن عمرو قال إبراهيم (مَا كُنْتُ أَيَّاماً وَلِيَّائِي
قَطُّ أَنْعَمَ مِنِّي فِي الْأَيَّامِ الَّتِي كُنْتُ فِيهَا فِي النَّارِ)

ولما خمدت النار وسكن ثيبتها وهمدت وهمد جمرها
وجدوه على حالة من كان في نعيم لا في جحيم حتى ان
النمرود اعترف له بحفظ الله له اذ روى أنه قال له
نِعْمَ إِلَهَهُ إِلَهَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ، وفي بعض الروايات أن
قائل هذه الجملة إنما هو أبوه

وجاء في بعض كتب التفسير والحديث أن البعض من
الميوونات سعت بوسائلها الخاصة لاطفاء النار عن
إبراهيم الا (سَامَ أَبْرَصَ) وهو الوزغ المعروف فإنه
خالفها في سعيها وأخذ ينفخ في النار لتزداد اشتعالاً
على خليل الرحمن ولهذا أمر الرسول صلى الله عليه
وسلم بقتله أين وجد وسماه (فَوَيْسِقًا) .

أخرج الامام البخاري هذا ورواه عن الصحابية
الجليلة (أم شريك) رضي الله عنها قالت (إِنْ رَسُوْلَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزْغِ وَقَالَ : كَانَ
يَنْفُخُ النَّارَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

هكذا يكون الإيمان بالله وحده وبقدرته على كل
شيء وقد قال الله وأوضح (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

فَهُوَ حَسْبُهُ) هذا هو التوكل على الله والاعتماد على قدرته القاهرة لكل مفرور فهو - وحده - الكافي لمن فوض أمره اليه والتجأ الى حصنه المنيع فيجىء التوكل على الله والاعتماد عليه بالنصر على الخصوم والنجاة من أذاهم فقد فقدوا كل مكيمة كادوها لابراهيم وأنجاه الله من كل ما أتوا به ، لان ابراهيم توكل على الله وعلى قدرته وحده (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) .

ويروى أن خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام لما جعلوا يوثقونه قال (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ، لَكَ الْحَمْدُ ، وَكَأَنَّكَ الْمَلِكُ ، لَا شَرِيكَ لَكَ) وروى أن عمره كان اذ ذاك ست عشرة سنة ، وقيل غير هذا ، والله أعلم . وهذا نظرا لقوله تعالى : (قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) الآية 60 من سورة الانبياء فهذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) الآية 51 من نفس السورة والفتى هو الشاب

وكان تحطيم ابراهيم لاصنام قومه المشركين وقولهم (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ مِنْ الظَّالِمِينَ) كان هذا حين رجع القوم من الحفل الذي كانوا فيه ، وهو الاحتفال بعيدهم الذي خرجوا اليه وطلبوا من ابراهيم أن يخرج معهم ويشاركهم فيه فأبى واعتذر ولم يخرج معهم وتخلف عنهم ليعظم أوثانهم التي أضلتهم وصرفتهم

عبادتها عن عبادة الله وحده وعبادة الله وحده هي
العبادة الواجبة عليهم وعلى غيرهم من الناس أما عبادة
الاولثان فهي عبادة باطلة

مجاجته لقومه المشركين :

بذلك الايمان القوى واجه ابراهيم الخليل عليه
السلام عداوة قومه وأهله المشركين ، وواجههم بقوله
(**أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ
الْأَقْدَمُونَ ، فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي
خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ، وَإِذَا
مَرَضْتُ فَهُوَ يَشفِينِ ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ، وَالَّذِي
أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ، رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا
وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)** سورة الشعراء من الآية 75 الى
الآية 83

وتحمل منهم كل ما أصابه من عذاب واهانة وتحريق
وغيرها وذلك كله في سبيل الله وفي سبيل عقيدة
التوحيد العقيدة الصحيحة التي لا ظلم فيها لاحد ، ولم
يصرفه عن دعوته ما رآه من قومه المشركين قساة
القلوب وحتى من أبيه الذي كان يقسو عليه ويعامله
بما لم يقع - عادة - من الوالد لولده من العطف والرحمة
والشفقة في حين توجهت الى نصرته ملائكة الله وسائر
مخلوقاته وكل الحيوانات التي لا تعقل ما عدا الوزغ
- الفويسقة - وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم
بعداوة الاقارب لرسول الله ، فيما أخرجه ابن عساكر

عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (**أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الْأَنْبِيَاءِ
وَأَشَدُّهُمْ عَلَيْهِمُ الْأَقْرَبُونَ**)

قال سعيد بن جبير - وروى عن ابن عباس أيضا -
لما ألقى ابراهيم فى النار جعل خازن المطر يقول متى
أؤمر بالمطر فارسله ؟ قال فكان أمر الله أسرع من أمره ،
قال الله تعالى (**يَا نَارُ : كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**)
وقد تقدم - قريبا - مثل هذا القول وذكر الامام
السيوطى فى الدر المنثور قول أبى ابراهيم حيث قال
وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال
ان أحسن شىء قاله أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو
فى النار وجده يرشح جبينه فقال عند ذلك (نعم
الرب ربك يا ابراهيم) وقيل ان النمرود قال له هذا
كما مر هكذا كان الامر فنجاه الله من كيد المشركين ،
وحفظه من هذه الداهية العظيمة التى أصابته من أجل
عقيدته عقيدة التوحيد فوثق بالله ووعدته ، ولم يعبا
بكيده الكائدين وفى هذا قال الله تعالى (**وَأَرَادُوا بِهِ
كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**) ، أى المفلوبين الاسفلين ،
ورفع مقام خليله ابراهيم عليه السلام

هذا هو الايمان القوى الذى يجعل المؤمن لا يخاف
المخلوق وقوته وجبروته وبطشه ولا يخاف الا الله
هكذا كان موقف ابراهيم فهو لم يخف الا الله الذى
أمره بتبليغ دينه واظهاره بين خلقه ودعوة عباد الله اليه

ولم يكثرث بما أصابه ويصيبه في طريقه من عقبات وتهديدات ومحاولات وقد قال الله لرسوله - موسى وأخيه هارون - حين أرسلهما الى فرعون (**إِنِّي مَعَكُمْ** **أَسْمَعُ وَأَرَى**) . وقال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**) ذلك ان النصر من الله وقد وعد به عباده المؤمنين الثابتين على عقيدتهم الذين لم يغيروها ولم يبدلوها لارضاء فلان الحاكم أو فلان الفنى فان الحق أحق أن يتبع وقد نصر الله خليفه ورسوله ابراهيم عليه السلام وأبطل كيد القوم ومكرهم ، والله جل شأنه ، وعظم سلطانه ، قال فى أمثال هذه المواقف لتأييد أنصار دينه فى كل زمان ومكان (**وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** «50» **فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ، إِنَّا نَمُرُّنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ** «51») سورة النمل وقال (**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا** «15» **وَإَكِيدُ كَيْدًا** «16» **فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيدًا** «17») سورة الطارق وقال (**وَأْمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ**) 183 من سورة الاعراف وقال ها هنا (**وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ**) سورة الانبياء الآية 70 حيث أراد ملكهم نمرود وأصحابه أن يمكروا بابراهيم ويبطلوا دعوته الى الله فجعلهم الله هم الخاسرين فى أعمالهم ومحاولاتهم ، وجعل خليفه هو الرابع الذى خرج من هذا الامتحان والمعركة فائزا منتصرا ورد الله مكرهم فى نحورهم حين سلط عليهم أضعف مخلوقاته وهو البعوض كما ذكره المفسرون .

فقد ذكروا في تفسير الآية (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ**
إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ) الخ تلك المناظرة أو المحاورة التي
دارت بين خليل الرحمن من جهة ، وبين الطاغية النمرود
من جهة ثانية و براسطتها ظهر عجز النمرود ، وبهت أى
احتار ولم يستطع أن يدفع حجة ابراهيم التي قامت عليه
وأظهرت عجزه فصار كأنه أخرس لا يستطيع أن يتكلم
وهو الذى دام ملكه أربعمئة سنة الى زمن ابراهيم فقط
على ما ذكر وكان جبارا قويا ، فساقه غروره بنفسه الى
أن أنكر وجود خالق كل شىء وهو الله رب العالمين
وكان قابضا على أرزاق الناس - وبهذا تجبر - فكان
يعطى الطعام لمن أقر له بالالوهية ويمنعه عن لا يقر
له بها فصادف ذات يوم أن جاء ابراهيم يمتار ويشترى
الطعام لاهله فدخل على النمرود كما دخل عليه من جاء
يمتار وكان الملك يسأل كل من جاء لاخذ الميرة
- الطعام - فيقول له من الهك ؟ فمن قال أنت أمر
له بالميرة ومن لم يقل هذا منع عنه الطعام فجاء
ابراهيم ودخل عليه للميرة كما دخل عليه الناس للفرض
ذاته ، فسأله النمرود من هو ربك ؟ فأجابه ابراهيم بما
هو فى عقيدته (**رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ**) أى يخلق
الموت كما يخلق الحياة فقال له هل هناك اله غيرى ؟
فقال له نعم هو الله ، ولا اله غيره ، وأنت عاجز ، فأمر
بمنعه من أخذ الطعام فعاد الناس الى أهلهم بالطعام
وهم الذين أقروا له بالالوهية وعاد ابراهيم الى أهله
بدون طعام وبالفرارتين فارغتين ، وبقلبه العامر

بالايمان بربه ولم يبع دينه وعقيدته بشيء من الطعام
ليملأ بطنه ويعطل عقله وذكر المفسرون أيضا ان
ابراهيم لما كان فى الطريق مر بكثيب رمل ففكر فى أمر
رجوعه بدون طعام وماذا يقول لاهله وأولاده أمام
جيرانه وهم يعودون بأحمال مثقلة بالطعام ويعود هو
فارغ الفرائتين فكر ابراهيم فى هذا فملأ الفرائتين
رملا من ذلك الكثيب ليعود بهما عامرتين - على أعين
الناس - حتى يظهر للناس أنه عاد بالطعام ليفرح
- أهله وأولاده - به كما يفرح جيرانه وأولادهم بما
جاءوا به ولما وصل الى منزله وأناخ راحلته وأنزل
الفرائتين تعب من السفر فنام ، فقامت امرأته - سارة -
الى الفرائتين وفتحت احدهما فوجدتها مملوءة بدقيق
جيد ما رأت مثله جودة وبياضا فصنعت منه طعاما
وأيقظته من نومه ليأكل فرأى طعاما جيدا فقال لها
مِنْ أَيْنَ جَاءَ كُمُ الطَّعَامُ ؟ فقالت له هذا من الدقيق الذى
جئت به ، فعلم أن الله هو الذى رزقه به ، وأنه رزق ساقه
الله اليه ، فالله هو الرزاق وهو خير الرازقين (**وَمَنْ يَتَّقِ
اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**) .
جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم أن أحد الصحابة
- واسمه عوف بن مالك الاشجعي - أسر العدو ولده
وجزعت الام فشكا اليه ما وقع ، فأمره أن يكسر من قول
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ هو وأمه مع التحلى بالصبر ،
ففعلا وبينما العدو فى غفلة قام الولد وفر من الاسر
وساق غنم القوم أو ابلهم وجاء بها الى والديه فنزلت

الآية السبقة تصديقا لما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم فإبراهيم لما منعه النمرود من الطعام أعطاه الله طعاما أحسن من طعام النمرود يظهر الله لعباده عجز الناس وقدرته وأنه هو الرزاق لا سواه وفي وقتنا هذا نرى أشباها للنمرود في بعض الحكام يمنعون الوظيفة لطلب العيش عن لا يوافقونهم على سياستهم التي يسوسون بها البلاد ، فهم نمارذة هذا الزمان وسيلقون ما لقيه سلفهم

ان النمرود أنكر وجود الله ، وأنكر أن يكون ثم اله غيره وأنه بيده رزق الناس فمن أقر بالوهيته أعطاه ومن أنكرها منعه كما أنكر هذا بعده (فرعون) وادعى جهلا وغرورا مثل ما ادعاه النمرود قبله ، وقال لمن حوله (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) فكانت عاقبة هذين الطاغيتين الموت على أسوأ حالة من حالات الموت ، فرعون مات غريقا في البحر ولم تنفعه تلك القوة التي كان يدعيها وبقيت وفاته عبرة لمن جاؤوا بعده لو كانوا يعتبرون بدروس الماضي التي قضت على الجبابرة

أما النمرود فقد سلط الله عليه أضعف مخلوقاته وهو البعوض فقد سلطه الله عليه وعلى مصدر قوته وهو الجند فبعث الله عليهم شيئا عظيما من جنده - البعوض - كما ذكر المفسرون فأكل لحومهم وشرب دماغهم وتركهم عظاما مجردة أما طاغيتهم فقد دخلت واحدة فقط من ذلك البعوض - جنده الله - منخره

وتسربت الى دماغه وبقيت فيه مدة من الزمن يتألم
منها شديد الالم ودام بقاؤها فيه حيناً من الزمن الله
أعلم به وبعض المفسرين يقدرها بأربعين سنة الله
وحده أعلم بها كل هذا زيادة له فى العذاب وحرمته
- بطينها - نعمة التمتع بالحياة ، وكان يحب من يضربه
على رأسه لتسكن هى وليذوق هو شيئاً من الراحة
بسكونها وهذا أعز الناس عنده وبقي على هذا الحال
حتى هلك ومات

هذه نهاية الجبارة الطفافة فى كل زمان ومكان
تختم حياتهم بأسوأ حالات الموت ليكونوا عبرة وموعظة
للغافلين عن قدرة الواحد القهار فانهم كانوا اذا أحسوا
بشئ من القدرة والقوة بتسلطهم على الضعفاء من خلق
الله وخضع لهم هؤلاء الضعفاء غرتهم أنفسهم الدنيئة
فظلموا عباد الله ونسوا الخالق العليم القوى وظنوا
أنهم بمنجاة من قبضته حتى تحين ساعتهم التى قدرها
لهم « **إِنَّ اللَّهَ يُمِهُلُ وَلَا يُمِهُلُ** » فاذا جاءت ساعتهم
لا ينفعهم جند ولا حصون ولا قوة مهما عظمت، ولا أحمق
وأمر أطباء العالم أجمع ولو أحضروا معهم أحدث
الاجهزة الطبية وأصناف الادوية، فلا يرد ذلك ما قدره الله،
قال الله تعالى « **إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُونَ** » من الآية 4 من سورة نوح عليه السلام ، وقال
« **فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** »
هكذا قال الله الخالق الرزاق الواحد القهار فى القرآن

فأين ذهبت عقول العباد؟؟؟ ولا حول ولا قوة تقف
أمام قوة الله فالنمرود مات ببعوضة وفرعون مات
غريقاً في البحر وفي هذين عبرة لمن كان له قلب يفكر
ويفهم ولمن أراد أن يعتبر من العباد المغرورين - وما
أكثرهم - كما هو درس بليغ وفصيح للناس أجمعين
فالقوة والامر والحكم لله وحده وهو رب العالمين



الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
وما أصابه من قومه المشركين
وأول من أظهر الاسلام

عندما يظهر الشرك والكفر بالله الخالق لكل مخلوق تأتي رحمة الله بعباده فيتداركهم بارسال رسول منهم ينقذهم مما هم عليه وينجيهم برحمته من غضبه على المشركين الذين تركوا عبادة الله الواحد التي تجب عليهم له جل علاه وأقبلوا على الانداد والاوثنان حيث اتخذوها شريكة له في العبادة ، وخصوها بالقسم الاكبر منها. هكذا كانت حياة البشر في الازمنة الغابرة موزعة بين الشرك بالله والايمان به كفر وجحود للخالق الواحد وايمان به وبالوهيته وهذا نتيجة لبعث رسول من رسل الله أنقذ به البشر الى حين ، اذ لا يليق بمعبود يرجى لجلب الخير ودفع الضر عن عابده أن يترك عابده تلعب بعقله رؤس الشرك والضلال فتوقعه في الفواية والخسران لان الانسان عاجز عن ادراك الحقيقة كما هي فيما يخص الخالق وما يجب له على عباده من الطاعة والعبادة على وجهها الكامل وذلك لضعفه عن ادراك ذلك ، فهو يستعين بقدرته

– تعالى – وتديره على تحصيل ما يريد من جلب الخير والمنفعة له والاستعانة بقدرته على دفع ما يضر به وبمصالحه وفي مقابل هذه العقيدة الصحيحة يخضع لقدرته ويراه أهلاً للطاعة والعبادة والخوف من غضبه وخطوته وانتقامه ممن عصاه وكفر به

ولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في « مكة » المكرمة ونشأ بها في وسط قوم مشركين بالله ، يعبدون الاوثان والاحجار ويعتقدون فيها أنها شريكة لله في الالهية والعبادة وأن عبادتها تقربهم الى الله وتضر من لم يعبدها وتنفع من عبدها اذ قالوا « مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى » سورة الزمر الآية 3

وهذه هي عقيدة المشركين من قبل في آلهتهم كما قال أصحاب رسول الله «هود» عليه السلام لرسولهم هذا (قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ، وَمَا نَعْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ، وَمَا نَعْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (53)) إِنَّ نَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ، قَالَ : إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (54)) مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (55)) سورة هود هذه هي عقيدة المشركين في آلهتهم وهي عقيدة ساذجة ، لا تفكير فيها ، حيث اعتقدوا أنها تنفع وتضر فلو فكر المشركون – قليلاً – في آلهتهم لما قالوا فيها ما قالوه عن عقيدة ، تدل على الجهل والغباوة وقصر النظر فكيف تستطيع الحجارة أو غيرها أن تلحق السوء والضرر بمن لا يؤمن بها .

من أجل ابطال هذه العقيدة الفاسدة جاءت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم من الله الاله العالمين لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمره بتبليغها - اذ هي رسالة التوحيد - الى هؤلاء المشركين والى غيرهم فرسالة محمد صلى الله عليه وسلم عامة الى الناس كلهم وهي مستمرة على عمومها الى قيام الساعة وانقضاء الدنيا. كما قال الله فيها وفيه « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » سورة سبا - الآية 28 وقال « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا » ، سورة الاعراف - الآية 158

وليس من الهين على أناس ألفوا عقيدة ولو كانت باطلة ومجانبة للحق والعقل أن يقلعوا عنها بادية ذى بدء من غير حوار ومجابهة مرات ومرات فكان فى المبلغين من آمن بها وقبلها وأقبل عليها وتذوقها وسعى فى نقلها الى أهله وعشيرته وجيرانه ومن له صلة به بل ودافع عنها وعادى من أجلها وحارب لنصرتها حسب ايمانه فكان الذين أقبلوا على الدعوة المحمدية فى أول الامر قليلين ، لكنهم أخذوا فى الزيادة بالرغم مما تجده الدعوة والدعاة فى سبيلهما من المقاومة الشديدة والحاقدة عليها وعليهم ، لكنها كانت تستند الى قوة عقيدة الدعاة ، فهانت عليهم أرواحهم وأموالهم وأهلهم فى سبيل نشرها وتأييدها والدفاع عنها وهذا ما جعلها تتقوى شيئاً فشيئاً رغم كل ما ذكر .

وهذا سبيل كل دعوة تستند الى الحق والحجة والاقناع،
ولم تفرض على الناس فرضا ولم تنشر بالكذب
والتزوير والبهتان والاغراء بالوظيف أو بالمال والجاه
شأن الدعوات السياسية منها وغيرها

وذلك ما جعل الدعوة الاسلامية تنتشر بسرعة
مدهشة فى مدة عقد من الزمن بلغ صيتها الاماكن
البعيدة عن مركزها الاصلى ولم يوجد فى ذلك الوقت
من وسائل النشر والاعلام لا يصلها الى خارج حدودها
ما يساعد على هذا فأقبل عليها وعلى اعتناقها والدعوة
اليها - أناس فتح الله لهم أبصارهم وبصائرهم ففازوا
بالسبق اليها فمنهم من استشهد فى سبيل عقيدته
الحديثة الصحيحة ، ولم يبخل عليها بروحه وماله ، ومنهم
من سلمه الله حتى رأى رأى العين ثمرتها ونتيجتها التى
ظهرت للبشرية كلها فتطهرت العقول والافكار من
أقذار الشرك والوثنية التى ألحقت بالانسان المذلة
والخزى والعار حيث جعلته عقيدة الشرك ينقاد
ويستسلم للاوهام والخرافات معرضا عن الحقائق البينة
الثابتة بالحجة والبرهان اذ لم تكن العقيدة الاسلامية
- عقيدة التوحيد - تفرض على الناس بالقوة والقهر
والكذب والتزوير مثلما تستعمله - الآن - بعض
العقائد الانحادية التى تفرض بالقوة على الشعوب
الضعيفة والمضطهدة ويدعى جالبوها ومروجوها انها
اختيار شعبى بمعنى أن الشعب هو الذى اختارها
ورضى بها ، ولماذا هذا التزوير؟ وما الداعى اليه؟ ذلك

لان بعض المسؤولين فى تلك الشعوب وجدوا فيها مكسبا
ومفنا ومعينا لا ينضب ولا يفيض من الكسب غير
المشروع قانونا وعرفا وأخلاقا من متع الدنيا وملذاتها
وشهواتها وجندوا لها جنودا من المرتزقة هم أشبه
شيء بجنود « الفرقة الاجنبية » فى الجيش الفرنسى التى
كانت عندنا بالجزائر وقد عاثت فى الوطن فسادا
بالقتل والنهب وغيرهما - وقد طهر الله منها ومن
جرائمها الوطن بفضل حرب التحرير وبنعمة الحرية
والاستقلال هؤلاء المرتزقة الذين يدافعون عنها
ويرغبون الناس فى عقيدة الالحاد ويقولون لهم انها
افضل من الشرائع السماوية التى جاء بها الرسل
الكرام من عند خالق الخلق أجمعين ومدبر الاكوان
ومع ما أفسح لها من مجالات لنشر دعوتها الالحادية
فانها لم تجد فى الشعوب الحية ذات العقيدة الصحيحة
الا الرفض والاهمال والصدود والاعراض عنها وعن
مروجيها متبوعة باللعنات التى تتبع دائما أصحاب
الضلالات

ان العقيدة الاسلامية وشريعتها الكاملة جاءت بحرية
الرأى والفكر والقول والحوار فى كل شىء ، ولم تلزم
أحدا بقبولها بالقوة ذلك ما نجده فى قوله تعالى
« **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** » .
سورة البقرة - الآية 258 كما قال الله لرسوله الداعى
اليه بأذنه والى العقيدة التى أمره بالدعوة اليها وتبليغها
الى عباده مخاطبا له بقوله : « **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي**

الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ، أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا
مُؤْمِنِينَ؟ « سورة يونس - الآية 99. فالشريعة الاسلامية
 وعقيدتها تقبل ممن يريد أن يتعرف عليها وعلى حقيقتها
 الحوار في سبيل ذلك فكم من مجالس عقدت لهذا
 الغرض مع المخالفين لها حتى اذا اتضح الامر وبيان
 المقصود اقتنع كل واحد بما مالت نفسه اليه بلا الزام
 فمنهم من آمن ومنهم من كفر واستمر على كفره وعقيدته
 وأمر الله رسوله بأن يقول « **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ**
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ » سورة الكهف - الآية 29

لكن بعض المشركين الفشمة (ومن على شاكلتهم في
 هذا العصر) لا يحلو لهم البحث والحوار من أجل البلوغ
 الى الحقيقة - والحقيقة بنت البحث دائما - فيعمدون
 الى الزام الناس واجبارهم على اعتناق مذهبهم والعمل
 بعقيدتهم فيعتمدون على القوة والجبروت والطفيان
 ومثل هذا السلوك لا يفيد الدعوة بشيء فسرعان ما
 تنقلب على صاحبها وترية عكس ما رآه وذهب اليه
 مثلما وقع من أصحاب الاخدود الذين ذكرهم الله في
 القرآن - وستأتى قصتهم قريبا ان شاء الله - اذ شرح
 الرسول صلى الله عليه وسلم ما وقع لهم كما جاء في
 حديث الامام مسلم في صحيحه عن صهيب رضى الله
 عنه اذ فى قصص القرآن عبر وأى عبر لمن كان له قلب
 يفكر ويعتبر ، كما قال الله تعالى : « **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ**
عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى » سورة يوسف

الآية III .

وقد أصاب المسلمين - قديما وحديثا - ما أصابهم
من أذى واضطهاد من أجل عقيدتهم في دينهم ، ولكن هل
صدهم عنها هذا الذي لاقوه في سبيلها ؟ كلا والله
فانهم تمسكوا بها وازدادوا حبا لها ، وايماننا بها ، ودفاعا
عنها ، ونصرة لها

وبهذه المواقف الشجاعة تنتصر - دائما - عقيدة
الحق على عقيدة الباطل فمهما ازداد الطاغون في
طغيانهم الا وقابلهم المستضعفون بثباتهم على عقيدتهم
وايمانهم بها الى ان ينصر الله أهل تلك العقيدة الحققة
- بعد الامتحان لهم بما يصيبهم في سبيلها - على أهل
عقيدة الباطل والضلال والوثنية الباطلة وقد لحق
ضعفاء المسلمين من أقوياء المشركين شيء كثير من العذاب
والاضطهاد - وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم -
فأنظالمون يزدادون كل يوم عتوا وطغيانا والمؤمنون
عددهم في نمو وازدياد وصبر وثبات وتحمل لاذى
المشركين ، حتى كانت الهجرة الى المدينة المنورة ، وبعدها
جاء النصر من عند الله للحق على الباطل ، ودارت الدائرة
- كما هو الشأن في مثل هذا - على البغاة والمفسدين
أعداء الحق وأنصار الباطل

ومن الذين أصابهم اضطهاد مشركى قريش وجبايرتها
رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد لحقه من قومه
وعشيرته من هذا الشيء الكثير ولا ننسى موقف عمه
أبي لهب وزوجه أم جميل « حَمَّالَةُ الْحَطَبِ » وفي هذا

دليل على ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من
الاذى الذى أصاب أصحاب الدعوة المحمدية وأنصارها
وفى هذا قال شوقى رحمه الله

وَكَانَ مِنْ أَفْحَشِهِمْ أَبُو لَهَبٍ عَمٌّ وَلَكِنْ مَذْهَبَ الشُّوءِ ذَهَبٌ

ومثل الانبياء فى هذا العلماء والدعاة الى الله والى
شرع الله اذ هم ورثة الانبياء والمرسلين فى التبليغ
والنواب عنهم اذا غابوا فى تبليغ دعوتهم فيلحقهم
ما لحقهم من طفاة الحكام الجاهلين لشرع الله اذا
عارضوهم ولم يوافقوهم ولم يتواطؤوا معهم على الضلال
ولو بالسكوت عنهم اذ قد وجدوا السكوت فى بعض من
ينسبون الى العلم والدين فبينما يجد هذا الصنف من
العلماء المزعومين الحظوة عند الحكام الظلمة لسكوتهم
عنهم يلقي الصنف الآخر منهم الرقابة الصارمة والمعاكسة
التامة فى كل شىء ، وقد سلطت عليهم الشرطة السرية
تحصى عليهم أنفاسهم وخطواتهم فهم - دائما - فى
متابعتهم وملاحقتهم - كأنهم الحفظة - من أجل الموقف
الحر الى جانب الدعوة الى الله وفى سبيل الله وذلك
النوع من العلماء المتملقين ضعفاء الايمان بربهم وبدينهم
الذين يسرون فى ركاب المحاربين لتلك الدعوة والعقيدة
موجودون فى كل زمان ومكان واذا لزم الامر ودعت
الحاجة الى ابطال السنن النبوية المؤكدة أو ابتداع
سنن أو افرائض أخرى أجابوا الى ما يطلب منهم ، وكانوا
أسرع من البرق فى لمعانه الى هذه الاجابة بطرق فلسفية

عجيبة في باب الفلسفة الدينية - ان كانت لاحكام الدين
فلسفة - كابطال سنة الاضحية المؤكدة - مثلا - بدعوى
لا أصل لها في الاسلام من تقديم الواجب على السنة
بفكرة مخترعة متفلسفة وفي هذا قتل وتعطيل للسنن
المؤكدة اذ الاضحية سنة الانبياء والمرسلين من زمن
ابراهيم الى رسولنا محمد صلى الله عليهم - جميعا -
وسلم ونحن مأمورون باحياء السنن لا بقتلها كما
فعل وضاعوا الحديث الموضوع عن النبي صلى الله عليه
وسلم تزلفا للحكام والملوك

وقد ظهر في وقتنا هذا زهد واهمال لجانب العلم
والدين ، وفي بعض الاوقات تزهد فيه متعمد ومقصود ،
وقد لحق العلماء نصيب من هذا وكى لا يفشل العلماء
ولا يتأخروا عن واجبهم طمأنهم الرسول صلى الله عليه
وسلم بأنهم سينالهم ما نال الرسل عليهم الصلاة والسلام ،
حيث قال في العلماء العاملين ما قاله في الانبياء والمرسلين
بحكم الوراثة وذلك حين قال (**أَزْهَدُ النَّاسِ فِي الْعَالَمِ**
أَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ) . أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أبي
الدرداء رضى الله عنه وقد شاهدنا هذا بأعيننا فى
وطننا مع كبار علمائنا كالشيخين عبد الحميد
ابن باديس ومحمد البشير الابراهيمى وغيرهما
رحمهم الله على قيامهم بما فرض عليهم فى أوقات صعبة
جدا فقد كانوا موضع عناية ورعاية واحترام من
الناس الاباعد عنهم نسبا أو دارا ، وهذا حين يفارقون

أهلهم وجيرانهم سواء في داخل تراب وطنهم أو في خارجه وينزلون بين أبعد الناس عنهم نسبا أو دارا ولا يجدون بين أهلهم وجيرانهم ما يجدونه خارجهما فهذه المعاملة احدى سنن خلق الله في عباده من القديم الى اآن ، فلا عتاب ولا ملامة فيما جرت به السنن الالهية ، وما ذكرت هذا الا للعبرة والاعتبار

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحلف الصحيفة :

لما شاهد مشركو قريش فشو الاسلام وسرعة انتشاره كما شاهدوا أن قوتهم وتعذيبهم لضعفاء المسلمين لم تجدهم نفعا بل ما زاد الاسلام الا انتشارا بين الناس فلما رأوا هذا عمدوا الى مقاطعة آل الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وبنى عبد المطلب بنى عبد مناف واتفقوا على مقاطعتهم بأن لا يتعاملوا معهم كما أجمعوا أمرهم على أن لا يجالسوهم ولا يباعدوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم ولا يتزاوجوا معهم حتى يسلموا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكتبوا بهذا صحيفة ذكروا فى صلبها هذا وأكدوا ذلك بالعهود والمواثيق على أن لا يقبلوا من بنى هاشم صلحا أبدا ولا تأخذهم فيهم رافة حتى يسلموا لهم رسول الله للقتل

وتم لهم هذا بمحاصرتهم لبنى هاشم فى شعب أبى طالب - الشعب بكسر الشين شق فى الجبل يشبه المنجأ - فلبث بنو هاشم فى الشعب ، ومعهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم - ثلاث سنين كما ورد في كتب السيرة واشتد عليهم البلاء والجهد والجوع وقطعوا عنهم الاسواق فلا بيع ولا شراء معهم اذ يريدون من وراء هذا سفك دم الرسول صلى الله عليه وسلم فاتفق بنو هاشم وبنو عبد المطلب - مؤمنهم وكافرهم - وهم في الشعب تحت الحصار على أن لا يسلموا رسول الله اليهم ليقتلوه ما عدا أبا لهب - طبعاً - اذ هو وأولاده في صف المشركين انجازوا اليهم من أول يوم ، والمقصود بهذا الحصار تجويع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به اذ هو نوع من أنواع أعمال الطفافة وأسلوب معروف من أساليبهم كما فعلت - حديثاً - دولة أمريكا هذا مع الجمهورية الاسلامية الايرانية في ايامنا هذه ودعت الدول التي تسير في فلكها - وحتى من بعض الدول العربية والمسلمة أيضاً على ما هو مكتوب في دستورها - الى مسانبتها في عدم التعاون مع الجمهورية الاسلامية الايرانية - يا له من أسلوب كاذب تستروا وراءه - كل هذا لما رأوها تعمل للاسلام اذ شرعت في تطبيق حدوده وأحكامه كحد الزنى والسرقه والقتل وأنها سائرة في طريق التقوى وبناء دولة اسلامية قوية فبعض جيرانها خشوا من شعوبهم أن يسلكوا نفس المسلك الذي سلكه الشعب الايراني المسلم فوضعوا في طريقها العراقيل وهم في هذا مدفوعون اليه من أعداء الاسلام اذ ما هم الا منفذون لما يرغب

فيه أعداء الاسلام فأمثال مشركى مكة موجودون فى كل
زمان ومكان

وعندما اشتد أذى مشركى قريش على المسلمين شرعوا
فى الهجرة الى خارج نفوذ المشركين فبعض المسلمين
هاجروا الى الحبشة المسيحية اذ وجدوا فى حاكمها
«النجاشى» حسن الاستقبال والجوار والرعاية والامان
وسعة الصدر وهذا لم يجدوه بين أهلهم وفى بلدهم
مكة اذ لم يضق صدره من المسلمين وهم فى بلده
وان كانوا مخالفين له فى عقيدته ودينه ذلك لانه
مسيحى صميم غير متعصب ولم يكن فى قلبه أى حقد
على الاسلام وعقيدته وقد أثنى الله فى القرآن عليهم
- الحبشة - كما جاء فى قوله تعالى (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ
عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ، وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ
بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهَبَانًا ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) .
سورة المائدة ، الآية 82

ان حلف الصحيفة التى كتبها مشركو قريش وتحالفوا
على تنفيذ ما جاء فيها أمره معروف والغاية
منه كذلك ظاهرة ان القوم أرادوا بذلك
الحصار معاقبة الرسول الكريم انتقاما وانتصارا
لأحجارهم المعبودة من دون الله وخاصة اذا علمنا أنهم
كانوا يعتقدون نجاح عملهم هذا وهذا كيد وخيانة
والله لا يهدى كيد الخائنين ، وقد أفسد الله عليهم هذه
الخطة الشيطانية ، اذ اتفقت كلمتهم على هذا الحلف

والمقاطعة والحصار فقد كتبوا ما اتفقوا عليه - كما
سلف - في معاهدتهم تلك، وأطلقوا عليها اسم (حلف
الصحيفة) وتواثقوا على ما فيها فكتبوها وعلقوها في
جوف الكعبة فعلوا هذا توكيدا للعهد والحلف
وانحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب - وهم بنو عبد
مناف - الى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم
وكافله في صغره ودخلوا معه في شعبه وانضموا اليه
وخرج عن جمعهم هذا أبو لهب عم النبي صلى الله عليه
وسلم ودخل مع قريش في حلفها ولم يدخل مع بنى
هاشم عشيرته وأهله كما مر قريبا وظاهر قريشا
وهذا من تأثير العقيدة وان كانت باطلة

قال ابن اسحاق وحدثني حسين بن عبد الله أن
أبا لهب لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة - زوج أبي سفيان
ابن حرب - حين ترك قومه وانحاز الى قريش في حلفهم
فقال لها يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت
من فارقهما وظاهر عليهما؟؟ قالت نعم فجزاك الله
خيرا يا أبا عتبة

وقال ابن اسحاق أيضا وحدثت أنه كان يقول في
بعض ما يقول يعدنى محمد أشياء لا أراها يزعم
أنها كائنة بعد الموت فماذا وضع فى يدي بعد ذلك؟
ثم ينفخ فى يديه ثم يقول - مخاطبا يديه - تبا لكما
ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله فيه
(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) وفى كلامه هذا سخرية

واستهزاء بما يعده به الرسول صلى الله عليه وسلم من الجنة وغيرها، وهذا الوعد من الله، وعد به المؤمنين.

وكان في المشركين من لم يرض بهذا الحصار من قريش على بنى عبد مناف - فكان يحمل الجمل بالطعام ويأتي به في الليل حيث لا يراه أحد من قريش، وينزع عن البعير خطامه ويرسله عند مدخل الشعب فيذهب البعير وحيداً ويقف أمام المحاصرين فيتولون بأخذ حمولته فينزلونها عن البعير ثم يرسلونه من حيث جاء فيعود إلى صاحبه بعد أن أفرغت عنه حمولته وهذا دليل على أن في المشركين من كان غير راض بفعل قومه قساة القلوب متحجرى الأكباد حيث منعوا الطعام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أسرته المؤمنة بالله ورسوله

ثم جاءت عناية الله ورعايته لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مدة طويلة مرت عليه وهو في الحصار المضروب عليه من قبل المشركين جاءت بما لم يخطر على بال، فقد أرسل الله حشرة صغيرة قضت على ذلك الحلف الجائر المكتوب في الصحيفة المعلقة في الكعبة والذي أريد به تجويع الرسول وأهله والمؤمنين معه حتى يسلموه لأعداء الله وأعداء الحق والدين مقابل ملء البطون الجائعة، وما دروا أن ملء العقل وشحنه بالعقيدة الصحيحة المبنية على ما يحبه الله ويرضى به خير وأولى وأصلح بالعقل من كل شيء سواه، فهذا أولى وأجدى من ملء البطون وفراغ العقول.

كانت عناية الله برسوله وبيدنه بالفة في تلك
الحشرة الصغيرة فقد سلطها الله على صحيفة التحالف
تلك تلك الحشرة هي الارضة - العثة - التي تتلف
الورق والملابس فتجعلها غير صالحة للاستعمال فقد
لحست كل ما كان مكتوبا فيها وأكلت ما في تلك
الصحيفة من كلمات العهد والميثاق وما الى ذلك ولم
تترك سالما الا الكلمات التي فيها ذكر الله مثل باسمك
اللهم الخ وذكر ابن كثير في السيرة أن الوحي نزل على
النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بهذا وذكر النبي
صلى الله عليه وسلم هذا لعمه أبي طالب فقال أبو
طالب لا والثواقب ما كذبنى ابن أخى ولما استوثق
عنه من هذا خرج الى قريش وطلب منهم الايمان
بالصحيفة وقراءتها أمام الناس فاذا وجد فيها ما اتفق
عليه قريش وحلفاؤهم صحيحا سلم لهم ابن أخيه ليقتلوه
ففرحت قريش بهذا وظنوه انتصارا لهم ولآلهتهم
ونتيجة من نتائج الحصار وأنهم سيقتلون رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما جاؤوا بالصحيفة وجدوها
خالية من كل ما قالوه واتفقوا عليه، ولم يجدوا فيها الا
بعض كلمات أسماء الجلالة التي كانت كتبت في الصحيفة
وهنا دهشوا وخابت مساعيهم وذهب عنهم فرحهم
وبطلت أعمالهم ومكائدهم حين ذهب ما في الصحيفة
من العهود والمواثيق التي تعاهدوا عليها فبطل التزام
من التزم وعهد من تعهد، وكان البعض ممن حضروا
التعهد بما في الصحيفة قد أعجبهم هذا المعو

للصحيفة فلما وجدوها خالية من كل تعهد
واتزام وجدوا السبيل أمامهم سهلا للخروج
مما كانوا تعهدوا به فنقضوا ما كانوا تعهدوا
به وأبرموه وبهذا ظهر نصر الله لرسوله محمد صلى
الله عليه وسلم ولحزبه حزب الله فلم يلن لهم ولم
يضعف ولم يترك الدعوة الى الله مقابل اشباع بطنه
كما يفعل في وقتنا الحاضر من يدعون الاسلام وهم
يعملون على تحطيمه بما يأخذونه مقابل سكوتهم عن
نصرة الحق والعقيدة والدين والدعوة اليه والله در
عزيز النفس ائذى قال

ولا ألين لغير الحق أسأله

حتى تلين لضرس الماضغ الحجر

فالشاعر الحكيم قال اننى لا أستجيب لاي انسان طلب
منى غير الحق ولا يجد فى لينا وتساھلا لاجل طلبه
الا كما تلين الحجر لضرس الماضغ لها ومن المعروف أن
الحجر لا تلين للمضغ وهو تشبيه يدل على صلابة العود
وقوة العقيدة التى تحلى بها هذا الشاعر فانه لا يقبل
التنازل ولا يميل ويلين الا للحق

اشتداد أذى المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم :

أصيب الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه
أبى طالب وزوجته البارة خديجة بنت خويلد رضى
الله عنها بما ثم يكن يصاب به لو كانا على قيد الحياة ،
فقد هنكا فى عام واحد ، والمدة بينهما قريبة ، ولم

يعرف بالضبط أيهما السابق في الوفاة لتعدد الاقوال ، هل عمه قبل زوجته أو هي قبله ، خلاف لا يتوقف عليه شيء وكانا هما المشفقين عليه ذلك عمه ومربيه وكافله من صغره وهذه زوجته وناصرته ومعينته على تبليغ الدعوة والرسالة وأولى المؤمنات به من النساء عمه في الظاهر وزوجه في الباطن كلاهما دفع عنه ظلم قريش فهو كافر به - كرسول - منكر لدعوته ولدينه وهي مؤمنة به وبدينه وبدعوته وقد نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تطمع فيه قبل موت عمه أبي طالب وزوجه خديجة رضي الله عنها فدخل بيته في يوم من الايام والتراب فوق رأسه رمته عليه قريش فقامت إحدى بناته تزيله عنه وتبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها (لَا تَبْكِي يَا بِنْتِي ، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ) وكان يقول في بعض المناسبات (مَا نَأَلْتُ مِنْ قُرَيْشٍ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ عَمِّي أَبُو طَالِبٍ)

الرسول صلى الله عليه وسلم وقبيلة ثقيف في الطائف :

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم الى الطائف من أجل الدعوة الى دين الله وكان هذا الخروج بعد موت عمه أبي طالب وزوجه البرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقصد قبيلة (ثقيف) فصدوا لعلها تنصره على خصوم الدعوة وتستجيب لدعوة الله فتفوز بالسبق الى الدين الحنيف وتنال ما يبقى لها ذكرا جميلا وذخرا طيبا ، غير انها أعرضت عن هذه

الدعوة المحمدية وأقبلت على دعوة الشيطان فسخرها الى أن تكون في خدمة الاوثان أولى لها من أن تكون من جنود الرحمن وقصد في ثقيف اخوة ثلاثة هم من عائلة مشهورة في القبيلة كان يظن أنهم يستجيبون له وينصرونه على من وقف في طريق تبليغ دعوة الله ، ودعوة رسوله وذلك ما يكسبها الكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة ولكن (تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ) كما جاء في المثل العربي القديم وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم عبد ياليل ومسعود ، وحبیب بنو عمرو بن عمير وهم سادة ثقيف وأشرافها ولهم الكلمة المسموعة والنافذة في القبيلة فجلس اليهم وحدثهم عن السبب الذي جعله يقصدهم من أجله غير أنهم ردوا دعوته ردا غير مناسب للداعي ولا لمن أرسله بعد أن بين لهم انه انما قصدهم لينصروه على المعارضين له حتى يبلغ دعوة الله فقال له أحدهم في رده لتلك الدعوة

(1) هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك - يريد هو يزيلها ويرمى بها كما يزال الشعر ويرمى به -

(2) وقال الآخر أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟

(3) وقال الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك .

ولما لم تستجب اليه هذه القبيلة على لسان أشرافها
 رجع الى مكة بدون نتيجة من ثقيف فلم يستجيبوا
 للدعوة بل أغروا به السفهاء منهم والعبيد والاوباش
 ومن لا خلاق له من الصبيان وغيرهم فسبوه وصاحوا عليه
 بأقوال السفهاء والسفهاء لا يعرفون الا السفهاء ومن
 لا خلاق لهم فاجتمعوا عليه وجعلوا فيما بينهم صفين
 يرمى عليه بالحجارة كل صف منهما فاذا سلم من هذا
 الصف وحجارته أصابته حجارة الصف المقابل فما
 خرج من بين الصفين الا وقدماه الشريفتان تسيلان دما ،
 وهما اللتان جعلهما الله لتبليغ الدعوة الى الخلق ، ولخدمة
 الاسلام والعقيدة والسير بهما في سبيل الله فكل ما
 أصابه أو يصيب غيره من الدعوة الى الحق والخير انما هو
 من أجل الدعوة الى الله والثبات عليها واردة الخير
 لبنى الانسان

وعند منصرفه من الطائف عائدا الى مكة بعد أن رده
 أهلها ذلك الرد القبيح نزل في مكان وارتاح فيه ثم
 توجه الى ربه بدعاء له مغزاه وتضرع اليه كي ينصر
 دينه وأنه لم يفرط فيما أمره به ربه ليلغنه للناس
 فقال (**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ،**
وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، أَنْتَ رَبُّ
الْمُسْتَضْعِفِينَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ ؟ إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ ؟
إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ ؟ إِلَى مَنْ تَكَلَّمْتُ ؟)
يَتَجَهَّمُنِي ؟ أَمْ إِلَى عَدُوِّ مَلَكْتَهُ أَمْرِي ؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ
غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي ، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي ، أَعُوذُ بِنُورِ
وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلِّحْ عَلَيَّ أَمْرُ

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، مِنْ أَنْ تُنَزَلَ بِي غَضَبِكَ ، أَوْ تُعَلَّ عَلَيَّ
سُخْطَكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ)

(عن ج I من سيرة ابن هشام ص 420 - تاريخ الطبرى ج 2
ص 345)

هذا هو دعاء الرسول المهموم والمغموم من رد أشراف
قبيلة ثقيف دعوة الله ورسوله ردا لا يليق بالأشراف
ولكنه الجهل وعبادة الاوثان وأثرهما فى النفوس

وثبت فى الصحيحين عن عروة بن الزبير عن عائشة
رضى الله عنها أنها حدثته فقالت قلت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان أشد عليك
من يوم أحد ؟ قال مَا لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ كَانَ أَشَدَّ مِنْهُ يَوْمَ
الْعُقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ
فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِى
فَلَمْ أَسْتَفِيقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ - قرن الثعالب قال
القاضى عياض قرن المنازل وهو قرن الثعالب وهو
مكان بين مكة والطائف وهو بسكون الراء - فَرَفَعْتُ
رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَعَابَةِ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَانْظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا
جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ
قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ لَكَ مَلَكًا
الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، ثُمَّ نَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ
عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ قَدْ بَعَثَنِى اللَّهُ إِلَيْكَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ
سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ قَدْ بَعَثَنِى إِلَيْكَ
رَبُّكَ لِتَأْمُرَنِى بِمَا شِئْتَ ، إِنَّ شِئْتَ نَطِيقُ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ

– الاخشبان هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى –
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ
اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)

وفى رجوعه من الطائف الى مكة بعد أن يئس من
أهلها نزل بوادى « نخلة » فقام من جوف الليل يصلى
فمر به نفر من الجن ، وهو يصلى قيل انهم سبعة ، فلما
سمعوه يقرأ القرآن فى صلاته رجعوا الى قومهم مؤمنين
بما سمعوا من كلام الله ذلك ما أشارت اليه الآية
الكريمة من قوله تعالى فى سورة الاحقاف (وَإِذْ صَرَفْنَا
إِلَيْكَ نَفْرًا مِنْ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ، الى قوله تعالى فى
ضَلَالٍ مُبِينٍ) الآيات من 29 الى 32 منها على ما ذكره علماء
التفسير اذ تكرر سماع الجن للقرآن من النبى صلى الله
عليه وسلم

(وَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ) فجميع ما نال الدعوة كان
من أجل الدعوة الى الله والثبات عليها واردة الخير
لبنى الانسان أينما كانوا

ومن المحاولات التى قام بها مشركو قريش لصدده عن
الدعوة وتبليغ الدين الى الناس تلك المحاولة التى قاموا
بها ، حين توجهوا الى عمه أبى طالب طالبين منه أن يكون
واسطة بينهم وبين ابن أخيه بأن يترك الدعوة الى دينه
ويتخلى عن شتم آلهم – الباطلة – غير أنهم خابوا فى
محاولتهم هذه فقد حاول أبو طالب – فى حياته بعد
مساعى قريش الملحة – أن يصدده عنها استجابة لرغبة

قريش ، ويتخلى عن الدعوة الى الله ويترك الاساءة - فى
زعمهم - الى أوثانهم وآلهتهم فأبى وقال لعمه
(يَا عَمُّ ... وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ
فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ،
أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ) .

هذا هو السبيل أو الخط الذى سار فيه الرسول صلى
الله عليه وسلم بالاسلام ودعوته وعقيدته فلم يضعف
ولم يترك الدعوة وصبر على أذى أعداء الله وأعداء دين
الله الحق حتى نصره الله على الخرافيين عباد الاحجار
والاشجار وقد رسم هذا الخط بمواقفه الصلبة فى
وجه خصوم العقيدة والدين - رسمه لاتباعه ليسلكوا
مسلكه وليقتفوا أثره فى مثل مواقفه تلك غير أن
هؤلاء الاتباع تحولوا عن خطه ومنهاجه فحل بهم
البوار والضعف

ومما زاد فى قوة الاسلام - بعد ما لحق الرسول ما
لحقه - وانتصاره على الخرافيين اسلام بعض الشخصيات
القوية فى مجتمعها ومحيطها ودخولها فى الاسلام
شخصيات لها وزنها وقيمتها فى وسطها مثل حمزة عم
الرسول صلى الله عليه وسلم « أسد الله » وعمر
ابن الخطاب رضى الله عنهما ، فلما أسلما واتبعا الرسول
وشاع خبر اسلامهما وانتشر فى الاوساط الوثنية ،
خاف كفار قريش على شركهم وأوثانهم من الزوال بل
وتيقنوا أن عهد الشرك قد ولى مدبراً ، وصاروا

يحبسون للاسلام والمرسول حسابهما وتبدل ميزان القوة
فرجعت كفة الاسلام وخفت كفة الشرك والاثان
- واهنهم ذلك النصر المبين - وعندما خفت كفة الشرك
والمشركين وحق لميزان الكفر والضلال أن يخف ،
خف أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصار
المسلمون بمد هذين الحديثين الهامين يعلنون اسلامهم
جهارا وأمام المشركين بعد أن كانوا يخفون شمائر
دينهم حذرا من عدوان قريش عليهم ، وذلك مثل الصلاة
وتلاوة القرآن وغيرهما من التجمعات لفائدة الدعوة
والتبليغ ، فصار كل هذا يقع أمام المشركين فيزيدهم
هذا غيظا وتحرقا وحنقا على الاسلام والمسلمين ، وعجزا
عن محاربتة والتعرض لانصاره وهذا من عوامل
القوة ، إذ الناس لا يلتفتون للحق الا اذا كانت معه قوة
تعزز جانبه ، والا تكن له قوة فلا يخضع له أحد ، الا اذا
كان من أهل الفكر والادراك

ياس كفار قريش من صده عن تبليغ دعوته :

حاولت قريش - كما مر - بكل ما تملكه من وسائل
الترهيب والاضغوط على أن تصد رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن وجهته التي وجهه ربه اليها فلم تسطع ،
وباعت بالفشل والخسارة ، ولما لم تحصل على شيء منه ،
حولت الطريق الى ما ترى فيه أملا ونفعا لشركها
وأوثانها ، فاتخذت سبيل الترغيب بدل الترهيب ،
وشرعت تلوح له بما تشتبهه النفس الدنيئة لا الشريفة

فان النفس الشريفة ، لا تترك مبدأها التي عرفت به
وتتخلى عنه الى شيء يعطل أو يمحو مبدأها ذاك ، فقد
ذكر كتاب السيرة النبوية أن مشركي قريش توجهوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن لم ينجحوا في
صدده بالقوة الى وسيلة الترغيب والتلويح بما تشتبهه
النفس الضعيفة التي لم تستكمل ايمانها بعد

فقد لوحث له بالمال والملك والسيادة وغيرها حسبما
جاء في مصادر السيرة النبوية الشريفة الا أن صاحب
العقيدة الصحيحة الذي يؤمن بعقيدته وحققها في الظهور
والدوام والبقاء والسيادة لا يتساهل فيها أو يقبل
بالتخلي عنها أو أخذ الرشوة عنها فعقيدته لا تباع
ولا تشتري بل ولا تقع فيها المساومة أبدا وبأى صفة
كان ذلك ، فقد ذكر ابنا هشام وكثير وغيرهما من أصحاب
السيرة النبوية ما عرضه مشركو قريش على محمد صلى
الله عليه وسلم من المرغبات في مقابل التخلي عن دعوته ،
فرفض كل ذلك وتمسك بعقيدته في اباء وعزة وكرامة
حتى لا يقال ان محمدا تنازل عن دعوته لفائدة أو
لاخرى ، وبهذا مهد الرسول صلى الله عليه وسلم لدعاة
أمته الطريق كسى يجدوها ممهدة فيسيروا عليها اذا ما
عليهم بعد مراقفه الا أن يسلكوها مطمئنين ثابتين موقنين
بالدجاج اذا اخلصوا في أعمالهم غير خوارين ولا
مذهبيين ، اتبعا لسنة رسولهم محمد صلى الله عليه
وسلم

ذكر ابن كثير في سيرته عن محمد بن كعب قال

حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدا حليما في قومه - قال ذات يوم وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد يا معشر قريش ألا أقوم الي محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا؟؟ وذلك حين أسلم « حمزة » ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون ، فقالوا بلى يا أبا الوليد فقم اليه وكلمه

فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة - الشرف - فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل بعضها

قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الوليد قل اسمع ، قال أهو الوليد عتبة بن ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى

يأتيك « رثيا » - جنا - تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبادلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة من عرضه ذاك قال له النبي صلى الله عليه وسلم أفرغت يا أبا الوليد؟ قال نعم قال اسمع مني قال أفعل (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حَمَّ ، تَنْزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ ، فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ) الآيات 1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5 من سورة فصلت فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ، فلما سمع عتبة القراءة أنصت لها وألقى يديه خلفه أو خلف ظهره معتمدا عليهما ليسمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجدها ، ثم قال : سمعت يا أبا الوليد؟ قال سمعت ، قال فأنت وذاك ، ثم قام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلسوا اليه قالوا ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال ورائي أنى وألله قد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالكهانة ، يا مشر قریش أطيعونى واجعلوها لى ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على

العرب فملكة ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس
به

قالوا سحرك محمد والله يا أبا الوليد بلسانه

قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم

ونلاحظ من هذا أن لسماع القرآن - كلام الله -
تأثيرا عجيبا في نفوس سامعيه ولو كانوا كفارا
لا يؤمنون به وقد لمسنا هذا في الخبر السابق الذكر ،
وفي نفس عتبة ابن ربيعة وهو المشرك الجاهل ، وقد
ألجأه ما سمعه منه الى أن يقول فيه ما قال وهذا من
تذوقه لبلاغته وفصاحته وبعده عن كلام البشر وهو
سر أعجازه ، ومثل عتبة ابن ربيعة في هذا الاعتراف
ببلاغة القرآن مثله مثل ذلك المشرك العنيد ، القوي
بماله وجاهه « الوليد بن المغيرة » عدو الله ورسوله ،
حيث اجتمع مع طائفة من كفار قريش - وكان هو
رئيس الجلسة - للنظر والتشاور في أمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأي موقف يقفونه تجاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وموسم الحج قد قرب منهم ،
وما يقولونه للناس في أمر الرسول (ص) ، وفي دعوته
الى الله والى الاسلام ولا بد من صد الناس عنه وعن
دعوته وذلك لصرفهم عنه حتى لا يتأثروا بدعوته ولا
بالقرآن عند سماعه وحتى لا يدخلوا في الاسلام ،
وأدلى كل واحد من المجتمعين برأيه وبما بدا له ، والقوم
يسمعون ، وبعد ذلك يتفقون على قول واحد ورأي واحد

يخرجون به مز الاجتماع ، ويكون هو القول والرأى الذى يقال للحجاج ، وبه يعودون الى أهلهم وذويهم وشعوبهم فقائل قال نقول لهم انه كاهن فرد عليه رئيس الجلسة « الوليد بن المغيرة » بقوله ما هو بكاهن ، فقد سمعنا كلام الكهان فما هذا من ذاك ، وقال أحدهم نقول انه مجنون فرد عليه رئيس الجلسة بقوله ما هو بمجنون ، قالوا نقول انه شاعر ، قال الرئيس لقد سمعنا الشعر وعرفناه فما هذا بالشعر ، وما هو بشاعر ، قالوا نقول انه ساحر فقال لهم عرفنا السحر وتأثيره ، فما هو بساحر ، ولما أعياهم البحث عن كلمة يقولونها للعرب فى موسم الحج حتى لا يستجيبوا لدعوته ، ولا يسمعوا منه القرآن خوفا من تأثيره فى نفوسهم ولما لم يهتدوا الى رأى يقع عليه الاجماع ويتفرقون عليه رجعوا الى رئيس الجلسة وقالوا له - مستظلمين رأيه - فقال له القوم الذين هم معه فى الجلسة فما تقول أنت يا عبد شمس ؟ قال والله ان لقوله لحلاوة ، ثم قال لهم ، وما أنتم بقائلين فيه من هذا شيئا الا عرف أنه باطل !!! وان أقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته ، فتفرقوا عنه بهذا الرأى والقول ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا فى موسم الحج ليبلغوهم كلمة الجماعة ، فلا يمر بهم أحد الا حذروه منه وذكروا له أمره .

وهذا سبيل من سبل الدعاية ، ولكن هل كان لها صدى
 فى أوساط المجاج ؟ لا شىء من هذا وقع (**وَخَسِرَ
 هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ**) وننظر الآن ما هو رد الفعل من هذا
 الكذب والبهتان ، من هذا الساعى فى الارض بالفساد
 والالحاد ، فقد أنزل الله فيه قرآنا يتلى الى يوم القيامة ،
 عقابا له عن كذبه وافتراءه على كلام الله ، حيث أنزله
 الهداية البشر ، كما أنزل فيه الاحكام والمواعظ والاخبار
 التى تفيد الانسان فى حياته كلها ، وفى جميع الاطوار
 التى يمر بها هذا الانسان الذى سيشقى اذا هو لم يعمل
 بالقرآن وبما جاء فيه فقد جاء فى حق هذا العدو لله
 وللرسول وللإسلام كما ذكره المفسرون ، قوله تعالى
**(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ،
 وَبَيْنَ يَدَيْهِ شُهُودًا ، الى قوله تعالى : ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ، فَقَالَ :
 إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) .**
 سورة المدثر

هذا هو تأثير القرآن فى النفوس ، وقصة تسلل
 البعض من كفار قريش - ليلا - منفردين الى الاستماع
 لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم معروفة ، فقد ذكر
 محمد بن مسلم بن هشام الزهرى قال حدثت أن
 أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام ، والاخنس
 ابن شريق خرج ثلاثهم ليلا ليستمعوا الى القرآن من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى من الليل
 فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل
 واحد منهم لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون الى

الفجر ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق وتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا ، ولكنهم يعودون ليلا من غير أن يشعر الواحد منهم بصاحبه ، وداوموا على هذا ثلاث ليال متتاليات ، وذلك لتأثير القرآن في نفوسهم فهم يخرجون ليلا خفية وبدون أن يعرف الواحد منهم ما يخفيه صاحبه حتى لا يراهم عامة الناس والعبيد بالخصوص ، وتماهدوا في آخر الامر فيما بينهم على الكتمان ، حتى لا يفلت زمام الامور من أيديهم وتضيع منهم القيادة نتيجة أعمالهم التي لم تكن مطابقة لاقوالهم ومواقفهم ، فان من يسمع القرآن يدخل قلبه فيسلم من أجل تأثير القرآن في النفوس اذا سمعته سماعا خاليا من التعنت

ومثل هذا ما سمي فيه المشركون عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين طلبوا منه أن لا يرفع صوته بقراءة القرآن في صلاة الليل ، كي لا يقع القرآن في قلوبهم فيسرعوا الى الاسلام بتأثير سماعهم لقراءة القرآن وكان أبو بكر رقيق القلب سريع التأثر والبكاء عند تلاوته للقرآن ، ومشركو قريش لا يحبون سماع القرآن خوفا من التأثر به والتأثير عليهم لهذا عملوا - بقوة - على منع المسلمين من رفع أصواتهم بالقرآن لذلك وفي هذه القصة ظهر ما قاوموا به القرآن حتى لا يتطرق الى اسماع أبنائهم ونسائهم وعبيدهم ، والقصة مذكورة في كتب السيرة ، وهي من

نوع الحرب التي حاربوا بها الدعوة الاسلامية خوفا من انتشارها بينهم

هذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو من آمن بالله والرسول والاسلام ، وجد من المشركين هذا بالرغم من قوة قبيلته « تيم » فى وسط المشركين ، ومن أجلها لم ينله كثير العذاب الذى نال اخوانه المؤمنين ، ولما ضيقوا عليه الخناق من أجل اسلامه حاول الخروج من مكة والهجرة الى الحبشة كما فعل ضعفاء الصحابة ، وفى يوم من أيام تلك المحن التى أصابت المؤمنين خرج الى الفضاء الواسع أين يجد حرية الدين والعبادة ، وقصته مع ابن الدغنة (I) تبين ما أصابه

فقد ذكر من كتب فى السيرة أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لحقه من الاذى ما ألجأه الى الهجرة فرارا بدينه وعقيدته ، فخرج مرة من مكة مهاجرا الى الحبشة ، كما هاجر اليها ضعفاء الصحابة من قبل ، فلقى رجل من أهل مكة ، له مكانة واعتبار فى وسط القوم المشركين يقال له « ابن الدغنة » فقال له أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال له أبو بكر أخرجنى قومي فأريد أن أسبح فى الارض وأعبد ربى ، فقال له ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يُخْرَجُ ولا يُخْرَجُ ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف ، وتعين على

(1) الدغنة بضم الدال والغين وفتح النون المشددة وكلمة وفيها غيرهما والاول أشهر .

ثواب الحق ، ارجع في جوارى ، فانا لك جار ، واعبد
ربك في بلدك ، فرجع أبو بكر الى مسكة في جوار
ابن الدغنة ، وطاف ابن الدغنة عشية بين قريش وأعلمهم
بأنه جار لابي بكر ، وأبو بكر هو الآن في جوارى ، يريد
بهذا الاعلام أنه في حمايته ، فلا يعتدى عليه أحد ،
والجوار عند العرب معناه أن المجير - ولا يكون الا رجلا
قويا مهابا عزيز الجانب ، وبذلك لا يستطيع أحد أن
يمس من أجاره بسوء خوفا من قوة المجير - يحمى
المجار من كل أذى قد يصيبه

ولما أجار ابن الدغنة أبا بكر قال له المشركون : سر
أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها ما شاء ،
وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا بذلك ، ولا يستعلن به ، فانا
نخشى أن يفتن نساءنا وأبنائنا ، ورضيت قريش بجوار
ابن الدغنة لابي بكر فهي قد تعهدت بأن تكف إذاها
عن أبى بكر لانه في جوار ابن الدغنة ، وابن الدغنة
هذا اسمه ربيعة ابن فريع ، نسب لأمه الدغنة .

هذه أم المؤمنين السيدة عائشة بنت الصديق رضى
الله عنها تصف لنا هذا الجوار ، قالت ، لما أنفذت قريش
جوار ابن الدغنة قالوا له مر أبا بكر فليعبد ربه في
داره ، وليصل فيها ما شاء ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذنا
ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره ، ففصل
أبو بكر رضى الله تعالى عنه هذا مدة ، ثم بدا له فاهتنى
مسجدا بفناء داره ، فكان يصلى فيه ويقرا القرآن ،

فتقَّصَفَ - أزدحم - عليه نساء المشركين وأبناؤهم
يتمجبون منه وينظرون اليه وكان رجلا بكاء لا يملك
دمعه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك اشراف قريش ،
فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم ، وذكروا له ما فعل
أبو بكر حيث لم يلتزم بما جاء في جوار ابن الدغنة له ،
فقال ابن الدغنة له يا أبا بكر قد علمت الذي عقدت
لك عليه ، فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى
جوارى وذمتى فانى لا أحب أن تسمع العرب أنسى
أخفرت فى عقد رجل عقدت له (وخفر الجوار معناه
نقض العهد وابطاله من جانب واحد وهو الفدر فى
الذمة والحماية والجوار) فلما سمع أبو بكر من
ابن الدغنة هذا ترك له جواره وحمايته والتجأ الى الله
يستجير به ويحتمى به ويلوذ بحماه ، فقال له أبو بكر
انى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة

ان ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والرعييل
الاول من الصحابة شىء كبير لا يثبت له الا أقوياء الايمان
فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتر عن الدعوة الى
الله وتبليغ هذا الدين الى من أرسل اليهم من لدن رب
العالمين ، وهو فى عراك دائم ومستمر مع مشركى
قريش ، وبلا هوادة ، ففى ذات يوم كان فى عراك معهم
واذا بالصراخ يعلو بينهم ، وعن أسماء بنت أبى بكر
الصديق رضى الله عنهما قالت أتى الصراخ آل
أبى بكر فقبل له : أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا

– وله غدائر (I) – فدخل المسجد وهو يقول (وَيَلَكُمْ
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
مِنْ رَبِّكُمْ ؟) فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبلوا على أبي بكر قالت أسماء رضى الله عنها
فرجع الينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئاً من غدائره
الا جاء معه وهو يقول (تباركت يا ذا الجلال والاكرام) .

هذا نزر يسير مما أصاب الرسول صلى الله عليه
وسلم وصاحبه أبا بكر رضى الله عنه من القوم المشركين
ولا ننس أن الله حماهما من بطش مشركى قريش – كما
تقدم – بحماية العم والقبيلة – تيم – ومع هذا فقد ذاقا
من العذاب ما قوى عزمهما فلم يضعفا ولم يهنا كل
هذا ليكون درسا عمليا للدعاة الى الاسلام فلا يضعفوا
أمام التهجمات على الاسلام والعقيدة من الجاهلين لهما ،
وقد عرفنا مبلغ تخوف المشركين على نساءهم وأبنائهم
من سماع آيات القرآن تتلى وهم يسمعون ، خشية أن
يصل نوره الى قلوب النساء والابناء والمبيد

ويذكرنى موقف كفار قريش فى العهد الجاهلى
بموقف أو وقوف البعض من المشرفين (أو المرسلين)
على تقديم برامج الاذاعة الجزائية الصباحية ، فاذا
حان وقت اذاعة القرآن الكريم – على قلة وقت الحصة –
بعد اذاعة موجز الانبياء فى الساعة السادسة صباحا
– طبعا – فان المكلف يضع الصحن أو الشريط المسجل

(!) الغدائر جمع غديرة المظفور من شعر الرأس ، وهى الذوائب

عليه نصيب من القرآن فاذا شرع القارئ في التلاوة توجهت اليه القلوب والافكار تتبع تلاوته وتتأمل بنخشوع فيما تسمع وفجأة - وفي بعض الايام يوقف المشرف على الاذاعة تلاوة القرآن ، ويقول - من عنده - صدق الله العظيم ، والمدة التي يسمح بها لاذاعة القرآن ربما لا تتجاوز الربع ساعة وأحيانا لا تصل العشر دقائق يفعل هذا ليفسح المجال للغناء السمج بعد الحديث الديني لوزارة الشؤون الدينية فهل هذا المشرف أو المسرف من بقية وهل هذا التصرف من ابتكاراته أو هو مأمور به وما عليه الا التنفيذ لا غير؟؟؟ أمر عجيب والله ذلك ما يؤلم المؤمنين الذين يحبون الاستماع الى القرآن كلام ربهم وعلى كل حال وكيفما كان الامر فانها - حقيقة - خيبة أو صدمة يتلقاها المؤمنون في الصباح الباكر من أيدي لا يشمر حاملوها بتأثير كلام الله في نفوس سامعيه

فمسي أن ينفعنا الله بما نسمع من كلام الله أما كلام غيره من البشر فان له بعض الأدمين وأشباههم تهفو قلوبهم وأسماعهم اليه وتهواه

واعلموا أيها الناس انكم في شعب مسلم أكثريته تؤمن بالقرآن وتحب سماعه ، فلا تحرموها من سماعه ، والله في خلقه شؤون

أصحاب الأخدود فى القرآن

بلاؤهم وصبرهم وهم يطرحون فى النار :

الأخدود هو الشق الكبير المستطيل فى الأرض أو هو الحفرة فى الأرض مثل الخندق ، ويجمع على أخاديد

وأصحاب الأخدود الذين خددوها وقعدوا قريبا منها وأمروا أعوانهم بالقاء المؤمنين بالله فى النار التى أوقدوها لهم ، فان العلماء ذكروا أنهم كانوا بـ (نجران) - البلد المعروف فى اليمن مما يلى مكة - فهم من النصارى المؤمنين الموحدين لله أما زمانهم فانهم كانوا فى الفترة التى سبقت مبعث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم الذين قص الله علينا قصتهم فى القرآن حيث قال فى سورة البروج (وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ، وَالْيَوْمِ الْوَعُودِ ، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ، قُتِلَ أَصْعَابُ الْأَخْدُودِ ، النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) الخ ، وتنتهى قصتهم عند قوله تعالى (فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

فأصحاب الأخذود كما ذكر القرآن جماعتان كلاهما
تعنيه القصة ، جماعة كافرة ظالمة حاكمة فى بلدها وهى
المعدبة للمؤمنين وجماعة مؤمنة بربها موحدة له
لا تقبل الشرك ولا ترضى به وهى الجماعة المعدبة من
طرف الحكام الظالمين ، فهذه الجماعة المؤمنة ، آمنت بالله
المخالق وحده ، لا اله غيره ، وعقدت العزم على الاستمرار
فى التمسك بدينها وعلى الاقرار بأنه اله واحد
لا شريك له ولا اله غيره فى الوجود يستحق العبادة
والطاعة وهذا هو الحق والصواب والواقع فهى قد
تمسكت بالحق وما تدعو اليه الفطرة السليمة

أما الجماعة الأخرى فهى الجماعة الكافرة المنكرة
لربها ومخالقها رئيسها ملك ظالم تعينه حاشية مثله
فى الظلم والكفر والمجود لمخالق كل شىء ، اذ هو من نوع
المهلك الذين ادعوا الألوهية مثل سابقه المفرورين
(النمرود وفرعون) فعقيدتا الجماعتين مختلفة متناقضة
من أجل هذا التباين بينهما حاولت الجماعة الجاحدة لربها
صد المؤمنين عن عقيدتهم التى التزموا بها وأعطوا
العهد على الايمان بها ، والوفاء لها وتحمل كل ما
يعترضهم من عقبات وألم فى سبيلها

جاء عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كلمة
قُتِلَ الواردة فى القرآن معناها طرد أى لعن وأبعد عن
رحمة الله هؤلاء القوم ، وهم أصحاب الأخذود الكافرون
الجبارون الذين يحاولون أن يجبروا عباد الله المؤمنين

على الشرك بالله ، بجعل ملكهم لها يطاع ويعبد من دون
الله الخلاق العليم ، ولما لم يستجب لهم المؤمنون الموحدون
شقوا أخدودا وأخاديد ليلقوا فيها المؤمنین بالله وحده ،
بعد أن ملؤوها حطبا وأوقدوا فيه النار ، لذلك الغرض
الذى يدل على الحقد والبغضاء لكل من آمن بالله ربه
هذه هي أعمالهم المزرية بكرامة الانسان المهدب فشقوا
الاخاديد وحفروا الحفر الطويلة وجمعوا فيها الحطب
الكثير وأوقدوا فيها النار وألقوا فيها المؤمنین بالله
وحده .

فعلوا هذا بالجماعة المؤمنة بالله ولا ذنب لها الا
أنها قالت ربي الله فأمنت بالله وحده وعقدت العزم
على الاقرار به ، بأنه اله واحد ، لا شريك له في ملكه ،
ولا اله في الوجود غيره يستحق العبادة والطاعة

من أجل هذه العقيدة الصحيحة الموافقة للواقع حاول
المشركون صدهم عن عقيدتهم هذه التي أعطوا العهد
لله على الايمان بها والثبات عليها والوفاء لها ، وتحملها
وتحمل كل ما ينالهم في سبيلها ومن أجلها ، والمقلام
يعرفون ان العذاب له أسباب معقولة ، مثل ارتكاب
المجرمين للجرائم التي تفسد المجتمع ، وتشيع فيه
الفساد وسوء الاخلاق وغير هذا ولماذا فصل أصعاب
الاخدود - وهم موقدو النار - بهؤلاء المؤمنین الضعفاء
هذا الفصل الشنيع ؟ ما هو ذنبهم ؟ ما فعلوا حتى يستحقوا
كل هذا العذاب ؟ وما الداعي لهذه المعاملة القاسية ؟

وهذا العذاب الشديد ؟ هل ارتكبوا جرما وذنبا استوجب لهم هذا الجزاء الشديد والعذاب الاليم ، والواقع يقول لا هذا ولا ذاك وقع منهم ، انما العتو الانساني ، والغرور بالنفس وحب الاستعلاء على خلق الله هو الذى ساقهم الى هذا انما ذنبهم الوحيد - فى نظرهم - ان كان الايمان بالله ذنبا - هو الايمان بالله وحده الذى لا شريك له فى الوهية ولا نظير له فى ربوبيته فهو الخالق وحده والرب القادر على كل شىء فلا طاعة ولا عبادة الا له وحده الذى لا شريك له فهو القوى العزيز الحميد الذى لا يضام من التجأ اليه وتمسك بعبله المتين ، ولا يهان من احتسى بحماه المنيع ، وما وقع لهؤلاء المؤمنین من العذاب والتحريق بالنار لأجل عقيدتهم التوحيدية كان امتحانا لهم ودليلا على قوة عقيدتهم وصبرهم على ما يصيبهم من أجلها وهذا يزيدهم رفعة فى الدنيا وعزا وكرامة فى الآخرة ، حيث انهم ضربوا المثل الاعلى فى الصبر على ما لحقهم من الجبارين الطفأة ويبقى موقفهم الثابت يدل على عقيدتهم موقف يدل على قوة ايمانهم بخالقهم كما تبقى حادثتهم هذه تتلى فى المحافل عبر التاريخ الطويل والمجتمعات الاممية ليكون ما نالهم من أجل عقيدتهم درسا عظيما يلقنونه لكل الاجيال القادمة ليستفيدوا منه قوة العقيدة وفائدة التمسك بها فلولا هذا الموقف الوحيد فى التضحية لما طرقت أسماعنا هذه الوقائع والاحداث ، التى ترشد الى الطريق المستقيم لكل من

أراد سلوكه ممن يأتي من الاجيال المقبلة فقد هلكت
بعدهم أجيال وقرون طويلة نسيهم فيها الناس ولم
يذكروهم أما هم - أصحاب الاخدود - فان حادثتهم
سجلها القرآن فبقيت محفوظة فيه وفي العقول
والصدور ، فكانت سراجا منيرا في طريق العقيدة الحقّة
وهذا ذكر حسن لهم ، وشرف وأى شرف هو ؟

أما جزاؤهم من ربهم الذى ثبتوا على الايمان به ولم
يجحدوه وينكروه كما فعل غيرهم فالمنازل العالية
والدرجات الرفيعة والحياة الكريمة فى دار العزة
والكرامة التى لا يزول نعيمها ولا تنقضى الحياة فيها
أبد الآبدين ، والويل والعذاب والغضب من رب الارباب
لاولئك المعذبين والطفاة الظالمين كل هذا لهم جزاء
ظلمهم وتعذيبهم لعباد الله على اعترافهم بالحق الواجب
على كل مخلوق وقد فاز به المؤمنون فهنئنا لهم

ترى من يكون هؤلاء الكافرون الجبارون قساة
القلوب أصحاب الاخدود الذين أحرقوا المؤمنين بالنار
على ايمانهم بالله ؟ ومن هم اولئك المؤمنون المحرقون
بالنار ؟ هذه مأساة رقت لها قلوب وتحجرت لها أفئدة ،
خلاف وقع بين المفسرين لكلام الله وأولى الراى من
علماء الاسلام فى شأنهم لانهم هم الذين يهمهم أمر
العقيدة والدين أكثر من غيرهم من البشر

فالمفسرون لكلام الله لم يتفقوا على قول واحد يقف
عنده من يريد أن يحصر الواقعة فى جهة معينة بتحديد

زمانها ومكانها والقرآن ذكرها بلا تحديد للمكان ولا توقيت للزمان ، وما ذكره القرآن هو حق وواقع لا ريب فيه ، فمن لم يصدق بما جاء في القرآن من أخبار وأحكام فهو جاحد له كافر بأحكامه منكر لأخباره

والقرآن لم يحدد في أخباره وقصصه ووقائعه في الكثير منها الزمان والمكان وهي كثيرة لان القرآن كتاب أحكام ومواعظ وعبر وتربية يربي النفوس على الحق والصدق ويعظها ويخوفها بذكر أخبار السابقين من الامم الماضية المؤمنة منها والكافرة حتى لا يقع للامم المتأخرة في الزمان ما وقع للامم السابقة وهذا ما يهم المؤمن في حياته الدينية وعلماء التفسير لا يجرؤون على القول في القرآن بمحض الرأي الخالص، من غير أن يكون مدعما بحجة ودليل جاء من طريق الوحي والرسالة ولم يكن علماء التفسير عندنا كعلماء اليهود الذين مسخوا التوراة بأقوالهم وآرائهم الشخصية من غير اعتماد على وحي الهى فسلبوا عنها قداسة الكتب السماوية وتركوها لا تخرج عن اطار الكتب الوضعية البشرية ، فوجب على المسلمين لهذا الاعتبار الايمان والتصديق بكل ما جاء في القرآن خصوصا وأن الله جل جلاله تولى بنفسه حفظ كلامه من التحريف والتغيير لا بالزيادة ولا بالنقصان ، فهذا هو عين الحق والصواب ، وهو ما يجب على المؤمنين الايمان به فهو كما جاء من عند الله نحن نقرؤه اليوم بعد تلك القرون الاربعة عشر

الماضية من زمان نزوله على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو القول الحق والعقيدة الصحيحة فالقرآن لم يكن كتاب تاريخ حتى يخبرنا بزمان ما حدث ولا هو كتاب جغرافية حتى يحدد لنا مكان ما حدث بالضبط ، وهذا هو سر القرآن والخلاف في تحديد الزمان والمكان للوقائع الواردة في القرآن لا يترتب عليه حكم يخشى توقيفه أو تضييعه فذلك هو الوعظ البليغ للناس والتخويف الزاجر للنفوس الجامعة حتى لا يكفر الناس بالله خالقهم ومدبر أمورهم ، وحتى لا يقع لهم ما وقع لمن سبقهم من الامم وقد تعددت آراء المفسرين للقرآن واختلفت أقوالهم في أصحاب هذه القصة من هم ؟ فمن قائل انهم من أهل فارس ، حين أراد ملكهم تحليل الزواج بالمحارم ، فيتزوج الرجل ابنته أو أخته أو خالته أو عمته - مثلا - فلم يقبل له هذا علماؤهم ورجال الدين فيهم ، فعمد الى حفر أخدود وألقى فيه من أنكر عليه هذا الرأي ولم يرض به لانه مخالف للشرائع السماوية وللفطرة الانسانية السليمة (ونقل هذا القول عن علي رضي الله عنه) فعصى الملك العلماء ونفذ ما أراده ، وبقي في الفرس هذا العمل جاريا الى أن من الله عليهم بالاسلام الذي يحرم الزواج بالمحارم فأبطلوه بينهم ، والمحمد لله على نعمة الاسلام الطاهرة المطهرة للمجتمعات.

ومن قائل انه وقع هذا في اليمن ، وفي « صنعاء »
عاصمة البلاد اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم - وكانوا
قوة - ففعل المشركون بالمؤمنين ما قصه علينا القرآن

ويميل البعض من رواة التاريخ الى القول بأن القصة
وقعت في بلاد اليمن وكانت اليمن تحت حكم ملك
يهودى يدعى « ذو نواس » وكان ظالما وطاغية حاول
بفعلته هذه فرض اليهودية على النصارى - نصارى
نجران - وارغامهم على ترك النصرانية التى اعتنقوها ،
لأنها دين جديد مالت نفوسهم اليها وهناك قول بأنهم
من الحبشة وأيا ما كان مكانها وزمانها فالقصة ذات
عبرة بليغة وموعظة عظيمة يستفيد منها المؤمنون
الصادقون المتمسكون بعقيدتهم مهما كانت العقبات أو
العقوبات التى تصيبهم وتعترضهم فى سبيل التمسك
بعقيدتهم

وقد روى أصحاب الحديث قصتهم هذه بروايات
متعددة وأخرجوها بطرق مختلفة ترجع الى زمانها
ومكانها وأهلها فنكتفى هنا بما أخرجها الامام مسلم
فى صحيحه وبسنده عن صهيب الرومى رضى الله عنه
كما أخرجها أيضا الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذى
وغيرهم

قال الامام مسلم فى صحيحه حدثنا هذّاب بن خالد ،
حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا ثابت عن عبد الرحمن
ابن أبى ليلى ، عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : (كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ،
فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي كَبِرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمَهُ
السِّعْرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ - إِذَا
سَلَكَ - رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ ، فَكَانَ إِذَا
أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ
ضَرْبَهُ ، فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ
فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي
السَّاحِرُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ
قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلَ أَمْ
الرَّاهِبَ أَفْضَلَ ؟ فَأَخَذَ حَجْرًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ
الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ ،
حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ، وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى
الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيُّ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ
أَفْضَلُ مِنِّي ، وَقَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَأَنْتَ سَتُبْتَلَى ،
فَإِنْ أَبْتَلَيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِيءُ الْأَكْمَهَ
وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ ، مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ
جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ :
مَا هَذَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي
أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ
فَشَفَاكَ ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ
كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ؟
قَالَ : رَبِّي ، قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ
اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ، فَجِيءَ
بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيُّ بَنِي قَدْ بَلَغَ مِنْ سِعْرِكَ

مَا تَبْرِيءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ؟؟ ، فَقَالَ :
 إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ
 يَعْذِبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ :
 اِرْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ - الْمُنْشَارِ - فَوَضَعَ
 الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ ، ثُمَّ جِيءَ
 بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ : اِرْجِعْ عَن دِينِكَ فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفْرِ مِنْ
 أَصْعَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا
 بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ - اعلاه - فَإِنْ رَجَعَ عَن دِينِهِ
 وَإِلَّا فَأَطْرَحُوهُ. - دحرجوه - فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ
 فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَزَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلَ
 - اضطرب وتحرك حركة قوية - فَسَقَطُوا ،
 وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ
 أَصْعَابُكَ ؟ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفْرِ
 مِنْ أَصْعَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَأَخْلِسُوهُ
 فِي قَرْقُورٍ - سفينة صغيرة - فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ ، فَإِنْ
 رَجَعَ عَن دِينِهِ وَإِلَّا فَأَذِفُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ
 أَكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ - انقلبت - بِهِمُ السَّفِينَةُ
 فَفَرَّقُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ
 أَصْعَابُكَ ؟ قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ
 بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ ، قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ :
 تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَضْلِبُنِي عَلَى جِدْعٍ ، ثُمَّ
 خَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي - جعبة تجعل فيها السهام - ثُمَّ
 وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلَّ : بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ
 ثُمَّ أَرْمَنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ، فَجَمَعَ النَّاسَ

فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِدْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ
 كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ
 اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صَدْغِهِ ،
 فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ ، فَقَالَ
 النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ
 الْغُلَامِ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فِقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَعْدُرُ ؟ قَدْ
 وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ، فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ
 فِي أَقْوَاهِ السِّبْكَ فَعُدَّتْ ، وَأَضْرَمَ النَّيْرَانَ ، وَقَالَ : مَنْ
 لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ : اُقْتَحِمْ ،
 فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ - رَضِيعٌ - لَهَا
 فَتَقَاعَسَتْ - تَأَخَّرَتْ وَلَمْ تَتَقَدَّمْ - أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا
 الْغُلَامُ : يَا أُمَّهُ إِصْبِرِي فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ) من صحيح الامام
 مسلم ، ج 18 .

انتهت القصة وهي كما جاءت في صحيح الامام
 مسلم ، فالمحرقون في النار هم من مؤمنى نصارى نجران
 فهم مؤمنون موحدون اضطهدهم وعذبهم ملك اليمن ،
 المسمى «ذو نواس» اليهودى الحميرى كما جاء مصرحا
 به فى بعض روايات قصص التاريخ القديم .

وقالوا ان هذا الملك عمل ما استطاع عمله لتكون
 اليهودية دينا يشمل كل أرجاء اليمن وأمر بتحكيم
 التوراة فى كل نازلة أمرا لا بد منه وبهذا يضمن
 لدينه الانتشار ، ولكتابه الدوام والبقاء والاستمرار
 فى الحياة ومن أجل هذه الامنية يجب أن يزول من
 طريق ذلك الدين كل دين آخر قد ينافس ويقتاسه

الحكم والسيطرة ، فلا عقيدة الا عقيدة اليهودية ، وهذا رأيه ومن أجل تنفيذ رأيه هذا ارتكب ذلك الجرم الفظيع

رأينا أن قصة أصحاب «الاحدود» هذه تألفت من عنصرين وطائمتين ، عنصر الاساس الذى وضعت عليه ، وهو الملك والساحر فى جهة ، والراهب والغلام فى جهة أخرى وعنصر آخر فيه الشعب المؤمن الموحد المتدين الذى لم يرض بترك دينه وعقيدته استجابة لتهديد الملك وأعدائه وأنصاره اما الطائفتان فطائفة كافرة جاحدة لربها وخالقها وطائفة مؤمنة بالله ربها وخالقها غير ان هذه الطائفة المؤمنة ضعيفة ضعفا ماديا ، والطائفة الاخرى قوية بقوة الملك وجنده وأعدائه الظلمة ، اذ هى كافرة مشركة بالله ، وهى قوية بيدها الامر والنهى والحكم فهى بقوتها تسلطت على الطائفة الضعيفة ففتنتها فى دينها بشتى أنواع الفتن لتردها عنه وعن عقيدتها التوحيدية فى الله ولكنها وجدتها صلبة قوية فيها فلم تستجب لها ولم ترهبها عندما أرادت منها خلاف عقيدتها فاصطدمت فيها بصخرة العقيدة الصلبة القوية وفشلت فى محاولاتها تلك ، كما فشلت محاولات مشركى قريش مع الضعفاء من أصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هذا هو عمل العقيدة اذا تجردت من الدواعى الخارجة عنها ، فكلهم صبر على ما قام به الظلمون نحوهم ، حتى نصرهم الله على أعدائهم وهذه هى عاقبة الثبات على

عقيدة الحق تتجدد فى كل أوان وحين وهكذا يتحقق
وعد الله الذى وعد به أوليائه وأنصار دينه كما قال
(**وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**)
وصدق الله فى وعده

وبالتأمل والتدقيق فى أمر تينك اللطائفين
المذكورتين يتبين لنا ما يلى

أ - ملك جبار قاهر للضعفاء غشوم فى تصرفاته
وتسييره لامر الرعية ادعى الالوهية يحيط به
أعوان ظلمة أعانوه على ظلمه يرهبونه فيستجيبون له
فى كل ما يأمرهم به فهم مسخرون بين يديه ، يعملون
له ما يشاؤه ويريده بكل طاعة وانقياد لا من يعارضه
منهم فيما يطلبه ويبتغيه ولا من يكفه ويحول بينه
وبين الفتك بالضعفاء من عباد الله الذين ليس لهم
ناصر الا هو

ب - وطائفة من رعيته أبت أن تقر له بدعواه
«الالوهية» الباطلة فأمنت بالله وحده ربها ورب
العالمين ، فأفردته بالطاعة والعبادة والعقيدة الصحيحة ،
وكانت عقيدتها فى ربها ثابتة راسخة رسوخ الجبال ،
وليس من السهل الميسور تحويلها عنها الى غيرها ،
وخصوصا اذا كانت هذه العقيدة التى حاول هذا الطاغية
صرفهم اليها عقيدة باطلة لا يستسيغها العقل البشرى
النير بنور الايمان السليم من كل أوساخ الشهوات
والاطماع ، فصاحب هذه العقيدة لا يستجيب الا لنداء

الحق ودعاء الخير والفضيلة والضمير الحي فهي قد
قبلت عذاب الدنيا ورضيت به في سبيل عقيدتها
لتلقى ربها يوم القيامة طاهرة من رجس الشرك والمعاصي
ظاهرة فوق المشركين

فتعرضت هذه الجماعة المؤمنة الى أقسى أنواع
التعذيب اذ هو امتحان بالغ القساوة والشدة ، فانه
لا أقسى ولا أشد من العذاب بالنار ، اذ لا يعذب بها الا
الخلاق العليم من جحده وكفر به ، وهو - وحده لا غير -
ولى النعم ، ومنزل النقم له السلطة الكاملة على عباده
كلهم ، واذا عصاه بعض عباده وكفر به عاقبهم بما يشاء
لان الخلق كلهم خلقه ، فهو مولاهم ومالكهم ، يتصرف
فيهم بما تتطلبه حكمته ، ويقتضيه تدبيره وسلطانه ،
وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (لَا يُعَذِّبُ
- أَوْ لَا يُغْرِقُ - بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ) أو كما قال ،
وكان في تلك الجماعة المؤمنة الموحدة أم مع طفلها
الرضيع ، وراهب - عابد - يعلم الناس الدين والتوحيد
وطاعة الله ، ورجال آخرون تمكنت عقيدة التوحيد من
قلوبهم ، فصعب عليهم تركها والتخلي عنها ، أو انتزاعها
منهم ، فرضوا بالموت تحريقا بالنار في سبيلها ، وكان
فيهم غلام ، يا له من غلام أرادته الملك أن يكون ساحر
القصر الملكى ، غير أنه ترك ما انتدبه الملك اليه وأعرض
عنه وتردد على مقر الراهب وتعلم منه الدين ، فكان
- الغلام - بما أخذه عن الراهب داعية الى الله والى
توحيده ، فنفعه الله بعلمه ، فنفعه في نفسه وبث به

التوحيد في أمته ، فانقذ به خلقا كثيرين من عذاب الله ،
وهذه خطة من تعلموا العلم لله ، فنفعوا أنفسهم ونفعوا
غيرهم فأقبل على علم الدين وأعرض عن تعلم السحر
والسحر حرام في كل شريعة سماوية - فساقه الله الى
ذلك الراهب ، حيث تعلم منه الحق ، وترك السحر
والساحر - ولا يفلح الساحر حيث أتى - وأعرض عن
الساحر وكذبه وتعليمه له فنون السحر والشعوذة
والفطرسية ، وكان في تلك الجماعة غير هؤلاء المؤمنين
المذكورين ، من المؤمنين الموحدين لله ولسلطانه ممن
شاهدوا قتل - بطل هذه القصة - وهو الغلام المؤمن
الموحد حين رماه الملك بالسهم الذي أخرجه من كنانة
الغلام المؤمن ، وذكر الله عند رميه كما دلّه الغلام على
هذا فانقلب الجمع الفير الحاضر لهذه الواقعة الى
مؤمنين صادقين بما شاهدوه وعايينوه والجمع كثير
العدد فشاهد هذه العملية الاجرامية التي فعلها هذا
الطاغية بجماعة آمنت بالله الواحد الاحد وتلك حيلة
تنبه اليها الغلام المؤمن ، وخفيت على الملك البليد ، وهذا
ما أراد الغلام المؤمن وقصده وفي هذا الدعوة الى
دين التوحيد ، بواسطة أعمال الملك الظالم ، فكانت
بتضحية هذا الغلام بروحه في سبيل الدعوة الى عبادة
الله وحده ، وترك عبادة الاشخاص المفرورين ، كما في
جمع الناس في صعيد واحد لمشاهدة عجز الانسان
المفرور ، وقدرة الله الواحد القهار دعوة أيضا الى عقيدة
التوحيد ، وهي كما قلت حيلة لم يفتن اليها الملك الجبار

فخسر بها هذه المعركة التي دارت بين الايمان والكفر
وبين التوحيد والشرك فعادت على الملك بالوبال
والخسران فى الدنيا وما سيلقاه يوم القيامة من شديد
العذاب والهوان أعظم مما لا طاقة له بتحملة - فهو
لا يطاق - فيعامل الله الخالق العظيم هؤلاء الجبارين
الطواغى فى الدنيا الضعفاء فى الآخرة يعاملهم بأقسى
ما عاملوا به عباده المؤمنين - جزاء وفاقا - كما قال
هنا فى نهاية هذه القصة ؟ (**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ - ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا - فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلْحَرِيقٍ**)

ولما عجز الملك - بقوته - على قتل الغلام المؤمن
بالله سواء حين أرسله مع أعوانه لالقاءه من رأس
الجبل وأعلاه أو مع أصحاب « القرقور » الخ ، قال
الغلام للملك انك لا تقتلنى الا بما أشير به عليك
فقال له الملك وما ذاك ؟ فقال له خذ سهما من كنانتى
الخ ما مر واجمع الناس فى مكان واحد وهنا
جاءت الحيلة التى أرادها الغلام واللعبة الرابعة
وهى اظهار قدرة الله لمن لم يؤمن بها وتأثير عقيدة
التوحيد فى النفوس المؤمنة ، أمام الجمهور العظيم لتؤثر
فيهم فيؤمنوا ، وذلك هو المراد ، ففعل الملك بما أشار
به عليه الغلام فأخذ السهم من الكنانة ووضع فى
كبد القوس وقال باسم الله رب الغلام ورمى به
الغلام فلما فعل ما قاله الغلام أصاب هدفه ونفذ
السهم الى صدغ الغلام فقتله ، والناس فى ذلك الجمع

الكبير يشاهدون هذه العملية ، وهكذا ضحك الغلام على الملك وأظهر للناس أن الملك ليس ربا بل هناك رب آخر غيره ، وهو واحد وهو للناس أجمعين ، وهو الفاعل المختار ومنه تكون الموت والحياة وقد رأى المشاهدون لهذه العملية تأثير الدعوة الى الله في نفوس المؤمنين كما تحقق المشاهدون - بالمعينة - أن الملك ليس باله وأن هناك الها آخر غيره وهو رب العالمين كلهم ، ملوكهم وعامتهم ، فما وسع الحاضرين والمشاهدين لتلك العملية الا الرضوخ والايمان بالله وحده والكفر بالملك وهذا ما أراداه الغلام بالملك فانقلب الموقف لصالح الغلام وعقيدة التوحيد وخسر الشرك والملك وكل المؤيدين له

هكذا تكون التضحية في سبيل العقيدة والدعوة اليها وهكذا يكون الجود والبذل بالانفس والارواح في سبيل الدين والعقيدة ، وهذا هو الجهاد في الاسلام، وهو كما قال الشاعر الحكيم حين قال

**الجود بالمال جود فيه مكرمة
والجود بالنفس أقصى غاية الجود**

وقال الله تعالى « **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ - ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا - فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلْحَرِيقٍ** » .

هكذا أتبع الله ما ذكره في هذه القصة من أعمال الفئة الباغية وما سلطته على الفئة الموحدة أتبعه بنوع الجزاء الذي سيناله الظالمون حيث اعتدوا على

عباده المؤمنين به فهو يعاملهم بنوع ما عذبوا به
عباده المؤمنين فكما أحرقوهم بالنار فسينتقم
للضعفاء المؤمنين من أولئك بالنار ولكن أين عذاب
نار جهنم من عذاب نار الدنيا ؟ وما نار الدنيا الا جزء
من سبعين جزءا من نار جهنم كما جاء فى الحديث
الصحيح فهناك فرق كبير - جدا - بين النارين
فنار الدنيا - مع ضعفها - تصيب من سلطت عليه
لحظة قصيرة ثم تريح من كان فيها اما بالموت واما
بالخروج منها والبعد عنها وعن حرها اما نار جهنم
فانها دائمة وباقية وأبدية ، لا تنطفى ولا تطفأ ولا تخمد
أبدا ، كما قال الله فيها « **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا
سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا
غَيْرَهَا ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا .**
سورة النساء الآية 56 ومثل هذه الآية وكم لها فى
القرآن من مثيلاتها - قوله تعالى « **وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ
نَارُ جَهَنَّمَ ، لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ
عَذَابِهَا ، كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ** » سورة فاطر
الآية 36

أما أولئك الضعفاء المؤمنون بالله المحرقون بالنار
فى الدنيا فان الله سيعوضهم عما أصابهم من الظالمين
بسكنى الجنان والمنازل الكريمة الدائمة جزاء صبرهم
على تعذيبهم فى ذات الله ومن أجل ايمانهم به قال
بعد ذكره لعذاب الظالمين الطاغين « **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ،**

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ، إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ، إِنَّهُ هُوَ
يَبْدِيءُ وَيُعِيدُ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ،
فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ « وفي أول القصة جاءت كلمة (قَتَلَ)
أَصْحَابَ الْأَخْذُودِ) والمعنى بكلمة « أصحاب » هو
 الملك ومن معه من أعوانه الظلمة ويكفى فيهم كلمة
« قَتَلَ » فمعناها لعن وطرد وأبعد - كما قال عبد الله
 ابن عباس رضى الله عنهما - فهي دليل على غضب الله
 ومقته لهؤلاء الظلمة وابعادهم عن ساحة الرحمة
 الالهية الواسعة لانهم لا يستحقونها بما ارتكبوه من
 فظيعة الاجرام مع عباد الله وشناعة هذه الفعلية
 القبيحة التى تشعر بقساوة قلوبهم وانعدام الشفقة
 منها وانهم تجاوزوا الحدود فيما أتوا به ، فاستوجبوا
 لذلك أن تحل بهم نعمة الله ولعنته وغضبه فجلسوا
 بعيدا - كما فعل النمرود مع ابراهيم - عن الاخذود
 يراقبون وينظرون اعمال اعوانهم وهم يعرضون
 المؤمنين على النار فمن ارتد منهم عن دينه وكفر بالله
 - استجابة لهم - رضوا عنه وأخلوا سبيله وتركوه
 ومن رفض ما أرادوه واستمسك بعقيدته ودينه رموه
 فى النار وأقحموه فيها ، كما أخبر الله تعالى الرحمن
 الرحيم عنهم **« إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ، وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ**
بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

وفى النهاية أعلمنا الله القوي العزيز - كى نثبت
على ديننا وعقيدتنا - بأن الصراع والنزاع موجود من
قديم الزمان وهو قائم بين التوحيد والشرك وبين
الكفر والايمان وبين المؤمنين والكافرين على أنواع
وأشكال وأساليب مختلفة ولا يزال مستمرا بأنواعه
وأشكاله الى يومنا هذا ، بل والى أن يرث الله الارض ومن
عليها وهو خير الوارثين

ذلك امتحان يمتحن الله به عباده ليظهروا للناس
عن حقيقتهم وينكشف ما فى ضمائرهم وسرائرهم
فيعرفوا بما هو مستور فى باطنهم حتى لا يصدق
الناس بالاقوال وحدها مجردة من الاعمال وكم علم
الناس وتعلموا من هذا الامتحان حقائق كانت مجهولة
لديهم وبالامتحان بَانَ كُلُّ مَخْبُوءٍ وَاُنْكَشِفَ كُلُّ
مُسْتَوْرٍ وذلك ما اراده الله العالم بما فى السرائر ،
وبمن هو أهل للايمان الكامل الذى يثبت عليه ولو يلقي
فى النار ومن اتخذ الايمان (دِثَارًا لَا شِعَارًا)
غير أن الله عود أهل التوحيد والايمان النصر على
خصومهم أعداء الله وأعدائهم فتكون العاقبة لهم فى
كل موقف وقفوه تجاه أعدائهم ذلك ما وقع فى كل
موقف وحال مضى والعقوبة على أعدائهم مهما امتد
الزمن وطال كما قال (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) سورة آل عمران الآية 126 ، وصدق
الله العظيم

فرئيس اصحاب الاخدود الملك « الحميرى » ذو نواس
اليهودى قد أحرق فى الاخدود كل من تنصر من أهل
نجران لان أهل نجران – باليمن – دانوا بالنصرانية،
قبل ظهور الاسلام ، وهكذا شأن الظالمين مع المؤمنين ،
وقد قدم منهم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأسلموا اختياراً منهم ، بلا تحريق ولا تعذيب ، لسماحة
صدر الاسلام ، وقد بعث اليهم الرسول من علمهم من
الصحابة ، وقصتهم مذكورة فى الوفود



بلال بن رباح

أحد المستضعفين المعذبين من الصحابة

مثال من أمثلة أبطال العقيدة الاسلامية

هو بلال بن رباح مولى أبى بكر الصديق وعتيقه
رضى الله عنهما ، ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا الحكم،
وقيل أبا عبد الرحمن وهو من مؤلدى مكة المكرمة
وقيل مولدى السراة واسم أمه « حمامة » وكانت
لبعض بنى « جُمَحِ » وهو حبشى الاصل ، قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم (**بِلَالٌ سَابِقُ الْعَبَشَةِ**)
— يعنى الى الاسلام — وكان بلال من مستضعفى
الصحابة ومؤمنهم الاولين وكان يعذب العذاب
الشديد من أجل عقيدته التوحيدية — فيصبر على
العذاب — وهذا حين أسلم وأبى أن يرجع عن دينه
وعقيدته فما أعطى معذبيه — قط — كلمة ترضيهم
وتسخط عليه ربه مما يريدونه منه ، حيث طلبوا
منه أن يرجع عن دينه « الاسلام » الذى هداه الله اليه ،
اذ كان من السابقين اليه وقد ألح عليه معذبهوه
— كثيرا — وهو تحت العذاب والسياط ، أن يكفر بالله

وبرسوله محمد، صلى الله عليه وسلم ، فيأبى أن يجيبهم الى شيء مما يريدونه بل يصارحهم - ليفضبهم - ويقول لهم فى رفض وابعاء لما أرادوه منه - أحد أحد - ويقول لو كنت أعرف كلمة أحفظ - أغفظ - لكم منها لقلنتها لكم ، وكان الذى يتولى تعذيبه المشرك الجبار (أمية بن خلف) وهو اذ ذاك عبد مملوك للمشركين

وكان اذا اشتد عليه المشركون فى التعذيب والتنكيل به يقول أحد أحد ، فيستريح قلبه بذكر الله ، وينسى العذاب الذى هو فيه ، فيقول له المشركون قل كما نقول نحن فيقول لهم بلسان المؤمن الثابت فى ايمانه ، القوى فى عقيدته ان لسانى لا يحسنه يعنى كلمة الكفر بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما طلبوه منه ليقلعوا عن تعذيبه

من أنواع التعذيب له :

ذكر ابن سعد - وغيره - فى الطبقات الكبرى أن يلالا أخذه أهله - أى مالكوه - فمطوه - أى مدوه - وألقوا عليه من البطحاء - أى الزبل - وجلد بقره ، فجعلوا يقولون : ربك اللات والعزى ، وهو يقول أحد أحد ، فهم يحاولون أن يردوه عن دينه دين التوحيد ليشارك مع الله الاوثان والاصنام ، فكان لا يجيبهم الا بكلمة التوحيد ، وهى (لا إله إلا الله مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) قال فأتى عليه أبو بكر الصديق

رضى الله عنه فقال لمعذبيه علام تعذبون هذا
الانسان؟ وطلب منهم أن يبيعوه له فقبلوا - بعد
محاولات - فاشتراه منهم بسبع أواق وقيل بتسع
وقيل بخمس فأعتقه لله وفي سبيل الله فذكر هذا
للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له الشركة يا أبا بكر،
فقال قد أعتقته فتم عتقه على يد أبى بكر وأزال
عنه قيد العبودية لغير الله الخالق الحكيم وكان بلال
لابى بكر خازنا ولرسول الله مؤذنا

وروى عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب
رضى الله عنهم كان يقول أبو بكر سيدنا وأعتق
سيدنا (يعنى بلالا) وجاء فى بعض الاخبار التى
تعرضت لمحنة بلال أن أبا بكر مر ببلال وهم يصنعون
به ما يصنعون من ألوان التعذيب والتنكيل، فقال لمعذبه
(أمية بن خلف) ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟ حتى متى؟
فقال له أمية: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى، فقال أبو بكر:
أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى وهو على
دينك أعطيكه به قال قبلت ، قال هو لك فأعطاه
أبو بكر غلامه ذاك وأخذ بلالا منه فأعتقه هذه احدى
روايات عتق بلال ثم أعتق معه سبعة على الاسلام
- قبل أن يهاجر من مكة - ست رقاب وبلال سابعهم

قال ابن اسحق وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله
عنهما لبعض بنى جُمَحَ ، مولدا من مولديهم وكان
صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف

ابن وهب بن حذافة بن جمح يخرج بلالا اذا حميت
الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر
بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له
(لا والله) لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد
وتعبد اللات والعزى فيجيبه وهو في ذلك البلاء
الشديد أحد أحد ولو أعلم كلمة أحفظ - أكثر
غيظا - لكم منها لقلتها لكم زيادة في غضبكم عنى

وقال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه
قال كان ورقة بن نوفل يمر به - بلال - وهو يعذب
بذلك العذاب وهو يقول أحد أحد فيقول له ورقة
أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية بن خلف
وعلى من يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول أحلف
بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا (أى لاجعلن
قبره موضع حنان وزيارة) أى عطف ورحمة فأزوره
كما تزار قبور الصالحين والشهداء للعبرة والذكرى
والقدوة الحسنة ، هذه رواية ابن اسحاق فى السيرة

ملاحظة على هذه الرواية :

قال ابن كثير فى السيرة النبوية بعد أن ذكر ما قاله
ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه من مرور ورقة
ابن نوفل على بلال وهو فى العذاب الخ قال
ابن كثير قلت وقد استشكل بعضهم هذا من جهة أن
ورقة بن نوفل توفى بعد البعث فى فترة الوحي



واسلام من أسلم انما كان بعد نزول (يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ)
فكيف يمر ورقة ببلال وهو يعذب ؟ وفيه نظر ،
فابن كثير لم يرض بما قاله ابن اسحاق ولم يطمئن
قلبه اليه لما ذكره من اختلاف الزمان

وقد نال تأخى رسول الله بين الصحابة رضوان الله
عنهم بلالا فقد آخى بينه وبين عبيدة بن الحارث
ابن عبد المطلب ، وقيل بل كانت هذه المؤاخاة بينه وبين
أبي رويحة الخثعمي وقيل بينه وبين أبي عبيدة
ابن الجراح

من هم أول من أظهروا الاسلام ؟

ذكر ابن سعد فى طبقاته الكبرى عند كلامه على
ترجمة بلال رضى الله عنه قال أخبرنا جرير
ابن عبد الحميد عن منصور بن مجاهد قال أول من
أظهر الاسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وعمار بن ياسر
وأمه سمية، قال فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه
الله بعمه وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه وقبيلته
وأخذ الآخرون فألبسوهم أدراع الحديد ثم صهروهم
فى الشمس حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ ، فأجابوهم
- فى بعض الاوقات - الى ما طلبوه منهم ، من كلمات
ترضيهم فيها نوع من الكفر بالله - ظاهرا - أما
قلوبهم فهى عامرة بالايمان بالله وحده ، مثل ما فعل

عمار بن ياسر رضى الله عنه ، فقد أجابهم الى بعض ما أرادوه منه ، ونطق ببعض كلمات الشرك كما يأتى فى ترجمته ان شاء الله الا بلالا رضى الله عنه ، فانه لم يعطهم أى شىء مما طلبوه منه ، فقد هانت عليه نفسه وذاته فى الله وفى دين الله ولم يقبل أن يرضى المشركين بشىء مما طلبوه منه بل كان يفوه بكل كلمة تغضبهم كما مر سابقا ، حتى ملوه وملوا الحديث معه ، من أجل ما يسمعون من اظهار وحدانية الله فى كلمة صريحة مدوية - لا غموض فيها ولا تورية - تصم آذانهم وتؤذى مشاعرهم نحو ألهم المعظمة فى قلوبهم، ولما أعياهم أمره جعلوا فى عنقه حبلا من ليف وسلموه الى صبيانهم ، ثم أمرهم أن يشتدوا عليه فى التعذيب ، ويسرعوا به بين أخشبي - جبلى - مكة ، فهو فى أيديهم ، وهم يفعلون به ما أمروا أن يفعلوه به ، وهو يقول أحد أحد ، أى لا شريك مع الله فى الوهيته ، وهذا هو الثبات على العقيدة وأيم الله ، حتى فى الالهوال والشدائد

قال الشعبى سألت ابن عباس رضى الله عنهما من أول الناس اسلاما ؟ فقال أبو بكر ، أوما سمعت قول حسان

إِذَا تَدَكَّرْتَ شَجَوًّا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ
فَأَذْكَرَ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتْقَامَا وَأَعْدَلَهَا
بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَامَا بِمَا حَمَلَا

الثَّانِيَّ اَلتَّالِيَّ اَلْمُخْمُوْدَ مَشَهَدُهُ وَ اَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا

وقد اصاب ابا بكر اذى كثير من المشركين من اجل اسلامه وهم الذين حاربوا الدعوة الاسلامية في اول بزوغ شمسها لانه كان اول رجل آمن وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته قال ابن اسحاق وحدثني بعض آل أم كلثوم بنت أبي بكر قالت لقد رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا مفرق رأسه مما جذبوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر

بلال أول مؤذن في الاسلام :

شرع الله الأذان في الاسلام لحضور المسلمين الصلاة المفروضة عليهم وهي الصلوات الخمس والأذان هو الاعلام بدخول وقت الصلاة وفيه دعوة المسلمين ونداؤهم لاداء هذا الفرض العظيم في الاسلام وهو الصلاة ، وسواء أكان الاداء لها في المساجد أو في أى مكان كان

هذا وقد شرع الله الأذان للصلاة في السنة الثانية من الهجرة ، حين كان المسلمون يجتمعون اليها بلا نداء ولما ازداد عددهم بانتشار الاسلام وتفرق المسلمين في البلاد وأطرافها للقيام بأعمالهم المعاشية كانوا في حاجة ماسة الى دعوتهم لاداء الصلاة وتنبيههم الى حضور وقتها حتى لا يتأخروا بها عن وقتها وكانت دعوة اليهود الى صلواتهم بالبوق ، أو الصور ودعوة

النصارى بالجرس أو الناقوس فتأكدت الحاجة الى
دعوة المسلمين بشيء ينبههم لها فشرع الله لهم الآذان
لذلك كي يقبلوا الى المساجد لاداء الفرض الواجب
عليهم وهو الصلاة ، فكان بلال أول من أذن فى الاسلام،
واستمر على هذا مدة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم،
فهو مؤذنه حضرا وسفرا وكان اذا فرغ من الآذان
وأراد أن يخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه أذن ،
وقف على باب حجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال
حى على الصلاة حى على الفلاح يا رسول الله فاذا
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته ورآه بلال
ابتدأ الاقامة

وكان للرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة مؤذنين
هم بلال ، وأبو محذورة وعمرو بن أم مكتوم
الضريير فاذا غاب بلال أذن ابو محذورة واذا غابا
أذن عمرو بن أم مكتوم

ولما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة المكرمة
سنة ثمان من الهجرة أمر بلالا أن يؤذن على ظهر
الكعبة المشرفة - لانعدام المئذنة يومئذ - فصعد بلال
فوقها وأذن وقد أزعج المشركين وأقلقهم صوت هذا
الحبشى وهو يؤذن من فوق ظهرها اذ لم يكونوا
يسمحون لاحد غيرهم بالصعود فوقها اذ الاسلام محا
جميع الفوارق العرقية والبشرية ، فكل المسلمين سواء،
ويسعى بدمتهم أدناهم

بلال حامل العنزة :

مما أكرم الله به بلالا رضى الله عنه زيادة على أن اسلامه كان فى أول المسلمين وبلاؤه البلاء المر والبلاء الشديد وصبره على كل ما أصابه فى سبيل الله فقد أكرمه الله بكرامة أخرى حيث اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون حامل عَنزَتِهِ ، فقد جاء عن ابن عمر رضى عنهما قال كانت العنزة تحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العيد يحملها بلال المؤذن وكان يَرْكُزُهَا بين يديه والمصلى يومئذ فضاء لتقوم مقام « السترة » التى توضع أمام المصلى ، فاذا أراد أحد المارة أن يمر أمام المصلى مر من ورائها فتكون السترة حائلا بين المار وقت مروره وبين المصلى وقت صلاته والسترة من سنن الصلاة اذا كان المصلى يصلى وأمامه فضاء يمر منه الناس وذلك حتى لا يقطع المارة على المصلى صلاته ، ولا يشغلوه عنها وقت مرورهم وقد زهد فى فعلها المسلمون فى الوقت الحاضر فهى من السنن النبوية التى تنوسيت، وكاد المصلون أن لا يعرفوها الا القليل منهم، فبلال هو الذى كان يحملها ويمشى بها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا شرف آخر حازه بلال بفضل ايمانه ويقينه الذى لم يزعزعه أو يضعفه التهديد والوعيد بل حتى والعذاب الشديد. والعنزة : هى عود من خشب

أحول من العصا وأقصر من الرمح في أسفلها وطرفها
الذى يمس الأرض زُجٌّ كزُجِّ الرمح ، - الزُّجُّ حديدة -
يتركاً عليها الشيخ الكبير ومن تقدمت به السن ، وذلك
لعجزه عن السير بدونها وهى شبه العكاز التى نعرفها
الآن عندنا

وقد ذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى بسنده عن
حص بن عمر بن سعد عن أجداده وغيرهم أنهم أخبروه
أن النجاشى الحبشى بعث الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث عَنَزَاتٍ فأمسك واحدة لنفسه وأعطى
على بن أبى طالب واحدة وأعطى عمر بن الخطاب
واحدة، فكان بلال يمشى بتلك العنزة التى أمسكها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه بين يديه فى
يومى العيد - الفطر والاضحى - حتى يأتى المصلى
فيركزها بين يديه فيصلى اليها ثم كان يمشى بها بين
يدى أبى بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك،
ثم كان سَعْدُ الْقُرَظِ يمشى بها بين يدى عمر بن الخطاب
وعثمان بن عفان فى العيدين فيركزها بين أيديهما
فيصليان اليها قال عبد الرحمن بن سعد وهى هذه
العنزة التى يَمْشَى بها اليوم بين يدى الولاة

وقال ابن سعد أخبرنا محمد بن عمر بن محمد
ابن ابراهيم بن الحرث التيمى عن أبيه قال لما توفى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن بلال ورسول الله
صلى الله عليه وسلم لم يقبر ، فكان اذا قال : أشهد أن

محمدا رسول الله انتحب الناس في المسجد - يعني
بكوا بالصوت وذلك هو النحيب - فلما دفن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له أبو بكر أذن ، فقال ان كنت
انما أعتقتني لاكون معك فسبيل ذلك - وفي رواية
فاحبسني - وان كنت اعتقتني لله فخلني ومن اعتقتني
له ، فقال ، ما أعتقتك الا لله قال فاني لا أؤذن
لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فذلك اليك قال فأقام حتى خرجت بعوث الشام فسار
معهم حتى انتهى اليها

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر لما
قعد على المنبر يوم الجمعة قال له بلال يا أبا بكر قال
لبيك ، قال أعتقتني لله أو لنفسك ؟ قال لله ، فأذن
لي حتى أغزو في سبيل الله قال فأذن له فذهب الى
الشام فمات ثم

بلال لا ينكر أصله :

فقد جاء عن قتادة ان بلالا تزوج امرأة عربية من
بنى زهرة ، وجاء في طبقات ابن سعد قال خطب بلال
وأخوه الى أهل بيت من اليمن فقال أنا بلال وهذا
أخي عبدان من الحبشة كنا ضالين فهدانا الله ، وكنا
عبيدين فأعتقنا الله ان تنكحونا فالحمد لله وان
تمنعونا فالله أكبر وجاء بنو أبي الكبير الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا زوج أختنا فلانا
فقال لهم أين أنتم عن بلال ؟ وللمرة الثالثة وهم

يطلبون منه أن يزوج أختهم من فلان فقال لهم أين
أنتم عن بلال؟ أين أنتم عن بلال رجل من رجال الجنة؟
قال فأنكحوه

وقال أصحاب السير كان الناس يأتون بلالا فيذكرون
فضله وما قسم الله له من الخير فكان يقول لهم
انما أنا عبد حبشي كنت بالأمس عبدا

وكان المشرك (أمية بن خلف) الجمعي ممن يعذبون
بلالا بل كان هو أكبر معذبيه فكان يوالى عليه
العذاب والاهانة والمكروه فكان من قضاء الله وقدره
أن مكن الله بلالا من عدو الله وعدوه أمية بن خلف
يوم غزوة بدر فقتله ، حسبما ورد هذا في كتب السيرة ،
فقد جاء فيها أن بلالا لما أبصر عدو الله أمية بن خلف
صاح وقال أمية بن خلف عدو الله لا نجوت ان
نجا وأجهز عليه فقتله وأخذ ثاره وحقه منه لما
كان يفعله به من أنواع التعذيب والتنكيل والاهانة ،
فقال فيه أبو بكر رضى الله عنه

هنيئا زادك الرحمن خيرا فقد أدركت ثارك يا بلال

ذلك أن أمية بن خلف - معذب بلال - كان يخرج
إذا حميت شمس الظهر فيطرحه على ظهره في بطحاء
مكة - كما مر - ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على
صدره ثم يقول له (لا والله) لا تزال هكذا حتى
تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ، فيجيبه

بلال وهو في هذا البلاء العظيم أحد أحد ، وقيل يقول
اله لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد

هذا هو ايمان هذه الشخصية العظيمة في عقيدتها،
والصلبة في دينها وبهذه العقيدة الفذة تغلب على
كل الصعاب والعقبات التي اعترضت سبيله في كل
مراحل حياته الاسلامية

**فهل يوجد في المسلمين - اليوم - من له شيء من
ايمان هذا الرجل العظيم ؟ من غير اعتبار اللون والوطن .
رواة الحديث عنه :**

روى الحديث عن بلال وأخذ عنه كبار الصحابة رضى
الله عنهم أجمعين منهم أبو بكر الصديق وعمر
الفاروق ، وعلى بن أبي طالب ، وعالم الصحابة عبد الله
ابن مسعود وعبد الله بن عمر وغيرهم ، كما روى
عنه جماعة من كبار التابعين بالمدينة والشام والكوفة
وقال على بن عمر روى عن بلال جماعة من الصحابة
وهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأسامة
ابن زيد وعبد الله بن عمر وكعب بن عجرة
والبراء بن عازب ، وغيرهم

ومن فضائله رضى الله عنه :

روى ابن وهب وابن القاسم عن الامام مالك قال
بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال
(يَا بِلَالُ إِنِّي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ ، فَسَمِعْتُ فِيهَا خَشْفًا - وَالتخشف

الوطء بالاقدام والحس - أمامي قال : فقلت : من هذا
قال بلال ، قال : فكان بلال إذا ذكر ذلك بكى .

وجاء أنه كان إذا أذن بعد وفاة الرسول صلى الله
عليه وسلم ذكر الصحابة بعهد الرسول عليه الصلاة
والسلام فبكوا لذلك وروى الامام الذهبي في كتابه
« سير أعلام النبلاء » عن زيد بن أسلم عن أبيه قال
قدمنا الشام مع عمر بن الخطاب فأذن بلال فذكر
الناس النبي صلى الله عليه وسلم فلم أر يوما أكثر
باكيا منه

وقال الذهبي أيضا قال أبو حيان التيمي عن أبي
زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لبلال عند صلاة الصبح (حَدَّثَنِي بِأَرْجَى
عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّيْلَةَ خَشْفَةً
- حركة - نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ : مَا عَمِلْتُ
عَمَلًا أَرْجَى مِنْ أَنِّي لَمْ أَطَهَّرْ طَهُورًا تَامًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ
أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ لِرَبِّي مَا كَتَبَ لِي أَنْ أَصَلِّيَ) . ومن
المعلوم ان الذي سمعه الرسول صلى الله عليه وسلم من
بلال انما هو روحه لا جسده ، فان جسده لا زال لم يدخل
الجنة ، وفيه أيضا انه دعا بلالا فقال له (بِمَ سَبَقْتَنِي
إِلَى الْجَنَّةِ ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا وَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ
- الخشخشة حركة لها صوت كصوت السلاح - أمامي
وَأَنْتَ عَلَى قَصْرِ مِنْ ذَهَبٍ ، فَقَالَ بِلَالٌ : مَا أَذْنْتُ قَطُّ
إِلَّا صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ إِلَّا تَوَضَّأْتُ ،
وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكَعَتَيْنِ أَرْكَعُهُمَا ، فَقَالَ : بِهِمَا) .

وتوفى بلال رضى الله عنه بدمشق ، وقيل مات فى « داريا » وحمل فأقبر فى الباب الصغير ، وقيل دفن بباب كيسان ، أما داريا فهى قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة مشهورة وكانت وفاته سنة عشرين من الهجرة ، وقيل سنة احدى وعشرين ودفن بدمشق عند الباب الصغير فى مقبرة دمشق ، على الخلاف كما مر ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقيل ابن سبعين سنة ويقال انه كان ترب أبى بكر رضى الله عنهما وقد شهد بلال بدرا ، وأحدا ، والخندق ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولما حضرته الوفاة قال (غَدَا نَلْقَى الْأَحِبَّةَ ، مُعَمَّدًا وَحِزْبَةً) ولما سمع امرأته تندبه وتقول : وا ويلاه - على عادة النساء عند مشاهدة موت ذويهن - فقال هو وا فرحتاه رحمه الله ورضى عن هذا الرجل العظيم الذى كان من السابقين الاولين الذين واكبوا الدعوة الاسلامية من أولها



عمار بن ياسر وأسرته

من أول من أظهروا الاسلام :

هو أبو اليقظان عمار بن ياسر وأمه سمية البرة
التقية المؤمنة الصالحة أول شهيد في الاسلام ، وأبوه
ياسر وأخوه عبد الله وهذه الاسرة الطيبة الكريمة
على الله من المستضعفين ومن السابقين الى اعتناق
الاسلام وعقيدة التوحيد ونبذ الشرك وعبادة غير الله
تعالى من معبودات الجاهلية ، وكان اسلام عمار بعد بضعة
وثلاثين ممن أسلموا وهو وأمه ممن عذبوا في الله
العذاب الشديد

وأسلم عمار ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
دار الارقم بن أبي الارقم أين كان يجتمع بالمسلمين
خفية لتعليمهم قواعد الدين ليكونوا ثابتين على عقيدتهم
فلا يفتنهم المشركون والوقت ذاك وقت فتنة اسلم
هو وصهيب بن سنان الرومي في وقت واحد

قال عمار لقيت صهيب بن سنان على باب « دار
الارقم » ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقلت
له : ما تريد ؟ فقال لي وما تريد أنت ؟ فقلت أريد

أن أدخل على محمد فأسمع كلامه فقال لي وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه ، فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ثم مكثنا يوماً على ذلك حتى أمسينا ثم خرجنا ونحن مستخفون وكان اسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً كما سلف

وكان عمار بن ياسر من مستضعفى الصعابة الذين كانوا يعذبون فى مكة من مشركيها ليرجعوا عن دينهم ولكنهم كانوا يأبون هذا الذى يأمرهم به المشركون والمستضعفون قوم لا عشائر لهم فى مكة تحميهم من طغاة أقوياء المشركين فكان العذاب ينزل عليهم بلا شفقة ولا حنان ولا خوف من أحد ، اذ ليس لهم منعة ولا قوة غير قوة الله الواحد القهار فكانت قریش تعذبهم بالرمضاء فى وسط النهار ليرجعوا عن دينهم، وكان عمار وصهيب يعذبان العذاب الشديد حتى ما يدرى أحدهما ما يقول ، فبمواقف هؤلاء المؤمنین وبصبرهم على ما أصابهم من شديد العذاب ظهر الحق وانتصر على الباطل وأعوانه وأنصاره ، وانتشرت عقيدة التوحيد وهى العقيدة الصحيحة

ذكر ابن سعد فى طبقاته الكبرى نسب عمار بن ياسر ونسب أمه سمية فقال هو عمار بن ياسر بن عامر ابن مالك بن كنانة الخ ، ثم قال كان قدم ياسر ابن عامر وأخواه الحارث ومالك من اليمن الى مكة يطلبون أبا لهم ، فرجع الحارث ومالك الى اليمن ، وبقي

ياسر بمكة وحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم وزوجه حذيفة أمة له يقال لها
«سمية بنت خباط» (1) فولدت له عمارا ، فأعتقه
– عمارا – أبو حذيفة ولم يزل ياسر وعمار مع
أبي حذيفة الى أن مات وجاء الله بالاسلام فأسلم
ياسر ، وسمية وعمار وأخوه عبد الله بن ياسر
وكان عمار يكنى أبا اليقظان

قال مجاهد أول من أظهر الاسلام سبعة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وبلال ، وخباب
وصهيب ، وعمار وأمه سمية

دار الارقم : ودار الارقم بن أبي الارقم كانت أول
مركز – تجمع فيه المسلمون – وخليّة من مراكز وخلايا
انبثاق نور الاسلام اذ كان المسلمون لا يجروون على
الجهر بالاسلام واقامة شعائره أمام الناس كالصلاة ،
فلا يستطيعون اظهارها وكانوا يجتمعون سرا في هذه
الدار ، الى أن أظهر الله الدين باسلام عمر بن الخطاب
رضى الله عنه ، فخرج بهم الى الحرم وأدوا الصلاة فيه ،
– والمشركون ينظرون ويسمعون – فلم يمنعهم أحد ،
ودار الارقم بقراها بجوار «باب الصفا» في مكة المكرمة
ولهذه الدار وصاحبها الشجاع فضل ومزية في نشر
الاسلام ودعوته

(1) خباط بضم المعجمة وتشديد الموحدة ، الاصابة ج 8 ص 113 –

محدثه وقتته مع معذبيه :

قال الكثيرون ممن كتبوا في سيرة الصحابة رضی الله عنهم ان المشركين عذبوا من أسلم وأظهر اسلامه شديد العذاب ليرتدوا عن دينهم ويكفروا بالله الواحد الاحد وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يطلبون منهم النطق بكلمة الشرك ليكفوا عن تعذيبهم، والا استمر تعذيبهم ما داموا على الاسلام فمن أولئك المعذبين من أبى أن يعطيهم شيئا مما طلبوه كبلال رضی الله عنه - كما تقدم - عند بيان موقفه الصلب وعقيدته في الله وفي رسوله وفي الاسلام ومنهم من أعطاهم ذلك - ظاهرا - ليخففوا عنه العذاب وثبت على عقيدة التوحيد والاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم في باطن نفسه كعمار بن ياسر فقد ذكر جل المفسرين للقرآن الكريم أن هذه الآية وهي قوله تعالى : « مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » (I) نزلت في عمار ابن ياسر ومن عذب من المستضعفين حين عذبهم المشركون وشددوا عليهم في العذاب وقالوا له - عمار - لا نكف عن عذابك حتى تكفر بمحمد فوافقهم على ما طلبوه منه - مكرها - وجاء معتذرا الى

(1) سورة النحل الآية 106 .

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وشكا له ما أصابه من ذلك العذاب ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (كَيْفَ تَعْبُدُ قَلْبِكَ) ؟ قال مطمئنا بالآيمان ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ عَادُوا فَعُدُّ) وجاء في بعض الروايات عند البيهقي وغيره أنه سب النبي صلى الله عليه وسلم تحت الضغط عليه بل وذكر آلهتهم بخير وشكا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكرت آلهتهم بخير ، فقال له (كَيْفَ تَعْبُدُ قَلْبِكَ ؟) قال مطمئنا بالآيمان فقال له (إِنَّ عَادُوا فَعُدُّ) وفي هذا أنزل الله تعالى قوله « **إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** » . ولهذا اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له - ظاهرا لا باطنا - أن يقبل ويفعل ما طلب منه فعله ابقاء على حياته ، كما فعل عمار بن ياسر وله أن يمتنع عن اجابته لما طلب منه كما فعل بلال رضى الله عنه ، فانه أبى أن يعطى شيئا للمشركين وهم يعذبونه ويفعلون به الأفاعيل حتى انهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في ساعة اشتداد الحر ويأمرونه بقول كلمة فيها ما يرضيهم فيأبى عليهم هذا ، ويقول لهم **أحد أحد ، بل ويقول لهم والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم لقلتها لكم زيادة في غيظكم وغضبكم**

وبناء على ما سلف بيانه من موقف عمار بن ياسر مع معذبيه قال المفسرون لكتاب الله ان الآية السابقة :
« مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ »

بِالْإِيمَانِ ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ان هذه الآية تشمل نوعين ممن كفر بالله وأشرك معه غيره أو جحد به بتاتا

النوع الاول من كفر وجحد وجود الله، أو وحدانيته وهو في كفره مختار وكفر عن رضى منه وانشرح صدره له فهذا حكمه فى الاسلام أنه كافر قولاً ونية وقصدًا وعملاً لانشرح صدره بالكفر ، فهو ممن غضب الله عليه لقوله تعالى « فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » وذلك لأنه استحب الحياة الدنيا على الآخرة وأثرها عليها وأولها كل عنايته واهتمامه فى حياته ولم يستجب لدعوة الله له الى التوحيد، فان كان كفره عن وراثة من أهله، فانه يدخل فى عامة الكفار، وحكمهم بين فى الاسلام وأما من كفر بالله - مختاراً - بعد الايمان به والاقرار له بالالوهية والتوحيد وهو ما أشارت اليه الآية وصرحت به فانه يعتبر فيه الارتداد عن الايمان الى الكفر فانه يسمى مرتداً - راجعاً وعائداً من الايمان الى الكفر - وحكمه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيه (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ) أخرجه أئمة الحديث كالبخارى وأحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنه فهو قد انتقل من صف المؤمنين بالله الى صف الكافرين الجاحدين له وهذا منه تلاعب واستهزاء بدين الله ، فكانت تلك عاقبته وعقوبته ، فهو قد ارتد عن دينه

مختاراً لهذا جزاء الله وعاقبه على ذلك بالعذاب العظيم ، فى الدنيا والآخرة

أما النوع الثانى وهو من أظهر خلاف ما أبطن كما فعل عمار بن ياسر مع معذبيه فأظهر لهم خلاف ما أبطن ، وقال ما قال اتقاء لشرهم وتعذيبهم له ، وذلك ليخففوا عنه العذاب ، فهذا لا حرج عليه فى سلوكه مع معذبيه أعداء الله هذا المسلك إذا أظهر لهم أنه موافقهم على ما طلبوه منه - ظاهراً فقط - فقد طلبوا منه الكفر بالله وبالدين وبالرسول صلى الله عليه وسلم ليكفوا عن تعذيبه فأجابهم الى ما طلبوه منه واتبع رأيهم فى الظاهر ، فهذا لا شىء عليه كما تقدم ولا يخاف عذاب الله على كفره به - ظاهراً - لانه اتقى به فقط عذاب معذبيه والله جل جلاله قال « **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** » سورة آل عمران والرسول صلى الله عليه وسلم قال : (**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانَ وَمَا أَسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ**) . رواه ابن ماجه عن أبى ذر رضى الله عنه ، وفى رواية أخرى عند ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانَ وَمَا أَسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ**) ، وفى كلا سند الحديثين للعلماء مقال .

ولبيان كل ما تقدم يظهر هذا فى قوله تعالى : « **وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ**

عَذَابٌ عَظِيمٌ» ، فأنشراح الصدر فى الآفة كناية عن القبول الاختيارى والرضى بالامر الذى مالت اليه النفس ورضيت به واختارته عقيدة وعملا فمن وسع صدره وقلبه وعقله لقبول الكفر بالله والردة بعد الايمان من غير أن تنازعه نفسه فى هذا الرضى والقبول فهذا كان مختارا من غير اضطرار فأنشراح صدره ورضى قلبه بقبول الكفر والجحود غير مكره عليه ولا كاره له فهذا ملعون ومفضوب عليه من الله الاله الواحد لجميع المخلوقات فهذا ظلم وقع من ظالم لذا وجبت معاقبته وهذا العذاب العظيم جزاء كفره وجحوده، وهو عذاب جهنم الذى أعده الله لمن كفر به وجحده

فالذى نطق بكلمة الكفر مُكْرَهًا عليها بالتهديد بالقتل كعمار بن ياسر رضى الله عنه كان الاكراه فى حقه عذرا مقبولا فان نطقه بها يطبق عليه قوله تعالى «إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً» سورة آل عمران ، ذلك أن العلماء قالوا ان من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل فانه لا أثم عليه ان كفر بلسانه وقلبه مطمئن بالايمان راض به ولا تبين منه زوجته - أى تطلق عليه - ولا يحكم عليه بالردة والكفر بعد الايمان ، ذلك أنه يدخل فى باب «التقية» المرخص فيها شرعا ، لتكون ملجأ للنجاة من ظلم الظالمين .

بعض ما كان المشركون يعذبون به المؤمنين :

ذكر ابن الاثير فى كتابه « أسد الغابة » نقلا عن محمد بن سيرين فقال (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهُوَ يَبْكِي يَدُلُّكَ عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَا لَكَ ؟ أَخَذَكَ الْكُفَّارُ فَغَطَّوْكَ فِي الْمَاءِ - وفى رواية فى النار - فَقُلْتُ كَذًا وَكَذًا ، فَإِنَّ عَادُوا لَكَ فَقُلْ كَمَا قُلْتَ ؟) وهو يقصد من هذا أن الكفار ألزموه بسب الرسول وشتمه والنطق بكلمات الشرك ، اذ لا حرج على من أكره على ذلك

وقال ابن الاثير أيضا عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضى الله عنهم أكان المشركون يبلغون من المسلمين فى العذاب ما يُعْذَرُونَ به فى ترك دينهم ؟ ؟ فقال نعم ، والله ان كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوى جالسا من شدة الضر الذى به حتى انه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا له اللات والعزى الهك من دون الله ، فيقول نعم ، وحتى ان « الْجُعَلُ » - نوع من الخنافس - ليمر بهم فيقولون له هذا الهك من دون الله ؟ فيقول نعم افتداء منهم لما يبلغون من جهد

هذا هو الصحابى الجليل عمارة بن ياسر وبعض ما أصابه من مشركى قريش وهو مخزومى من بنى مخزوم ، وقد هاجر الى الحبشة فيمن هاجر من الصحابة حين اشتد عليهم المشركون فى التعذيب ، وشهد بيعة

الرضوان وبدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وابلى ببدر البلاء الحسن كما شهد
« اليمامة » فابلى فيها أيضا وفيها قطعت أذنه رضى
الله عنه

وأرض اليمامة معروفة ، وهى جزء من بلاد العرب ،
معدودة من تراب « نجد » وكان فى اليمامة اذ ذاك
« مسيلمة » الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمن الرسول
صلى الله عليه وسلم وحرب اليمامة وقعت فى السنة
الثانية عشرة من الهجرة فقد ارتد من ارتد من بعض
القبائل العربية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم
ومنعوا الزكاة فلم يدفعوها الى بيت المال كما كان العمل
جاريا فى زمنه ومن تلك القبائل قبيلة بنى حنيفة
باليمامة بزعامة كذابها مسيلمة النبى الكذاب فجهز
لهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثلاثة
جيوش فكان ثالثها وآخرها - وهو جيش النصر - القاضى
عليها بقيادة سيف الله المسلول على الكافرين « خالد بن الوليد »
رضى الله عنه . على ما ورد فى كتب التاريخ ، كما مر ، ودارت
الحرب بين حنيفة وجيش الاسلام بشدة وقتل فيها
زعيمها مسيلمة الكذاب كما قتل فيها من الصحابة
رضوان الله عنهم عدد وافر وخاصة حفظة القرآن
الكريم وهذا ما جعل عمر بن الخطاب يفكر فى جمع
القرآن مخافة دروسه وذهابه بذهاب حفظته ، فأشار
على أبى بكر بذلك ، فامتنع الخليفة الاول أولا ثم شرح

الله صدره له فيما بعد ، حيث توقف في الجمع والنسخ ،
لانه عمل لم يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعد قتل زعيم أهل الردة « مسليمة » وانتصار جيش
الاسلام وانهزام حنيفة جرى الصلح بينهم وبين القائد
البطل خالد رضى الله عنه وعن جميع الصحابة حماة
الاسلام والعقيدة ، وانتهت حروب الردة

وعمار بن ياسر من السابقين الى الاسلام كما تقدم ،
وقد شارك في بناء مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
في المدينة ، اقتداء بصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم
وذلك حين كان يعمل مع أصحابه في بنائه ليرغبهم في
العمل وكان عمار يحمل اللبن - الطوب - وقد
أثقله اخوانه به اذ كانوا يحملون لبنة لبنة ويحملونه
هو لبنتين اثنتين فشكا لرسول الله ما يلاقيه من
اخوانه الصحابة قال يا رسول الله قتلوني ، - وهو
يمزح - يحملون على ما لا يحملون هم وقد ذكرت
أم سلمة رضى الله عنها أنها رأت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينفض وفرته - الوفرة ما نزل من الشعر
على الاذنين - بيده الشريفة وكان عمار رجلا جعد
الشعر ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول (**وَيْحَ
ابْنِ سَمِيَّةَ ، لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ ، إِنَّمَا
تَقْتُلُكَ أَلْفَةُ الْبَاغِيَةِ**) .

قال أصحاب السير ان أول من بنى مسجدا هو
عمار بن ياسر ، يعنون بهذا مسجد « قباء » ذلك أن

عماراً هو الذى أشار على النبى صلى الله عليه وسلم
ببنائه وقال ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بد من أن نجعل له مكاناً اذا استظل من قائلته أن يستظل
فيه ويصلى فيه فجمع حجارة وبنى مسجد « قباء »
فهو أول مسجد بنى على ما قيل ، اذ هو الذى جمع الحجارة
له فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم
بنيانه عمار

وعندما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
المهاجرين والانصار كانت مؤاخاة عمار بن ياسر مع
حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما



سمية

أما أمه « سمية » رضى الله عنها - أول شهيد فى الاسلام - فهى أيضا لم تنج من تعذيب المشركين ولم يكف فيها التعذيب وحده بل وصل بهم الامر الى قتلها، فقد قتلها عدو الله أبو جهل عمرو بن هشام حيث وجأها - ضربها - بحربة من حديد فى قلبها - وقيل فى قلبها - والاول اشهر فماتت ، فهى أول شهيد فى الاسلام فكان هذا الشهيد امرأة وهكذا ينال المسلمون ما ينالهم من أعدائهم بلا فرق وبلا تمييز بين الرجال والنساء فهم فيه سواء كما حدث أيام ثورة التحرير الجزائرية، من الجيش الفرنسى الاستعمارى

وشهد عمار بن ياسر قتال المرتدين - فى حرب اليمامة - التى قتل فيها مسلمة النبى الكذاب كما تقدم فقد روى نافع عن ابن عمر قال : رأيت عمارا

يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمن الجنة تفرون؟؟ أنا عمار بن ياسر هلموا الى قال وأنا أنظر الى أذنه قد قطعت فهي تذبذب - تتحرك - وهو يقاتل أشد القتال

وصحب عمار عليا رضى الله عنهما وشهد معه الجَمَلُ وَصِيفَيْنَ فأبلى فيهما قال أبو عبد الرحمن السلمى شهدنا « صِيفَيْنِ » مع علي فرأيت عمار ابن ياسر لا يأخذ فى ناحية ولا واد من أودية « صفين » الا رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم قال وسمعتة يومئذ يقول لهاشم ابن عتبة بن أبى وقاص يا هاشم تفر من الجنة؟ الجنة تحت البارقة - السيوف - اليوم ألقى الاحبة محمدا وحزبه والله لو قاتلونا حتى يبلغوا بنا شعاب هجر لعلمت اننا على حق وأنهم على الباطل وقال أبو البَخْتَرِي قال عمار بن ياسر يوم « صفين » أيتونى بشربة فأتى بشربة لبن فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى (**أَخِرُ شَرْبَةَ تَشْرَبُهَا مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنِ**) فشربها ثم قاتل حتى قتل رحمه الله ورضى عنه وكان عمره أربعاً وتسعين سنة وقيل ثلاثاً وتسعين وقيل احدى وتسعين

وفى المعذبين من ضعفاء الصحابة رضوان الله عنهم نزل قوله تعالى على ما قاله المفسرون « **وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً** ،

وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (١) وقوله
« ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ، ثُمَّ
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (2).
وقال بعض المفسرين انها نزلت في عمار بن ياسر
خاصة والمعتدون من الصحابة رضى الله عنهم هم
عمار بن ياسر وأمه سمية وأبوه ياسر وبلال ،
وصهيب ، وخباب

قال ابن اسحاق وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار
وأبيه ياسر وبأمه سمية وكانوا أهل بيت اسلام
اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة وهى شدة
حرارة الشمس فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمر بأسرة عمار بن ياسر وهى تعذب فيقول لهم
(صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ) .

وعن محمد بن كعب القرظى قال أخبرنى من رأى
عمار بن ياسر متجردا فى سراويل - سروال - قال
فنظرت الى ظهره فيه حبط كثير - أثر الضرب
بالسياط - فقلت له ما هذا؟ قال هذا ما كانت
تعذبنى به قريش فى رمضاء - حر - مكة ، كما عذبوه
بالاحراق بالنار

(1) الآية 41 من سورة النحل
(2) الآية 110 من سورة النحل .

بعض فضائل عمار بن ياسر ووفاته :

قال بعض كتاب السير انه لم يسلم أبوا أحد من السابقين المهاجرين غير أبي بكر وعمار

وجاء في أسد الغابة « لابن الاثير عن حذيفة ابن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**اِقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَمَا حَدَّثَكُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ فَاَقْبَلُوهُ**) . وأخرجه أبو يعلى في مسنده وأخرج الترمذى وغيره انه عليه الصلاة والسلام قال (**اِقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي مِنْ أَصْحَابِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ، وَاهْتَدُوا بِهَدْيِ عَمَّارٍ ، وَتَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ**) كما أخرجه ابن عدى عن أنس وأخرج الترمذى والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**مَا خَيْرَ عَمَّارٍ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَرْشَدَهُمَا**) ، وقال له : (**أَبَشِرْ عَمَّارُ تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ**) .

وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى « **أَمَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ** » قال نزلت فى عمار ابن ياسر

والذى أجمع عليه رواية الاخبار فى موته ، أنه قتل فى معركة « صفين » فى حرب على بن أبى طالب مع معاوية بن أبى سفيان فى صفر سنة سبع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وقيل غير هذا كما مر ،

ودفن هناك في « صفين » رحمه الله ورضي عنه ، وروى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيه (**تَقْتُلُهُ**
أَلْفِيَّةُ الْبَاغِيَّةِ) كما قال فيه أيضا (**إِنَّ قَاتِلَهُ وَسَالِبَهُ**
فِي النَّارِ) وروى هذا الاثر الاخير عن عبد الله
 ابن عمرو بن العاص حين أَخْبَرَ بقتله معاوية يوم
 الواقعة المذكورة فكان عمرو بن العاص حين أخبر
 معاوية بقتل عمار يشير الى أنه هو المقصود بهذا الاثر ،
 غير أن معاوية المشهور بحيله ودهائه رد على عمرو
 بقوله (لسنا نحن الذين قتلناه حتى نكون من البغاة
 بل قتله من جاء به الى المعركة حتى يموت فيها) . وهذا
 من معاوية تأويل بعيد كما يقول الفقهاء ، وعلى كل
 حال فهذا من قدر الله ، وعنده يجتمع الخصوم ، وهو
 الحاكم بين الخصوم يوم القيامة ، وهناك لا يظلم أحد ،
 ولا تضيع الحقوق في ذلك اليوم كما ضاعت في الدنيا ،
 وقد نهينا عن الخوض فيما حدث بين الصعابة ، نظرا
 لمنزلتهم عند الله وعند رسوله ، لما قدموه من توضيحات
 جسام لا يستطيعها سواهم ، وجاء في فضله ومنزلته
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء من ذلك ،
 كما في سنن ابن ماجه عن علي بن أبي طالب رضي الله
 عنه وكرم وجهه قول علي كنت جالسا عند النبي صلى
 الله عليه وسلم فاستأذن عمار بن ياسر فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم (**إِثْنَانُ لَهُ، مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمُطِيبِ**) .
 وفيها أيضا عن هانئ بن هانئ قال دخل عمار على
 علي فقال : مرحبا بالطيب المطيب ، سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول (**مُلِيَّ عَمَّارٌ إِيْمَانًا إِلَى مُشَاشِهِ**) - رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين - .

وفى سنن ابن ماجه أيضا عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**عَمَّارٌ مَا عُرِضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ إِلَّا أُخْتَارَ الْأَرْشَدَ مِنْهُمَا**) .

ومن أعمال أبى جهل بالمسلمين الذين يسلمون ويتبعون الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا سمع برجل أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه على حسب قوته وهيبته ومكانه فى قومه فان كان له شرف وحسب ومنعة فى قومه لامه على اسلامه وأنبه وخزاه ، من غير أن ينال منه بمكروه ، ويكتفى بالقول له تركت دين أبيك وهو خير منك **لَنْسِفِهِنَّ حِلْمَكَ وَلَنْفِيلَنَّ⁽¹⁾ رَأْيَكَ وَلَنْضَعَنَّ شَرْفَكَ** ، وان كان تاجرا قال له **والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك** أما ان كان ضعيفا لا منعة له ، ولا قبيلة تحميه وتدافع عنه ضربه وأغرى به ونال منه بما شاء من أنواع التعذيب والعذاب والاذى هذا شأنه مع المسلمين الاقوياء منهم والضعفاء من أجل نصره معبوداته وأصنامه وآلهته المعبودة بالباطل ينتصر لها بما يستطيع وهذا دأب الضالين والظالمين فى كل زمان ومكان ، ولكن العاقبة والنهاية للمحقين والمتقين .

(1) فيل رايه تفييلا ضعفه وقبحه وخطاه

صهيب بن سنان الرومى :

هو من السابقين الى الاسلام ومن المستضعفين ومن أولئك السابقين الذين نالهم من شركى قريش أذى كثير وفتنة عمياء وبلاء عظيم لا يتحمله الا أصحاب العقيدة الصحيحة المؤمنين بها من أجل عقيدتهم ومن الثابتين على الحق بالرغم من كل ذلك فهو « صهيب » بن سنان بن مالك بن عبد عمرو ، وهو من بنى « النمر بن قاسط » وأمه سلمى بنت قعيد بن مهيص وكنيته « أبو يحيى » كناه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عربى الاصل ، اذ هو من « الجزيرة » ومن أرض الشام ، وقال مسن كتبوا عنه وانما قيل له الرومى ، لان الروم سَبَّوْهُ (اختطفوه) وهو صغير فقد سَبَّى من قرية « نِينَوَى » من أعمال الموصل ، وكان أبوه أو عمه عاملا لكسرى على « الأُبْلَةَ » قال يا قوت الحموى فى معجم البلدان (الابلة بلد على شاطئ دجلة البصرة العظمى ، وفى زاوية الخليج الذى يدخل الى البصرة) وبلدة الابلة أقدم من البصرة - اذ البصرة بناها عتبة بن غزوان الصحابى المعروف - فى خلافة عمر بن الخطاب رضى

الله عنهما - وكانت منازل آل صهيب على نهر دجلة من جهة الموصل ، وقيل كانت منازلهم بأرض الموصل في قرية على شط الفرات مما يلي الجزيرة والموصل وقيل كانوا على الفرات من أرض الجزيرة فأغارت الروم عليها فأخذت صهيبا وهو طفل صغير فنشأ بالروم، فصار أَلَكَنَّ فباعته الروم الى رجل من قبيلة « كَلْبِرِ » ثم قدم به من اشتراه الى مكة فاشتراه منه « عبد الله بن جُدَّعَانَ » القرشي التيمي وأعتقه وأقام معه الى أن هلك عبد الله بن جدعان ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد الله له الكرامة ، فمن عليه بنعمة الاسلام فأسلم

وقال صهيب وولده بل انه هرب من عند الروم لما كبر وعقل ، فقدم مكة وحالف عبد الله بن جدعان وأقام معه الى أن هلك - مات - ابن جُدَّعَانَ

ولما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة أسلم وكان من كبار السابقين والبدرين وروى عنه أنه قال (**صَخِبْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ**) وكان صهيب يعذب حتى لا يدرى ما يقول

اسلامه :

قال الواقدي كان اسلام صهيب وعمار بن ياسر في يوم واحد - كما مر - وكان اسلامهما بعد بضعة وثلاثين رجلا وكان من المستضعفين في مكة الذين عذبوا من أجل عقيدتهم واتباعهم لرسول الله صلى الله

عليه وسلم وقيل كان اسمه قبل أن يُسبَى (عميرة)
فسماه الروم « صهيبا » لانه كان شديد الصهوبة ،
تشوبها حمرة

قال عمار بن ياسر - كما تقدم عنه - لقيت صهيب
ابن سنان على باب دار الارقم ، ورسول الله صلى الله
عليه وسلم فيها ، فقلت له ما تريد ؟ فقال لي : وما تريد
أنت ؟ فقلت أردت الدخول الى محمد صلى الله عليه
وسلم فأسمع كلامه فقال فأنا أريد ذلك فدخلنا
عليه فعرض علينا الاسلام فأسلمنا ثم مكثنا يوما
حتى أمسينا ثم خرجنا مستخفين

وقال ابن الاثير في كتابه (أسد الغابة في
تمييز الصحابة) عند ترجمته لصهيب رضي
الله عنه مسندا ما ذكره الى أبي زكرياء
يزيد بن اياس ما يلي وكان اشتراه - يقصد صهيبا -
عبد الله بن جدعان من رجل من كلب (قبيلة) بمكة ،
وكانت كلب اشترته من الروم - وقيل بل هو فر من
الروم - وأعتقه وأسلم صهيب ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في دار « الارقم » ، بعد بضعة وثلاثين رجلا ،
وكان من المستضعفين بمكة المعذبين في الله عز وجل ،
وأسلم هو وعمار في يوم واحد كما مر في كلمة عمار .

صهيب يشتري هجرته ونفسه بكل ما يكسبه :

حين عزم صهيب على الهجرة من مكة المكرمة الى
المدينة المنورة اسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم

وبمن هاجر من اخوانه صحابة رسول الله وكان هذا في منتصف شهر ربيع الاول وكان هو وعلى بن أبي طالب من آخر من هاجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال مقيما بقباء لم يرم - يفارق ويبرح - بعد

وذكرت كتب السيرة أن صهيبا لما خرج من مكة مهاجرا لحقه مشركو قريش وقالوا له يا صهيب أتيتنا صعلوكا (1) حقيرا فكثرت مالك عندنا وبلغت ما بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلون سبيلي؟ قالوا نعم قال فانى جعلت لكم مالى فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (رَبِيعٌ صُهَيْبٌ رَبِيعٌ صُهَيْبٌ) وفى مال صهيب الكثير قال مصعب الزبيرى هرب صهيب من الروم ومعه مال كثير فنزل مكة فعاقده عبد الله بن جدعان وحالفه وانتمى اليه

وجاء فى رواية أخرى فيها شيء من زيادة البيان والتوضيح عن موقف المشركين مع صهيب فى قصة خروجه من مكة بنية الهجرة واللحاق بمن سبقه جاء فيها أن صهيبا حين خرج مهاجرا الى المدينة تبعه نفر من المشركين ولما رأهم مقبلين نحوه يريدونه وقف لهم ونئل كنانته (2) - استخرج نبالها ونثرها أمامه -

(1) الصعلوك الفقير

(2) الكنانة جعبة تجعل فيها النبال سواء كانت من جلد أو من غيره .

وقال لهم يا معشر قريش تعلمون أنى من أركامكم ،
والله لا تصنون الى حتى أرميكم بكل سهم معى ثم
أضربكم بسيفى ما بقى بيدي منه شىء فاذا كنتم
تريدون مالى دللتكم عليه قالوا فدلنا على مالك ،
ونخلى عنك فتعاهدوا على ذلك ، فدلهم عليه وتركوه ،
فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له
الرسول صلى الله عليه وسلم (رِبِحَ الْبَيْعُ أَبَا يَغْيَى)
فأنزل الله عز وجل فى هذا قوله « وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَشْرِي نَفْسَهُ أُبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ
بِالْعِبَادِ » (٤) .

وروى أصحاب السنن عن أنس رضى الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (السَّبَاقُ أَرْبَعَةٌ
أَنَا سَابِقُ الْعَرَبِ ، وَصُهَيْبٌ سَابِقُ الْأَرُومِ ، وَسَلْمَانُ
سَابِقُ الْفُرْسِ ، وَبِلَالٌ سَابِقُ الْعَبَشَةِ) .

وقد تقدم عن مجاهد أنه قال أول من أظهر اسلامه
سبعة النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وبلال ،
وصهيب ، وخباب ، وعمار بن ياسر ، وأمه سمية ، رضى
الله عنهم أجمعين فأما النبى صلى الله عليه وسلم
فمنعه الله من عذابهم بعمه أبى طالب وأما أبو بكر
الصديق فمنعه الله بقومه لمكانتهم عند العرب ،
وأما الآخرون فأخذوا وألبسوا أدراع الحديد ثم
صهروا فى الشمس

(٤) سورة البقرة الآية 207 .

فالى هؤلاء المسلمين الضعفاء يرجع فضل نشر الاسلام وانتشاره فقد تحملوا من أنواع العذاب الشيء الكثير والسؤال الموجه منهم الينا هل استفدتم أيها المسلمون - بعدنا - من مواقفنا الصلبة التي لم تلن في جانب الله وعقيدة التوحيد لاي أحد مهما كانت قوته ؟؟ وهل أخذتم عنا ما يكون لكم مادة قوية وذخيرة حية صالحة للتربية على أن تنهجوا في حياتكم نهج الحق والسلاية فيه ؟ وعدم التساهل مع من يسمى لتوهين هذه العقيدة في قلوب المسلمين هذه العقيدة التي هي عقيدة الحق ، ولا عقيدة غيرها (فَمَاذَا بَعْدَ الْعَقْرِ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ) ؟؟ .

بعض الأحاديث التي رويت عنه :

أخرج الامام مسلم والترمذى عن صهيب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجُوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ؟ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الْعِجَابَ ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ) .

وجاء في رواية أخرى أوردها كل من الامام أحمد وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه عن صهيب رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ نَادَى مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ : إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا

يُرِيدُ أَنْ يُنَجِّزَ كُمُوهُ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا هُوَ ؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ
 مَوَازِينَنَا ؟ وَيَبَيِّضُ وُجُوهَنَا ؟ وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ؟ وَيُنَجِّنَا
 مِنَ النَّارِ ؟ فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ ، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ
 مَا أَعْطَاهُمْ اللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، وَلَا أَقْرَّ
 لِأَعْيُنِهِمْ) وجاء في بعض روايات الحديث المذكور
 أن ذلك هو (الزِّيَادَةُ) التي قال الله فيها « لِلَّذِينَ
 أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ » سورة يونس

وروى الترمذى بسنده الى صهيب قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (مَا آمَنَ بِالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَعَلَّ
 مَعَارِمَهُ) وقال الذهبي في كتابه « سير أعلام النبلاء »
 قال أبو زرعة حدثنا يوسف بن عدي حدثنا يوسف
 ابن محمد بن يزيد بن صيفى عن أبيه عن جده عن
 صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحِبِّ صُهَيْبًا حُبَّ
 الْوَالِدِ لَوَلَدِهَا) كما ذكره ابن عبد البر فى
 (الاستيعاب) فى ترجمة صهيب

وروى ابن عمر عن صهيب أنه قال (مَرَزْتُ بِرَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّي فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ
 عَلَيَّ إِشَارَةً بِإِصْبَعِهِ) ومن الاحاديث التي رواها
 صهيب قوله عليه الصلاة والسلام (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ
 إِنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ
 أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ
 صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) . أخرجه الامامان : مسلم وأحمد

وله نحو الثلاثين حديثاً روى له مسلم منها ثلاثة
وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عمر وجابر
وغيرهم ومن التابعين كعب الاحبار وعبد الرحمن
ابن أبي ليلى وأسلم مولى عمر وسعيد بن المسيب
وآخرون ويعد في المدنيين وكان يقول - فيما نقل
عنه - هلموا نحدثكم عن مغازينا فأما أن أقول
قال رسول الله فلا فهو بهذا يتجنب رواية الحديث
وكان فيه مع فضله وإيمانه وعلو درجته - مداعبة
وحسن خلق ، وروى عنه من هذا أنه حين قدم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هجرته وهو بقباء قبل أن
يتحول منها ومعه أبوبكر وعمر وكان بين أيديهم
رطب وتمر وصهيب قد رمد إذ أصابه الرمد وهو
في طريقه الى المدينة كما أصابته مجاعة شديدة من
قلة الزاد معه ولما وجد الرطب والتمر أمامه وقع في
الرطب يأكل أكل الجوعان فقال عمر يا رسول الله
ألا ترى الى صهيب يأكل الرطب وهو رَمِيدٌ؟ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم له (تَأْكُلُ الرُّطْبَ وَأَنْتَ
رَمِيدٌ؟) فقال له صهيب انما آكل على شق عيني
الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى بدت نواجذه وقال صهيب يا رسول الله ما
تزودت الا مُدًّا من دقيق عجنته بالابواء حتى قدمت
عليك

وكان في لسانه عجمة شديدة، وهي ناتجة عن تربيته وطول اقامته في أرض الروم لانهم أخذوه من وسط قومه وهو طفل صغير كما مر ذكره آنفا وزوى زيد ابن أسلم - الذي كان ملازما لعمر - عن أبيه قال: خرجت مع عمر حتى دخل على صهيب حائطا له بالعالية فلما رآه صهيب قال يَانَاشُ يَانَاشُ، فقال عمر ما له - لا أبا له - يدعو بالناس ، فقلت له انما يدعو غلاما له اسمه « يَحْنَسُ » وانما قال ذلك لعقدة في لسانه ، فقال له عمر ما فيك شيء أعيبه يا صهيب الا ثلاث خصال لولاهن ما قدمت عليك أحدا أراك تنتسب عربيا ولسانك أعجمي وتكتنى بأبي يحيى اسم نبي وليس لك ولد وتبذر مالك فقال له صهيب أما تبذير مالي فما أنفقه الا في حقه وأما اکتنائى بأبي يحيى فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانى بأبي يحيى ، فلن أتركها وأما انتمائى للعرب ولسانى أعجمي فان الروم سبتنى صغيرا فأخذت لسانهم وأنا رجل من النَّمِرِ بن قاسط من الموصل ولو أنْفَلَقْتُ عَنْ رَوْثَةَ - بعة - لانتسبت اليها

وكان من حب عمر لصهيب رضى الله عنهما ، أن عمر كان حسن الظن في صهيب وظهر هذا معه في عدة مناسبات ، منها أنه حين طُعِنَ رضى الله عنه أوصى أن يصلى عليه اذا مات صهيب ، كما أوصى أن يصلى بجماعة المسلمين ثلاثا حتى يتفق أهل الشورى على من سيخلف.

وذكر ابن سعد في طبقاته أن صهيبا قال لابي بكر
وعدتني أن نصطحب - يعني في الهجرة - فخرجت
وتركتني وقال هذا أيضا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وعدتني يا رسول الله أن تصاحبني فانطلقت
وتركتني فأخذتني قريش فحبسوني، فاشتريت نفسي
وأهلي بمالي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
(رَبِّحَ الْبَيْعُ) فأنزل الله « وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ
أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ » سورة
البقرة - الآية 207

نشاطه وخدمته للإسلام وسط المجموعة الإسلامية :

روى الحميدى والطبرانى عن صهيب ومن طريق
الستة أنه قال لم يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهدا قط الا كنت حاضره ، ولم يبايع بيعة قط الا كنت
حاضرها ولم يُسْتَرِ سَرِيَّةً الا كنت حاضرها ولا غزا
غزاة الا كنت فيها عن يمينه أو شماله وما خافوا
أمامهم قط الا كنت أمامهم ولا ما وراءهم الا كنت
وراءهم وما جعلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينى
وبين العدو قط حتى توفى، وكان صهيب حاضرا بدرا
والمشاهد بعدها ولم يتخلف عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى أى مشهد من المشاهد التى شهدها الرسول
صلى الله عليه وسلم

قال ابن شهاب وممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّمِرِ بن قاسط صهيب بن سنان وفي كتاب البخارى عن محمد بن سيرين قال كان صهيب من العرب من النمر بن قاسط

كلمة حول عبد الله بن جُدَعَانَ :

من يكون عبد الله بن جدعان هذا ؟ معتق صهيب ، والذى اشتراه من بعض قبيلة كلب ، أو حليفه كما جاء فى الرواية الاخرى

هو عبد الله بن جُدَعَانَ - بضم الجيم وسكون الدال - القرشى التيمى من مشاهير أجواد العرب وكرماتهم ، كان يعيش فى مكة المكرمة قبل الاسلام ، وهو من أثرياء قريش وأغنيائهم وكان رجلا كريما مضيافا يطعم الطعام وكان يلقب بـ (حاسى الذهب) لانه كان يشرب فى اثناء من ذهب وفى سبب غناه أقوال ربما لا يحتملها العقل وكان يطعم الناس الطعام ويفعل المعروف مع من يعرف ومن لا يعرف ، على عادة الاجواد والكرماء العرب وكان ربما حضر النبى صلى الله عليه وسلم طعامه قبل البعثة ، وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (شَاهَدْتُ مَأْدِبَةً فِي دَارِ بْنِ جُدَعَانَ) . وكانت له جفنة كبيرة بلغت من كبرها وسعتها ما لا يتصوره العقل على ما زواه الرواة فيها وفى وصفها ، فقد قالوا فى وصفها ونعتها : ان القائم يأكل منها واقفا ، وكذلك

الراكب على البعير من عرض حافتها وكثرة طعامها
لعظمتها وسعتها وقالوا أيضا انه سقط فيها صبي
ففرق ومات فيها وكان يملأها بلباب البريوليك
- يخلط - بالشهد والسمن ، على عادة العرب في كرمهم .

وجاء في غريب الحديث لابن قتيبة ج I ص 400 ،
وفي الفائق للزمخشري ج 2 ص 32 ، كما جاء في النهاية
في غريب الحديث لابن الاثير ج 3 ص 43 أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم (كَانْ يَسْتَنْظِلُ بِظِلِّ جَفْنَةٍ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ فِي الْإِسْلَامِ صَكَّةَ عُمَيِّ) وهي شدة
الحر في الهاجرة وعبد الله بن جدعان هذا ابن عم
والد أبي بكر الصديق رضى الله عنه - على ما ذكره
الرواة اذ هو تيمى ولذا قالت عائشة رضى الله عنها
- من أجل تلك القرابة التى كانت بينه وبين أبيها -
كما جاء في صحيح الامام مسلم قالت (يَا رَسُولَ اللَّهِ
إِنَّ ابْنَ جُدْعَانَ كَانَ يُطْعِمُ الطَّعَامَ ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ ،
وَيَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ، فَهَلْ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ لَهَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا :
رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) .

وكان لابن جدعان مناد ينادى لقصعته (هَلُمَّ إِلَى
الْفَالُودِ) وكان هذا فى الجاهلية وربما حضر طعامه
رسول الله صلى الله عليه وسلم

(نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه) .

هذه الجملة سبقت مساق المدح والثناء على من قيلت فيه فقد تناقلها الناس وبحثوا هذا الاثر من الزمن القديم ، واختلفوا في قائله فمن قائل انه حديث نبوى شريف ومن قائل انه غير حديث لكثرة البحث عنه ممن لهم عناية واهتمام بالحديث فالكثير من العلماء يرون انه من كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد علمنا مما تقدم أن عمر كان يحب صهيبا ، وهذا ما جعله يقدمه على غيره في عدة مواضع قال المجلونى في كتابه (كشف الخفاء) اشتهر في كلام الاصوليين وأصحاب المعانى وأهل العربية من حديث عمر وبعضهم يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وذكر البهاء السبكى أنه لم يظفر به بعد البحث

وهذا الاثر يورده علماء العربية كثيرا كشاهد على عمل حرف « لو » الشرطية ، كما يذكره علماء الاصول والمعانى ، من غير تعرض لبقية استعمالاتها ، اذ لاستعمال حرف « لو » خمسة أقسام

(1) أن تكون للعرض نحو لو تنزل عندنا فتصيب خيرا

(2) أن تستعمل للتقليل ، كقوله عليه الصلاة والسلام (تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ ، فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنْ الْجَائِعِ وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ) رواه ابن المبارك عن

عكرمة مرسلا والاثر الآخر (تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِظُلْفٍ مُخْرَقٍ) .

(3) أن تكون للتمنى نحو لو تأتينا فتحدثنا بما يفيدنا

(4) أن تكون مصدرية مثل أن الا أنها لا تنصب الفعل المضارع نحو قوله تعالى (وَذُؤَا لَوْ تُذْهِنُ فَيُذْهِنُونَ) الادهان اللين والمجاملة للأعداء ، أى تمنى المشركون منك يا محمد ان تلين لهم فتتنازل عن دينك فيقابلونك بالمثل

(5) أن تكون شرطية مثل الواردة فى الاثر السابق والمذكور أولا وهى التى تحتاج الى شرط وجوابه ، ليتم بهما المراد من الجملة ، ونحن نعلم أن « لو » الشرطية تحتاج الى فعل الشرط وجوابه مثل باقى أدوات الشرط المعروفة غير أنها لا تجزم الفعل المضارع كما تجزمه أدوات الشرط الجوازم ، فاستعمالها شرطية على قسمين (I) امتناعية وهى للتعليق فى الماضى وهذا هو الكثير فى استعمالها

(2) امتناعية بمعنى « ان » وهى للتعليق فى المستقبل وهذا قليل فى استعمالها ، والى هذا يشير ابن مالك فى ألفيته حيث قال

لَوْ حَرَفُ شَرْطٍ فِي مُضِيِّ وَيَقِيلُ
إِيْلَاؤُهَا مُسْتَقْبَلًا لَكِنْ قُبِيلُ

فاستعمالها في الجملة يدل على تعليق فعل على فعل
فيما مضى وهذا هو الاكثر في استعمالها فيلزم من
تقدير حصول شرطها حصول جوابها ويلزم كون
شرطها محكوما بامتناعه في بعض استعمالاتها

وقد تبارى علماء اللغة العربية في اطلاق تعريف
شامل لـ « لو » الشرطية هذه ، وهذه التعاريف لم تسلم
من الاعتراض عليها لما يطرأ عليها من النقص وعدم
الشمول ، وأسلمها - نوعا ما - تعريف أمام اللغة العربية
« سيبويه » حيث قال في تعريفها (هِيَ حَرْفٌ لَمَّا كَانَ
سَيَقَعُ لَوْ قَوْعٌ غَيْرُهُ) ولم يسلم تعريفه هذا لها من
اشكال أيضا كل هذا مبسوط في محله من كتب النحو
مثل « المغنى » لابن هشام وغيره وبعض النحويين
يعرفها بقوله : (هِيَ حَرْفٌ أَمْتِنَاعٌ لِأَمْتِنَاعٍ) وفساد هذا
التعريف ظاهر

ومما هو معلوم في مدلول الجملة التي دخلت عليها
« لو » الشرطية أن لو الشرطية تجعل الجملة على خلاف
ظاهرها ، فان كانت في سياق الاثبات دلت على أنها منفية
وان كانت في سياق النفي دلت على أنها مثبتة ، أى على
اثبات مدلول الجملة ، ويوضح هذا قولك لولدك - مثلا -
الذى لم ينجح في امتحانه (لَوْ أُجْتَهَدْتَ فِي قِرَاءَتِكَ
لَنَجَعْتَ فِي أَمْتِنَاعِكَ) ، فهذه الجملة كانت في سياق
الاثبات فانقبت بعمل « لو » الى النفي ، فيصير معناها
لم تنجح في امتحانك لانك لم تجتهد في قراءتك ، فانتنفى

جواب لو وهو النجاح في الامتحان لانتفاء شرطها وهو الاجتهاد في القراءة وهكذا العمل في الجملة المنفية ، فانها تفيد الاثبات كأن تقول لولدك « لَوْ لَمْ تَجْتَهِدْ فِي قِرَاءَتِكَ لَمْ تَنْجَحْ فِي أَمْتِعَانِكَ » . ومعنى هذا أنك نجحت في امتحانك لانك اجتهدت في قراءتك

ومن هذا القبيل الاثر السابق المنقول عن عمر رضي الله عنه وهو قوله (نِعَمَ الْعَبْدُ صَهِيْبٌ ، لَوْ لَمْ يَخَفِ اللّٰهُ لَمْ يُعْصِهِ) فان الجملة كانت في سياق النفي فتفيد الاثبات ، فـ « لو » في هذا الاثر لتقرير الجواب ، وبناء على قاعدة « لو » الشرطية يكون معنى الجملة ان صهيبا (خاف الله وعصاه) وهذا غير مراد للقائل فيلزم على هذه القاعدة في الاثر المذكور ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف من الله وهذا عكس المراد منه ، بل المراد لعمر أن صهيبا لا يعصى الله أبدا سواء خافه أو لم يخفه وأولى اذا خافه فهو لا يعصيه ولو لم يخفه ، والذي صيره لا يعصى ربه هو اجلاله وتعظيمه والحياء منه ، والحب له والمهابة من عظمته ، فترك صهيب معصية الله انما كان لامر خارج ، وذلك لما طبع عليه من الطاعة والحب والمهابة لجلاله والحياء منه اذا وقف بين يديه يوم القيامة للحساب ، فعدم معصيته له مغلل بأمر خارج عن الخوف وعدمه وذلك كالاجلال والتعظيم لله جل جلاله هذا ملخص عمل «لو» الشرطية ، في هذا الاثر المحفوظ .

ومثل هذا الاثر الذي قاله عمر في صهيب ، ما قاله العلماء فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حين

عرض عليه الزواج بربيبته « درة » بنت أبي سلمة
 - أخيه من الرضاع - فقد جاء في كتب الحديث ما يلي
 عرضت أم حبيبة بنت أبي سفيان - زوج النبي صلى
 الله عليه وسلم - عليه أن يتزوج أختها فقال لها :
(فَإِنَّهَا لَا تَعْلُ لِي) وهذا منه إشارة لقوله تعالى : **« وَأَنْ
 تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ »** . قالت أم حبيبة فقلت له فوالله
 لقد أخبرت أنك تخطب بنت أبي سلمة ، فقال
(بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ ؟) قالت نعم قال : **(فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ
 تَكُنْ رَيْبِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي ، إِنَّهَا لِابْنَةُ أَخِي مِنْ
 الرِّضَاعَةِ ، أَرْضَعْتَنِي وَأَبَاهَا ثُوَيْبَةَ ، فَلَا تَعْرِضُنَّ عَلَيَّ
 بَنَاتِكُنَّ وَلَا أَخَوَاتِكُنَّ)** . قال رواه الحديث متفق على
 صحته وقال العلماء ان حل بنت أبي سلمة منفي عنه
 صلى الله عليه وسلم من جهتين اثنتين ، أولا انها ربيبته
 في حجره وهذا حرام بنص الآية ، وثانيا انها ابنة أخيه
 من الرضاعة وهي عليه حرام بلفظ الحديث صراحة
 والقرآن ضمنا اذ لو كان فيها مانع واحد لكفى في
 التحريم فكيف اذا اجتمع فيها مانعان اثنان كما هنا
 مانع كونها ربيبته في حجره لقوله تعالى **« وَرَبَائِكُمْ
 اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ »** والمانع الثاني كونها ابنة أخيه من
 الرضاعة لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث
 الصحيح **(يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ)** .
 فقد أرضعت « ثويبة » مولاة أبي لهب وأمه الرسول
 صلى الله عليه وسلم مع أبي سلمة فكان أبو سلمة
 أخا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يحل للمسلم الزواج

بابنة الاخ سواء من النسب أو من الرضاع وكون أمها زوجته فهي ربيبتة تربت عنده وفي حجره والرجل اذا تزوج امرأة حرمت عليه ابنتها من غيره فهذا معنى اجتماع مانعين فيها وكما تقدم فى الاثر السابق الوارد فى صهيب فمعصية صهيب لله تعالى منتفية من جهتي الخوف والاجلال والتعظيم لله تعالى والحياء منه

وقد سقت هذا الاثر لبيان فضل هذا الصحابي الورع ، وقد كنا درسناه فى أيام الدراسة أما الآن فقد تركت الآثار والقواعد العلمية التي تفتح الفكر للنقاش والحوار لفهم اللغة العربية، كما فى ذلك رياضة للفكر وتدريب له على الكلام البليغ والفصيح لفظا حل علماء اللغة العربية لغة كلام الله وكلام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

هذا وتوفى صهيب رضى الله عنه بالمدينة سنة ثمان وثلاثين فى شوال وقيل سنة تسع وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، وقيل ابن سبعين ، ودفن بالمدينة ، وكان أصهب شديد الصهوبة تشوبها حمرة ، لذلك سمي صهيبا ، وكان ليس بالطويل ولا بالقصير وهو الى القصر أقرب كثير شعر الرأس رحمه الله ورضى عنه .

خَبَابُ بِنِ الْأَرْتِ

كان من المؤمنين الصادقين والمسلمين الصابرين على البلاء والامتحان والعذاب الذي نزل عليه من أعداء الله وخصوم الشرائع السماوية ، وأنصار الشرك بالله وعباد الاوثان فهو من المستضعفين المعذبين في الله لما خلعوا من رقابهم قيد العبودية لغير الله ، وكان من نجباء الصحابة السابقين فهو خباب بن الارت - بتشديد التاء - بن جندبة ، واختلف في نسبه ، فقيل انه تميمي وقيل هو خزاعي والذي صححه النسابون انه تميمي النسب لحقه سباء - أسر - في الجاهلية ، حيث كان العرب يسبى بعضهم بعضا فاشترته امرأة تسمى « أم أنمار » بنت سباع (الخزاعية) من خزاعة واعتقته فهو من السابقين الى الاسلام ، وروى أنه كان سادس ستة وكان قَيْنًا « حدادا » يعمل السيوف في الجاهلية ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا يحيى ، وقيل أبا محمد وكان قديم الاسلام كما مر ، وكان من المستضعفين لانه أسلم في الاوائل وهؤلاء كانوا ضعفاء ، لا قوة لهم تحميهم وتقف أمام جبروت مشركي قريش ، فلا غرابة اذا أصابه ما أصاب اخوانه، السابقين

الى اعتناق عقيدة التوحيد وثبذ عقيدة الشرك بالله والابتعاد عن أعمال المشركين عباد الاحجار والاوثنان فهو اذن من المستضعفين الذين استضعفهم كفار قريش فألحقوا بهم العذاب الشديد وكانوا يطاردونهم من مكان لآخر ، وكان المسلمون يختفون عن أنظارهم حتى لا يصيبهم منهم ما يكرهون الى أن اشتد ساعد المسلمين باسلام عمر بن الخطاب وحمزة ابن عبد المطلب وغيرهم فعندها رجحت كفة ميزان الاسلام وصار المسلمون يفعلون شعائر دينهم جهارا نهارا وأمام الملأ من مشركى قريش وقد عذب خباب العذاب الشديد من أجل عقيدته الاسلامية - عقيدة التوحيد - فصبر على ما أصابه فى سبيل دينه

وكان خباب بن الارت تميميا بالنسب كما كان خزاعيا بالولاء لام أنمار بنت سباع الخزاعية كما سبق قد وقع عليه سبى - أسر - فاشترته وأعتقته، فولأؤه لها

وذكر أن عمر بن الخطاب - سأله عما لقى فى ذات الله من العذاب ، فكشف له عن ظهره ليرى بعينه أثر العذاب والاحراق بالنار فلما رأى عمر ذلك قال ما رأيت كاليوم !!! فقال خباب يا أمير المؤمنين لقد أوقدوا لى نارا فما أطفأها الا شحمى

وكان خباب بن الارت يتردد على بيت سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل زوج فاطمة بنت الخطاب - أخت

عمر - وكانت فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد
ابن زيد قد أسلما وآمنا بالله ربا واحدا لا شريك له
فى ألوهيته وبمحمد رسول من الله وصدقا بكل
ما جاء به من عند الله

فلما سمع عمر باسلام أخته فاطمة وايمانها بمحمد
وبما جاء به من عند الله كما آمن وأسلم خباب
ابن الارت وأنه يتردد عليهما فى منزلهما ليقرئهما
القرآن هاله ما سمع وبينما عمر يتجول فى سكك
مكة يتتبع أخبار الدعوة الاسلامية أين بلغت ويبحث
عن مدى انتشارها فى الاوساط القرشية كما يتتبع
أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة
والرسالة اذ فاجاه الخبر باسلام أخته فاطمة وزوجها
حيث التقى فى الطريق بنعيم بن عبد الله النخعي
- رجل من قوم عمر بنى عدى - وكان هو الآخر قد
أسلم وأخفى اسلامه فرقا وخوفا من عمر وكان عمر
- حين لقيه نعيم بن عبد الله - متوشحا سيفه يريد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه
قد ذكروا له باسلامهم واتباعهم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كما ذكروا له بأنهم مجتمعون فى دار عند
الصفاء - هى دار الارقم - وكانت دار الارقم فى ذلك
الوقت مركزا لنشر الدعوة الاسلامية وتعليم المؤمنين
فروض عقيدتهم ومبادئ الاسلام وكان القوم
المجتمعون فيها قريبا من أربعين ، ما بين رجال ونساء ،
وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الدار

« عمه حمزة » ، وأبو بكر الصديق ، وعلى بن أبي طالب ،
وغيرهم من عصابة الايمان فخرج عمر يبحث عنهم
ليفتك بهم حسبما خولته له نفس الجاهل المشرك دفاعا
عن أوثانه الحجرية وقد جعل الله لكل شيء سببا
فكان خروجه هذا آخر العهد بوثنيته بل بالاوثنان
كلها فلما رآه نعيم بن عبد الله قال له أين تريد
يا عمر ؟ أجابه عمر بقوله أريد محمدا هذا الصابىء
- الكافر - الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب
دينها ، وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد
غرتك نفسك يا عمر أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم
أمرهم ؟ فقال له عمر وأى أهل بيتى تريد ؟ قال
ختنك - صهرك - وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو
ابن نفيل ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد - والله -
أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما

لنتصور وقع هذا الخبر على نفس عمر فى هذه
اللحظة بالخصوص وهى لحظة دقيقة وحرجة عليه
للفاية ، وما هو موقفه من نفسه التى أخذت فى الغليان
مثلما تغلى المرجل أو القدر الكبيرة فبينما كان يبحث
فى سكك مكة وطرقها عن آمنوا وأسلموا واتبعوا
دين الله ورسوله اذا به يفاجأ بنبا أظلم عنه شمس
النهار وجعله فى حيرة من أمره لهذا الخبر ، الطارىء
عليه ، اذا ما كان يتوقعه ، فذهب مسرعا ، وترك ما خرج
من أجله - عامدا بيت أخته فاطمة بنت الخطاب وزوجها
سعيد بن زيد ، تاركا البحث عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم وصحبه الكرام، فأتى منزلهما، وكان عندهما
- في ذلك الوقت - الصحابي الجليل «خباب بن الارت»
ومعه صحيفة مكتوب فيها شيء من القرآن، من سورة
« طه » يقرئها إياها، فلما اقترب من البيت الذي فيه
أخته وزوجها وخباب سمع صوت قراءة خباب عليهما
القرآن ففرع باب الدار ودخل فأسرع خباب إلى
الاختفاء منه ووقع ما وقع من عمر لأخته وزوجها،
حين قامت لتكفه عن زوجها وصهره وكان قد سمع
شيئا من القرآن عند ما قرب من الدار

ان شجاعة فاطمة بنت الخطاب أخت عمر دلت على
تمكن الايمان من قلبها فانها عند ما قامت إلى أخيها
لتعجزه وتكفه عن زوجها دفعا بقوة الجاهل حتى سقطت
على الارض وضربها فشح وجهها وأسأل دمها، فصاحت
في وجهه قائلة لقد أسلمنا وآمنا بالله وبرسوله فاصنع
ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على
ما صنع بها، وارعوى عن غيبه وجهه، فسلك سبيل
الحق

وفي هذه اللحظة بلغت رحمة الله إلى قلب عمر
وأدركته السكينة التي تنزل على المسلم، فاطمان قلبه
عند ما سمع كلام الحق جل جلاله وذهب عنه ما كان
يجده من بغضه للإسلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لسكنت نفسه الثائرة وهدأت تلك الفورة الغضبية
عنه فهش قلبه للإيمان بالحق والدخول في دين
الله، وخلع عبادة الاوثان والآلهة الباطلة، وكأنه قال

لنفسه الغاضبة عن الحق كفاك أيتها النفس الامارة
بالسوء التواقة الى الباطل تسعين اليه سميا حثيثا لكي
ترضيه ويرضى عنك دعى المكابرة فى الحق وعودى
الى الصواب والواجب فالرجوع الى الحق من الفضائل
النفسية فرق قلبه الجافى جفاء الجاهليين الى الايمان
بالله وبرسوله وبدينه ولما هدأت نفسه الغاضبة
وثاب اليه رشده ووعيه الذى كان فقدته من سيطرة
الباطل الجاهلى عليه سأل عن مكان وجود الرسول
صلى الله عليه وسلم ليذهب اليه ويعلم عنده ايمانه
واسلامه

ولما سمع خباب - المختفى من عمر - قول عمر هذا
خرج من مخبئه بعد أن علم أن عمر هو الآن سائر فى
طريق الايمان والهداية الاسلامية ، فخرج وقال لعمر
أبشر يا عمر فلعل الله قد استجاب دعوة رسوله
فيك فانى سمعته أمس يدعو ويقول (**اللَّهُمَّ أَيَّدِ
الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ،
قَالَ اللَّهُ اللَّهُ يَا عُمَرُ**) وفى رواية أخرى أوردها الامام
أحمد فى مسنده ، والترمذى فى سننه وغيرهما أنه
قال (**اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِأَخْبِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ :
بِأَبِي جَهْلٍ ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**) .

وحين دلوا عمر على مكان وجود الرسول صلى الله
عليه وسلم وأخبروه بأنه فى دار « الأرقم » عند
الصفاء مع نفر من أصحابه ، أخذ عمر سيفه فتوشحه ثم
ذهب اليه ليظهر اسلامه ، وليظهر قلبه من رجس الشرك

والوثنية وينطق بكلمة الشهادة أمامه فسار اليه ودخل على الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن دق الباب وعلم من كان فى الدار أن الطارق للباب هو عمر ابن الخطاب ، فذعروا وخافوا من شدته أن يصيبهم منها أذى أو مكروه وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم عمه حمزة فذهب اليه الرسول وتلقاه بالباب ، وأخذ بتلابيبه وزجره عن تماديه فى الغواية والضلال ، ولكنه طمأنه بأنه ما جاء اليه الا ليعلن اسلامه وينطق بكلمة الشهادة كلمة الحق والصدق الواجبة على كل انسان عرف الحقيقة وواقعه وهداه الله وعرف أنه ما هو الا مخلوق ضعيف لخالق قوى قادر على كل شىء يجب على هذا المخلوق أن يقر له بالالوهية والربوبية ، وعليه أن ينزع الى الحق ويكف عن الباطل ويقطع عن الضلال والسفه والغواية والطيش ان كان يحب لنفسه الخير والسعادة السرمدية

وعند ما دخل عمر على الرسول صلى الله عليه وسلم الدار التى كان فيها ودار بينه وبين الرسول ما دار من الكلام أعلن عمر اسلامه أمامه وبين يديه بكلمة جهورية مدوية فكبر لها الرسول صلى الله عليه وسلم تكبيرة سمعها من فى الدار ، وعلموا أن عمر قد أسلم وفرحوا باسلامه فرحا لا نظير له لان اسلام عمر نصر كبير له على نفسه كما هو نصر مبين للاسلام أرادته الله له وتأييد للدعوة الاسلامية فى وقت احتاجت فيه الى قوة تساندها وتدفعها الى الامام لتنتشر فى الآفاق

ولثقتُ العديد من الملايين من أبناء الانسانية الضالين عن سبيل الله سبيل الحق والخير فجعل الله من اسلام عمر بن الخطاب ، وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما نصرا عظيما وقوة كبيرة للدعوة الاسلامية كما جاء في صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال (مَا زِلْنَا اَعِزَّةً مُنْذُ اسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ).

وقفه استعراض وتقييم :

وهنا نقف وقفه استعراض وتقييم نستعرض فيها مراحل الدعوة الاسلامية فى نشأتها الاولى وفى بدايتها التى أصابها فيها ما يصيب - عادة - جميع الدعوات فى نشأتها ، وقفه نطق لا وقفه صمت للترحم على ارواح شهداء الدعوة الاسلامية تلك الدعوة التى شقت طريقها وسط مجتمع جاهلى ألف التمسك بتراث الآباء والاجداد ولو كانوا على ضلال مبين

فى زماننا هذا ظهرت فى مجتمعنا وقفه خشوع مفتعل وتقليد كافر بالدين والقيم الروحية اذ هى ليست منا ولا يعرفها مجتمعنا المسلم الطاهر فلكل زائر من المسلمين للمقابر أن يدعو الله لساكنيها بالرحمة والمغفرة لهم والعتو عنهم تلك الوقفة التقليدية التى أخذناها عن الكفرة بالله ولم يكن لها نصيب فى شرعنا الطاهر الحنيف ، فهى مبتدعة وبعيدة عنا فنحن المسلمين نترحم على موتانا فى كل وقت

و حين ، و اثر صلواتنا و فيها ، و فى غير هذين الوقتين ،
و من غير المعروف - شرعا - ان ذلك لا يتم الا اذا كان
أمام هيكل الميت قلنا انها وقفة تقليدية ، و خاصة
اذا كانت مصحوبة باكليل من النوار و الازهار المتنوعة
الاشكال و الانواع و الالوان و هنا نتذكر المثل الشائع
بيننا القائل (كَمْ مِنْ قَبْرِ يُزَارُ وَصَاحِبُهُ فِي النَّارِ) .
قلت انها وقفة تقليدية لمن لا يؤمن بالله راحم عباده
المؤمنين اذ هو الرحمن الرحيم العفو الغفور و هل
اولئك الذين يتعبون انفسهم برفع اكفهم بالدعاء لطلب
المغفرة و الرحمة للشهداء هل هم اهل لان يستجيب الله
دعائهم؟؟ فيغفر لميتهم؟ و لو تصدقوا بقيمة ذلك الاكليل
من الورود - و ثمنه مرتفع جدا - لكان اجدى و اُنفع
للميت ، فليراجع كل منهم موقفه من ربه ، الذى يطلبون
منه الرحمة للميت

فان كان تقديم الاكليل لله فان الله منزّه
عن شم الرياحين و ان كان للميت فالميت قد
فقد حاسة الشم بموته فلن اذن تقدم تلك الازهار؟
ان الشهيد الذى قتل مجاهدا فى سبيل الله
قد غفر الله له كل خطاياهُ فهو لا يحتاج الى غيره بل
غيره يحتاج اليه كالشفاعة مثلا و هذا هو السهو
و الغفلة عن الاعمال ، و ينظر الى ذلك شرعا بأنه اسراف
و تضييع لمال المسلمين - و هذا حرام شرعا - كيف و القوم
قد تعودوا على الاسراف و فعل الحرام و تضييع المال فيما
لا فائدة فيه؟ فمن علم من نفسه أنه اهل للدعاء أقله

له وطهره من ذنوبه طاعته للرحمن الرحيم ، فهو اذا دعاه رجا منه المغفرة للميت وقبول دعائه ، اما اذا كان عاصيا لربه بترك الفروض التي هو مكلف بها أو هو فاعل لما هو منهي عنه أو كان غير مقرر له بالالوهية ولا هو مسترف له بالربوبية بأنه الخالق لكل موجود والذى هو واحد فى ائوهيته فهذا عليه ان لا يتعب نفسه برفع يديه الى السماء - فللشرع موازينه - وليرسلهما فى أمور أخرى هو أعلم بها وذلك أجدى له وأنفع والنبي (ص) قال ما قال فى حق الذى يدعو ربه ولم يكن مستقيما على سبيل الشرع العزيز بأن كانت معيشته من أكل وشرب ولباس وتغذية فى صفره ، وطول حياته مكتسية مما حرم الله ذلك ما جاء فى حديث ابي هريرة عند مسلم ، وهو قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ... ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ الشَّفَرَ أَشْعَثُ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ : يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغَدِيٌّ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟**) فقد سأل رسول الله سؤال تعجيب حيث قال (**فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟**) فكانه قال تعجبوا ممن هذا حاله ووصفه كيف يدعو الله ويرجوه ليجيب دعاءه ؟ والدعاء لا يكون له عند الله قيمة واعتبار الا اذا توفرت فيه شروطه وهذا الداعى لم تتوفر فى دعائه شروط الدعاء ، وكذلك لا يكون من الذين قال الله فيهم « **يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنْ**

اللَّهُ وَهُوَ مَعَهُمْ ، إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ، وَكَانَ
اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا « سورة النساء الآية 108

اننا نستعرض في هذه الوقفة القصيرة حالة المسلمين في بداية ظهور الاسلام فالمسلمون الاولون - وهم المستضعفون - كانوا قبل اسلام عمر قلة ومع هذه القلة الضعيفة فقد ثبتوا على ما هداهم الله اليه من خلع عبادة الاوثان ، والاقبال على عبادة الرحمان الواحد الديان بالرغم مما أصابهم من ألوان التعذيب والاضطهاد ، وقد تجاوز مشركو قريش كل ما عرف في الماضي من أنواع التعذيب والاضطهاد لمن خالفهم في العقيدة وكل هذه الانواع مدونة ومسجلة في كتب التاريخ والسير وقد أراد الله لهذا الدين نصرا وعزا يدومان له الى الابد فبدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم ربه بأن ينصر الاسلام بأحد الرجلين اللذين كانت لهما العزة والمنعة ، وهما عمر بن الخطاب ، أو عمرو ابن هشام - أبو جهل - فان من كان في جوار أحدهما عَزَّ وَبَزَّ وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه في اسلام عمر بن الخطاب (**إِنَّ إِسْلَامَ عُمَرَ كَانَ فَتْحًا وَإِنَّ هِجْرَتَهُ كَانَتْ نَصْرًا ، وَإِنَّ إِمَارَتَهُ كَانَتْ رَحْمَةً ، وَكَقَدْ كُنَّا وَمَا نَصَلِّيْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ ، فَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَاتَلَ قُرَيْشًا حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَصَلَيْنَا مَعَهُ**) .

فبهذه الوقفة - القصيرة - التي استعرضنا فيها لمحة من حال المسلمين قبل اسلام عمر بن الخطاب كانت

معرفتها والاحاطة بها ضرورية لنا فقد رأينا كيف
تمثل فيها العدوان والظلم والقهر والباطل بأبشع صوره
من مشركى قريش على المستضعفين من المسلمين دفاعا
عن أحجارهم وأوثانهم المعبودة من دون الله أما حالهم
بعد اسلامه فانهم نالوا به عزا ومنعة وقوة منحتهم
الحرية فى عبادتهم لربهم واظهار شعائر دينهم
كالصلاة فى أى مكان أرادوه وهل هناك مكان تقام
فيه الصلاة أفضل من حرم الله وأمام بيت الله وقبلة
المسلمين فيما بعد فقد تبدل الحال وصار المسلمون
يصلون لربهم ومشركو قريش ينظرون اليهم ولا
يتكلمون كل هذا بفضل الايمان بالله والصبر على
ما أصاب المسلمين فى سبيل الله ان العاقبة لاهل
الايمان والعقيدة الصحيحة

هذا وغيره ناله المسلمون من اسلام عمر بن الخطاب،
فهذا - لعمرى - هو النصر المؤزر من الله جاء من
اسلام عمر

ان الباطل لا يلجمه الا لجام القوة وفى المثل
المعروف (لَا يَفْلُجُ الْحَدِيدَ إِلَّا الْحَدِيدُ) .

فقد مرت على المسلمين فى اعتناقهم للاسلام
والتحاقهم بركب الموحدين لربهم بعد أن كانوا تائهين
فى ضلال الشرك والوثنية مع الاحجار صباحا ومساء
- قلت مرت على أوائل المسلمين سنوات شداد عليهم
من جراء قساوة قلوب مشركى قريش عليهم ومعاملاتهم

لهم فالمسلمون يتنقل بهم الزمان ويتطور من سنة
لاخرى فيزيد عددهم ويزيد معه البلاء والمحن
والعذاب من لون الى لون فكل واحد من المشركين
ينتقم لآلهته الحجرية بحسب ما يراه يرضيها عنه كما
هو الحال فى آلهة زماننا هذا من حكام المسلمين أينما
كانوا فاذا ما تكلم أى انسان فى سلوك واحد منهم
المنحرف عن الصراط المستقيم وأظهر ما فى هذا السلوك
من العيوب والاطوار التى ستلحق الامة المحمدية نتيجة
لذلك الانحراف أو كشف النقاب عن مخازيه وعبثه
وتفريطه فيما هو واجب عليه أو تبذيره لأموال خزينة
الدولة التى هى فى الحقيقة خزينة شعبه وأمتة، أو اهماله
لشؤون وظيفته ومصالح الشعب الذى هو مسؤول عنها
وعنه ، أو خاف من غضب شعبه عليه وانتقامه منه أو
محاسبتة - فى يوم من الايام - على أعماله وتصرفاته
اذا وقع شىء من هذا ارتفعت الاصوات ونودى ان
« المكاسب فى خطر !

ما بمثل هذا النوع تخدم الاوطان وتجلب لها
الرفاهية والسعادة !

ان الحكام المنصفين النزهاء - أمثال عمر الفاروق -
يسمعون كلام خصومهم قبل كلام أعوانهم
وأنصارهم وأوليائهم كى يصلحوا خللهم ويقوموا
اعوجاجهم ليبقوا صالحين فى أماكنهم اذا كانوا
صالحين للبقاء فيها ، وكان عمر يقول (رَحِمَ اللَّهُ

عَبْدًا أَهْدَىٰ إِلَيَّ عِيُوبِي) فقد ذلك منه هدية له ، وعن
سفيان بن عيينة قال قال عمر بن الخطاب (أَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ رَفَعَ إِلَيَّ عِيُوبِي) .

اننا فقدنا النصيحة وفقدنا تأثيرها فينا وأحللنا
مكانها الغش والخديعة والتزوير والبهتان والتملق
وما الى ذلك ورسولنا عليه الصلاة والسلام قال
(مَنْ عَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) . فقد فقدنا بالنصيحة حرية الرأى
وحرية القول الذى يترجم عن ذلك الرأى وهذا من
أمارات الخسران وبذلك كثرت شهادة الزور التى هى
من كبائر الذنوب ، وانتشرت حتى من بعض من ينتسبون
للعلم والجهاد فياويل هؤلاء يوم يقفون بين يدي الله
للهساب على ما صدر من العباد من العقاب الشديد
لشاهد الزور

الاسلام يأمر المسلمين بأن ينصر بعضهم بعضا، كما ثبت
هذا بصريح الحديث الصحيح فالمفروض على المسلم
أن ينصر أخاه المسلم اذا كان مظلوما فيرد عنه ظلم
الظالم له ، اما اذا كان هذا الاخ ظلما فيكون عليه نصره
أيضا بنهيه عن الظلم منه وارجاعه الى سبيل الحق
والصواب ، وهذا نصر له وهو ما ورد عن النبى صلى
الله عليه وسلم من أجل تربية المسلمين على قولة الحق
والانصاف والعدل ، فقد قال عليه الصلاة والسلام فى
الحديث الذى أخرجه الائمة مثل البخارى وغيره عن
أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم (أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا ، قِيلَ كَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ تَعِزُّهُ عَنِ الظُّلْمِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ) .

وأكثر ما يتعجب منه العقلاء والنزهاء في هذا الزمان ادعاء طائفة من الناس أنهم من أهل العلم وخاصة علم الدين والواقع الملموس أنهم من أبعد خلق الله عليه لهذا انكشف أمرهم بل هم الذين كشفوا أنفسهم بأنفسهم وهذه عاقبة الطائشين والذي لم يدرس شيئاً في حياته كيف يسيغ لنفسه التكلم فيه اللهم الا اذا كان ذلك لغرض شخصي ونفس دنيئة ألفت الصيد في الماء العكر أو دفعوا اليه دفعا من غيرهم وهذا أتعس شيء في حياة الانسان، حيث يظهر أن ما قاله ليس منه بل أملى عليه املاء وعند الله يجتمع الخصوم

وقفه قصيرة وقفناها على حال المسلمين قبل اسلام عمر بن الخطاب وبعد اسلامه ، وذكرنا شيئاً عن ضعف الايمان والعقيدة في الدين وقد بان لنا من خلال ذلك صفات الرجال العظماء أصحاب المبادئ العالية والثابتة التي كانت للحق لا للخلق نرجو أن نحذو حذوها فنستفيد منها فلا صلاح للنفوس والمجتمعات في غير الحق والانصاف ، كما رأينا بعض صفات وخصال ذوى النفوس المهينة الحقيرة التي باعت ضمائرهم لغيرها.

تعذيب المشركين لحباب

كان مشركو قريش يتفنون في تعذيب المؤمنين بالله وحده كل حسب رأيه وهواه فتعذيبهم وعذابهم لهم لا يختلف كثيرا في مقاديره ، وانما يختلف في أنواعه ، فقد كان البعض منهم يلبس من كلف بتعذيبه درع أو أدرع الحديد ثم يصهرونهم في حر الشمس - يحمونهم بها - فيبلغ منهم الجهد والعذاب ما شاء الله أن يبلغ من حر الشمس وحر الحديد المحمي فيها معا قال الشعبي وغيره ان خبابا صبر على ذلك العذاب ولم يعط الكفار ما سألوه فجعلوا يلصقون ظهره بالرّضف - الحجارة المحماة بالنار أو بالشمس - حتى ذهب متنه

وروى عن عروة بن الزبير قال كان خباب من المستضعفين الذين يعذبون في مكة ليرجع عن دينه

وروى عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برودة له في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا؟ - أي تدعو الله تعالى لينصرنا على المشركين - ألا تدعو لنا؟ فجلس - محمرا - وجهه وقال (لَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُعْذِرُ لَهُ حُفْرَةٌ ، وَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ ، مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عَظْمٍ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ دِينِهِ ، وَلَيَتِمَّنَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هَذَا الْأَمْرُ

حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخْشَى
إِلَّا اللَّهَ تَعَالَى وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ (1).

فهذا امتحان لأهل الإيمان هل يصبرون على ما
يصيبهم فيفوزوا بالحياة الهنية السعيدة والأمنة أو
يجزعون فيخسروا ذلك ؟ وقد انتدبهم الله الى حمل
شريعته وتبليغها الى عباده المهيين لحملها وتحملها
وتحمل كل أذى يصيبهم فى سبيل ذلك

وهذا ما أراد الله ورسوله للمؤمنين كي يصبروا
ويوطنوا أنفسهم على تحمل الاتعاب والمشاق فى سبيل
العقيدة الاسلامية عقيدة الحق والتوحيد ولا
يستعجلوا فمن أراد الشهد أصابه لسع ابر النحل

كان خباب فى جاهليته قينا - حدادا - يصنع
السيوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يألفه
ويأتيه فأخبرت مولاته - سيدته - بذلك فكانت تأخذ
الحديدة المَحْمَاة فتضعها على رأسه - عقابا له - فشكا
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له وقال
(اللَّهُمَّ أَنْصُرْ خَبَابًا) فأجاب الله دعاء رسوله فى هذه
المرأة سيئة الخُلُقِ والمعاشرة للمملوك الذى جعله الله
تحت يدها فعاشرته معاشرة سيئة اذ عاقبته بالنار
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتردد عليه
ويجلس معه فاشتكت - مرضت هى الاخرى - سيدته

(1) مسند الامام أحمد ج 5 ص 109 والجزء 6 ص 395 بالفاظ
متقاربة ، وأسد الغابة لابن الاثير ج 2 ص 98 .

أم أنما - من مرض أصاب رأسها فكانت تعوى مثل الكلب - من عقاب الله لها - فقيل لها أكتوي فكانت تأمر عبدها خبابا بأخذ الحديد المحمّاة فيكوى بها رأسها.

ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة الا بالله فكان الجزاء الالهي السريع من جنس العمل وكان سريعا لكن مع وجود الفارق كانت سيدهته تعذبه بالنار ولا يستطيع أن يمتنع منها لانها مالكته وسيدهته فبدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم نزل عليها قضاء من لا يخفى عليه شيء سبحانك ما أعديك يا رب العالمين هذه هي محكمة العدل الالهي لا يفر منها ظالم مهما كان فأصابها وجع برأسها فاضطرت الى أن تطلب من عبدها خباب أن يكويها بالنار اذ لعلها تجد في الكي راحة فيكف عنها وجعها كما كانت هي تكويه بالنار عقابا له على ايمانه واتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتبارك الله أعدل الحاكمين وناصر المظلومين

قال الشعبي سأل عمر بن الخطاب خبابا رضى الله عنهما عما نقي من المشركين؟ فقال يا أمير المؤمنين انظر الى ظهري فكشف له عن ظهره فلما رآه عمر قال ما رأيت كاليوم ظهر رجل وذلك لما رأى فيه من آثار الاحراق بالنار من أجل عقيدته وتصديقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانه به واتباعه لشرع الله وتركه لعبادة الاوثان فقال خباب لما دهش عمر من أثر الحريق لقد أوقدت لي نار وسحبت عليها فما أطفأها الا ودك ظهري .

ومما أصابه من المشركين ما قصه هو بنفسه قال كنت رجلاً قيناً - حدادا - وكان لي على العاص بن وائل - أحد طغاة المشركين - دين فأتيته أتقاضاه - أطلب ديني منه - فقال لي لن أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت له لن أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث، فقال واني لمبعوث من بعد الموت ؟ فسوف أقضيك اذا رجعت الى مال وولد - قالها استهزاء - قال فأنزل الله فيه « **أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ : لَأُوتِينَ مَالًا وَوَلَدًا** » الآيات 77 - 78 - 79 من سورة مريم

رواة الحديث عنه

وممن روى الحديث عن خباب الامام الشعبي ولهذا يذكر الكثير من أخباره كما روى عنه غيره من رواة الحديث وممن روى عنه ابنه عبد الله بن خباب ابن الارت فقد روى عن أبيه خباب قال صلى رسول صلاة فأطالها فقلنا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليتها قال (**أَجَلٌ إِنَّهَا صَلَاةٌ رَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ ، إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثًا ، فَأَعْطَانِي أُثْنَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً ، سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةِ عَامَّةٍ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بِأَسِّ بَعْضٍ فَمَنْعَنِيهَا**) وقد اخرج حديث خباب هذا الامام أحمد في مسنده وغيره من رواة الحديث كما جاء بعضه في حديث ثوبان - مولى رسول الله (ص) - عند الائمة : مسلم والترمذي وأبي

داود وهو قوله (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ ، الخ) بقليل
من اختلاف الالفاظ

وكان خباب رضى الله عنه لا يأمن على نفسه من
التقصير فى العمل بما يرضى الله عز وجل فكان
يحذر شديد الحذر من أن يخالف فعله قوله فقد ذكر
ابن الاثير فى كتابه أسد الغابة « بسنده الى مالك
ابن الحارث عن أبى خالد شيخ من أصحاب عبد الله
قال بينما نحن فى المسجد اذ جاء خباب بن الارت
فجلس وسكت فقال له القوم ان أصحابك قد
اجتمعوا لتحديثهم أو لتأمرهم قال بم أمرهم ؟ ولعل
أمرهم بما لست فاعلا

وروى قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال عاد
خبابا نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا له أبشر يا أبا عبد الله اخوانك تقدم عليهم
غدا فبكى وقال أما انه ليس بى جزع من الموت ولكن
ذكرتمونى أقواما وسميتموهم اخوانا وان أولئك قد
مضوا بأجورهم كما هى وانى أخاف أن يكون ثواب
ما تذكرون من تلك الاعمال ما أوتينا من بعدهم
وأوتى بكفنه قباطى - نوع من الثياب الكتانية منسوبة
الى القبط - فبكى ثم قال لكن حمزة عم النبى صلى
الله عليه وسلم كُفِّنَ فى بردة فاذا مُدَّتْ على قدميه
قلصت عن رأسه ، واذا مدت على رأسه قُلِصَّتْ على قدميه ،
حتى جُعِلَ عليه إِذْخِرٌ ، ولقد رأيتنى مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما أملك ديناراً ولا درهماً وان في ناحية بيتي في تابوتي لاربعين ألف وافر ، ولقد خشيت أن تكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا

فكلمة « خباب » هذه تشبه كلمة « عمر بن الخطاب » رضى الله عنهما تلك الكلمة الوعظية التي قالها حين بسطت الدنيا أجنحتها على المسلمين فكثرت عليهم المال حتى فاض ، بعد أن كانوا فقراء لا يجدون قوتا ولا كساء ولا مسكناً في أيامهم الخالية قبل الإسلام وقبل كثرة الفتوحات ولا عجب في خوفهما هذا فكلاهما شرب من معين النبوة الصافية من الأكدار وارتوى من نبع القرآن العذب المروي لا يحتاج الشارب منه الى سواه

وكلاهما يشير الى آية سورة الاحقاف وهي قوله تعالى « **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ ، أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ** » الآية 20 من سورة الاحقاف هكذا

فهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم التلذذ بمتاع الحياة الدنيا فهم يخشون شديد الخشية أن تكون هذه الملذات التي أصابوها في حياتهم الدنيا بعد الفقر والفاقة ، من أطعمة وألبسة ومساكن وقصور أن تكون هي حظهم من النعيم قدم لهم واستوفوه في حياتهم الدنيا إذ قد أطلقوا لانفسهم وشهواتهم العنان في التمتع بها وبجميع أصنافها وأنواعها بلا حدود يقفون عندها ، لذا فهم يخشون أن لا يكون لهم نصيب في متاع

الحياة الآخرة ، فيقول لهم ربهم ما يقوله للكافرين الذين
 قضوا كل حياتهم الدنيا في الملاذ والشهوات فاذا
 جاؤوا يوم القيام للحياة التي وعدوا بها وهى الحياة
 الدائمة جاؤوا اليها بلا زاد لحياتهم هذه اذ لم
 تتركهم شهواتهم يقدمون اليها شيئاً من الطاعات لربهم
 يجدون ثوابه ينظرهم لتلك الحياة الطويلة والتي
 لا نهاية لها فيقول لهم ربهم لا حظ لكم هنا ولا نصيب
 من التمتع فى هذه الحياة فقد اذهبتم طيبات حياتكم
 هذه فى حياتكم الاولى واستمتعتم بها هناك اذ غلبتكم
 شهوات نفوسكم ، فلم تدخروا من الاعمال الصالحة لهذه
 الحياة ما يسعدكم فيها وينجيكم من عذاب الله اذ اتباع
 الشهوات يقود صاحبه الى النار كما أن فعل ما تكرهه
 النفوس - ترضية لله - يقود صاحبه الى الجنة دار
 الراحة والكرامة والتكريم وقد حذرنا الرسول صلى
 الله عليه وسلم بما لا مزيد عليه لمن هداه الله ووفقه
 لما يرضى عنه ربه مثل حديث البخارى عن أبى هريرة
 أن النبى صلى الله عليه وسلم قال (**حُجِبَتِ النَّارُ
 بِالشَّهَوَاتِ ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**) ومثل حديث
 الائمة أحمد ومسلم والترمذى عن أنس رضى الله عنه
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال - عن الله -
 « **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** » .
 فالجنة محجوبة عن الانظار بفعل ما هو ثقيل على النفس
 فتكرهه ، فمن ألزم نفسه بما تكرهه كأن يقوم بالفرائض
 التى أوجبها الله عليه كالصيام والصلاة والزكاة الخ

وألزم نفسه - وهي كارهة لها - بأدائها دخل الجنة
ومن غلبته شهوات نفسه - وذلك ما تحبه النفس الامارة
بالسوء - وأطاعها وعصى ربه قادته طاعته لنفسه
باتباع شهواتها الى جهنم فالسور الذى أحيطت به
الجنة هو ما تكرهه النفوس وما هو ثقيل عليها ، والسور
الذى أحيطت به النار هو اتباع شهوات النفس وهو
خفيف عليها فَتَخَطَّى سور الجنة للدخول اليها لا يكون
الا بما تكرهه النفس كما أن فعل كل ما تشتهي
النفس وما هو خفيف عليها يُدْخِلُ الى النار هذا معنى
الحديثين الشريفين والتوفيق من الله تعالى

فكلا الصعابين رضى الله عنهما نظر الى ما ناله
المسلمون من متاع الدنيا بعد أن كانوا محرومين منه ،
فخافا أن يكون هذا تعجيلا من الله لهم ثوابهم الذى
أعطاهم لهم جزاء أعمالهم التى قدموها فى الحياة
الدنيا ليجدوا ثوابها فى الآخرة فان كل واحد منهما
خاف أن يكون قد تعجل فى الدنيا - أجر طاعته لله
- كالجهاد فى سبيل الله - مثلا - ولا يكون له نصيب
منه فى الآخرة فكان عمر يقول أخشى أن يقول الله
لنا كما يقول للكافرين « **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ
الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا ، فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا
كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ
تَفْسُقُونَ** » سورة الاحقاف الآية 20

وعندما مرض خباب مرضه الشديد وطال به واكتوى
سبع كيات ، وعاده بعض اخوانه قال لهم لولا أنى

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَمَنَّى الْمَوْتَ لِأَلْفَانِي قَدْ تَمَنَيْتُهُ) .

ونزل خباب الكوفة ومات بها وجاء أنه أول من دفن بظهر الكوفة من الصحابة، وكان موته سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ولم يشهد « صفين » مع علي قال زيد بن وهب سرنا مع علي حين رجع من صفين حتى إذا كان عند باب الكوفة إذا نحن بقبور سبعة عن أيماننا فقال علي ما هذه القبور ؟ ، فقالوا يا أمير المؤمنين ان خباب بن الارت توفي بعد مخرجك الى صفين فأوصى أن يدفن في ظاهر الكوفة ، وكان الناس انما يدفنون موتاهم في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم فلما رأوا خبابا أوصى أن يدفن بالظهر دفن الناس ، ثم دنا من قبورهم فقال (أَسْلَامٌ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، أَنْتُمْ لَنَا سَلْفٌ فَارِطٌ ، وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ ، عَمَّا قَلِيلٍ لَأِجِقُّ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلَهُمْ ، وَتَجَاوَزْ بِعَفْوِكَ عَنَّا وَعَنْهُمْ ، طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ وَقِنِعَ بِالْكَفَافِ ، وَأَرْضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) .

وأخرج الطبراني من طريق زيد بن وهب قال لما رجع علي من « صفين » مر بقبر خباب فقال (رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا ، أَسْلَمَ رَاغِبًا ، وَهَاجَرَ طَائِعًا ، وَعَاشَ مُجَاهِدًا ، وَابْتُلِيَ فِي جِسْمِهِ أَحْوَالًا ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَهُ)

هذه شهادة تزكية واعتراف من أمير المؤمنين « علي » كرم الله وجهه لهذا البطل العظيم من أبطال الاسلام

وعقيدة التوحيد فهو لها أهل وبها أحق وأجدر ،
رحمه الله ورضى عنه وجعل في المسلمين المعاصرين
من يسلك سبيله ويقتفى أثره آمين

وذكر ابن سعد في طبقاته الكبرى قال دخل
خياب بن الارت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئه
وقال ما على الارض أحد أحق بهذا المجلس من هذا
الارجل واحد فقال له خياب من هو يا أمير المؤمنين ؟
قال بلال - وفي رواية عمار بن ياسر - قال فقال له
خياب يا أمير المؤمنين ما هو بأحق به مني ان بلالا
كان في المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لي أحد
يمنعني فلقد رأيتني أخذوني وأوقدوا لي نارا ثم
سلقوني - أحرقوني - فيها ثم وضع رجل رجله على
صدرى فما اتقيت الارض أو قال ببرد الارض
الا بظهرى قال (**ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ
بَرِصَ**) أى أصابه البرص من العذاب بالنار

وشهد خياب بدرا وأحدا والخندق والمشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله
ورضى عنه ورزقنا القدوة الحسنة لابطال الاسلام ذوى
العقيدة الراسخة والايمان القوى المتين الذى لا تزعه
صروف الايام ، ولا تقلبات الزمان والاحوال آمين

سلمان الفارسي وابتداؤه رحلة الايمان

هو أبو عبد الله سلمان الفارسي ويعرف - بعد
اسلامه - بسلمان الخير وهو أحد المؤمنین المستضعفين،
الذين عذبهم كفار قريش المشركون لعقيدتهم التي
آمنوا بها - عقيدة التوحيد - ولاسلامهم وايمانهم بالله
وبرسوله ولتركهم للاوثان وعبادتها وعبادها بالرغم
من أنه نشأ في وسط المجوسية وعبادة النار، ولكن الله
أراد له السعادة الابدية والنجاة السرمدية فساقه
الى حمى الاسلام، وسئل يوما عن نسبه فأجاب (أَنَا
أَبْنُ الْإِسْلَامِ)

أصله من بلاد الفرس ومن بلدة تسمى « رام
هرمز » وقيل انه من « جَيِّ » وهي مدينة بناحية (أَصْفَهَانَ)
المشهوره وكان اسمه قبل اسلامه « مَآبِيَهْ بِنَ بُوذَخْشَانَ »
وكان مجوسيا - بحكم بيئته وقومه - ممن يعبدون النار،
كما كان سادنها وخادمها الذي يزودها بالحطب حتى
لا تخمد والقائم عليها وكان سبب اسلامه ما أخبر
به - هو - نفسه عبد الله بن عباس رضی الله عنهم

أجمعين ، قال ابن عباس حدثني سلمان الفارسي وأنا
أسمع من فيه قال كنت رجلا من أهل فارس من أَصْبِهَانَ
من قرية يقال لها (جَيِّ) ابن رجل من دَهَاقِينِهَا ، وقال
كان أبي دهقان (I) أرضه وكنت أحب خلق اليه
وفي رواية أحب عباد الله اليه فأجلسني في البيت
كالجواري فاجتهدت في المجوسية حتى كنت (قَاطِنَ
النَّارِ) الذي يوقدها ولا يتركها تخبو - تطفأ - ساعة
وكانت لابي ضيعة - مزرعة - وكان له بنيان يعالجه ،
فقال لي يوما يا بني قد شغلني ما ترى فانطلق الي
الضيعة ، - وأمرني ببعض ما يريد - ولا تحتبس عني ،
فانك ان احتبست عني كنت أهم الي من ضيعتي وشغلتنى
عن كل شيء من أمرى قال فخرجت لذلك فمررت
بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت فيها أصواتهم
وهم يصلون فملت اليهم وأعجبني أمرهم فقلت
هذا والله خير من ديننا فأقمت عندهم حتى غابت
الشمس ، لا أنا أتيت الضيعة ، ولا رجعت اليه
فاستبطاني وبعث رسلا في طلبى وقد قلت للنصارى
حين أعجبني أمرهم أين أصل هذا الدين ؟ قالوا
بالشام فرجعت الي والدى فقال يا بني قد بعثت
اليك رسلا فقلت مررت بقوم يصلون في كنيسة
فأعجبني ما رأيت من أمرهم وعلمت أن دينهم خير من
ديننا ، فقال يا بني دينك ودين آبائك خير من دينهم ،

(1) الدهقان بكسر الدال وضمها والجمع دهاقنة هو رئيس الاقليم
أو شيخ القرية العارف بالفلاحة وبمصالح الارض .

فقلت كلا والله فخافني وقيدني بالحديد ، فبعثت الى
النصارى وأعلمتهم ما وافقنى من أمرهم
وقصته المذكورة فى كتاب « دلائل النبوة » للامام
البيهقى وفى غيره

سلمان الفارسى يبحث عن حقيقة العقيدة والدين الصحيح

هذا سلمان الفارسى فى رحلة زمانية ومكانية طويلة
وشاقة محفوفة بالمخاطر والاهوال وفى نهايتها
يبلغ مراده بعد أتعاب ومشاق وأهوال قال سلمان
وسألتهم - النصارى - اعلامى بمن يريد الشام
ففعلوا قال فألقيت الحديد من رجلى وخرجت معهم
الى الشام فسألتهم عن عالمهم ؟ فقالوا الاسقف
فأتيته فأخبرته وقلت له أكون معك أخدمك وأصلى
معك فقال أقم فمكثت مع رجل سوء فى دينه
وكان يأمرهم بالصدقة فاذا أعطوه شيئا أمسكه لنفسه،
حتى جمع سبع قلال مملوءة ذهباً وورقا - فضة - فتوفى
فأخبرتهم بخبره فزبرونى - زجرونى - فدلتهم على
ماله فصلبوه ولم يغيبوه ورجموه (فقد كان هذا
الراهب يسرق الاموال باسم الدين فجازوه جزاء
الخائن للامانة فما أولى بهذا الحكم وما أحقه بالتطبيق
على خونة هذا الزمان باسم الدين) قال سلمان وأجلسوا
مكانه رجلا فاضلا فى دينه ، زهدا ورغبة فى الآخرة

وصلاحا فألقى الله حبه في قببي حتى اذا حضرته
الوفاة قلت له أوصني فذكر رجلا بالموصل كانا
على أمر واحد حتى هلك فأتيت الموصل فلقيت
الرجل فأخبرته بخبري ، وأن فلانا أمرني بالاتيان اليك ،
فقال لي أقم فوجدته على أمره وسبيله ، حتى حضرته
الوفاة ، فقلت له أوصني فقال ما أعرف أحدا على
ما نحن عليه الا رجلا بِعَمُورِيَّةَ - بلدة في أرض الروم -
- الشام - ، فأتيته بِعَمُورِيَّةَ فأخبرته بخبري فأمرني
بالمقام عنده واكتسبت فاتخذت غَنِيمَةً وَبَقَرَاتٍ
فحضرته الوفاة فقلت له الى من توصي بي وبم
تأمرني ؟ فقال أي بني ، والله لا أعلم أحدا اليوم على
مثل ما كنا عليه ولكن قد أظلك زمان نبي يبعث بدين
ابراهيم « الحنيفة » يخرج بأرض العرب مُهَاجِرُهُ
بأرض بين حَرَّتَيْنِ بينهما نخل وبه آيات وعلامات
لا تخفى بين منكبيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ولا يأكل
الصدقة فان استطعت أن تلحق بتلك الارض فافعل

ثم استمر سلمان في سرد قصته - العجيبة - وهداية
الله له الى الاسلام الحنيف الذي رحل من أجله هذه
الرحلة الطويلة في الزمان والمكان بحثا عن الحقيقة
الى أن ظفر بمبتغاه قال سلمان فتوفى ذلك الرجل
الصالح - وهو الثالث ممن صحبهم سلمان - من أجل
البحث عن الدين الحق والعقيدة الصحيحة ، ومضى
ركب من العرب من قبيلة (كلب) فقلت لهم أصحبكم
وأعطيكم بقراتي وغنمي هذه وتحملوني الى بلادكم

فحملوني الى وادى القرى (I) قال سلمان فظلموني
وباعوني عبدا من رجل يهودى فرأيت النخل
فعلمت أنه البلد الذى وصف لى فأقمت عند الذى
اشترانى وقدم عليه رجل من بنى قريظة فاشترانى
منه وقدم بى الى « المدينة » فعرفتها بصفتها فأقمت
فى « رِقِيَّ » معه أعمل فى نخله ، **وبعث الله نبيه محمدا**
صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ما أقام وعقلت عن
ذلك ، حتى قدم المدينة فنزل فى بنى عمرو بن عوف ،
فانى لفى رأس نخلة اذ أقبل ابن عم لصاحبى فقال
أى فلان قاتل الله بنى قَيْلَةَ (2) مررت بهم أنفا وهم
مجتمعون على رجل قدم عليهم من مكة ، يزعم أنه نبي
فوالله ما هو الا أن سمعتها فأخذنى **العرواء** - الرعدة
من الحمى والبرد - ورجفت بى النخلة حتى كدت أن
أسقط ونزلت سريعا فقلت ما هذا الخبر ؟ فلكنى
صاحبى لكمة شديدة وقال وما أنت وذاك ؟ أقبل على
شأنك فأقبلت على عملى حتى أمسيت فجمعت شيئا
فأتيته به وهو بقباء عند أصحابه فقلت له اجتمع
عندى شىء أردت أن أتصدق به فبلغنى أنك رجل
صالح ومعك رجال من أصحابك ذوو حاجة فرأيتكم
أحق به فوضعت بين يديه فكف يده وقال لأصحابه
كلوا فأكلوا فقلت هذه واحدة - يعنى من أمارات

(1) وادى القرى قال فيه ياقوت هو واد بين المدينة والشام من

أعمال المدينة كثير القرى

(2) بنو قبيلة هم الانصار ، وقبيلة اسم امرأة وهى أم الاوس والخزرج

نبوته - ورجعت وتحول الى المدينة فجمعت شيئاً
فأتيته به فقلت أحببت اكرامك فأهديته لك هدية
وليست بصدقة ، فمد يده فأكل ، وأكل أصحابه ، فقلت
هاتان اثنتان ، ورجعت ، فأتيته وقد تبع جنازة في بقيق
الفرقد وحوله أصحابه فسلمت وتحولت أنظر الى
الخاتم في ظهره ، فعلم ما أردت ، فألقى رداءه ، فرأيت
الخاتم فقبلته وبكيت فأجلسني بين يديه فحدثته
بشأنى كله كما حدثتك يا ابن عباس فأعجبه ذلك
وأحب أن يسمعه أصحابه قال سلمان ما فاتنى من
الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بدر
وأحد ، فقد فاتانى بسبب الرق ، لانى كنت عبداً مملوكاً
لليهودى

سلمان يكتب عن حرته :

لأن الحرية مبدأ أساسى فى الاسلام :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الحرية
والتحرر من ربة الرق والعبودية لغير الخلاق العليم
وهذا هو المبدأ الاسلامى الاساسى فى الدعوة بل وفى
حياة المسلمين كلها والحرية مبدأ أساسى فى الاسلام
فالانسان ولد حراً فينبغى أن تبقى له حرته هذه
وتصاحبه طول حياته كى يتمتع بها اذ هى هبة له من
الله خالقه ورازقه ومدبر أموره كلها فاذا طرأ عليها
طارىء الرق والعبودية بأى أسلوب كانت هذه العبودية،

أسرع الاسلام وتشريعه الربانى الى فك رقبتة من قيود العبودية من أجل هذا شرع الاسلام تحرير الرقبة فى الكفارات وفى غيرها من سبل البر والخير والاحسان الى الناس وخاصة الضعفاء منهم والحرية مطلب مهم فى التشريع الاسلامى وقد ذكرت هذه الآية وجها من ذلك ، فى قوله تعالى « **فَلَا أُقْتَعَمَ الْعَقَبَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكُّ رَقَبَةٍ ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَيْمَنِهٖ** » (١) لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسلمان : **(كَاتِبٌ يَا سَلْمَانَ عَنْ نَفْسِكَ)**. فالقرآن يحض المسلمين ويحثهم على ما فيه الخير لبنى الانسان كلهم فى هذه الآيات الثمانية على فك الرقبة - تحريرها - من قيد العبودية الى ميدان الحرية أو اطعام البطون الجائعة فى أيام المجاعة المهلكة - وهى المسغبة - لليتامى والمساكين ويزيد على ما ذكر ايمان وتصديق بالله وبرسوله وبكل ما جاء من لدن رب العالمين مع رحمة وعطف على النفس وعلى عباد الله أجمعين ملأت القلب وصيرته زينة للنفس اذ بدونها لا يساوى قلامة ظفر

فبهذه المذكورات هنا وبغيرها من خصال الخير من كل ما جاء فى الشرع الاسلامى يمكن اقتحام عقبة يوم

(1) سورة البلد .

القيامة ولا عقبه هنا وإنما المراد بها الشدائد يوم
القيامة والحساب الذى سيحاسبه العباد ، وهو أمر شديد
يشبه صعود العقبة الصعبة الصعود وهى عقبه شديدة
الاقتحام لا يعرف الانسان حقيقتها ويكفيه دلالة على
شدة يوم القيامة وما يقع فيه من الالهوال أن الله عبر
عنه هنا باقتحام العقبة لما فيه من الشدائد والالهوال
على ضعفاء الايمان أو عادمية فقد ذكر أهوال يوم
القيامة الشديد بلفظ العقبة لان صعود العقبة شاق
ومتعب لا يستطيعه الا اقوياء الابدان - وهو هنا
الايمان - الاشداء فيه فكذلك الحساب يوم القيامة
وهو آت لا ريب فيه سواء آمن به بعض البشر أو
جحدوه ، وهو يوم الوقوف بين يدى الرب الواحد القهار
المعبود بحق فى ذلك اليوم المشهود وتلك العقبة
الكؤود الشاقة والصعبة الصعود فلا يستطيع تخطى
هذه العقبة الا الصالحون والصادقون

نعود الى سرد قصة صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم سلمان الفارسى حيث استقر به المقام
بالمدينة المنورة بعد أن حظى بمراده وبلغ مناه بعد
تلك الرحلة الطويلة التى قطع فيها سلمان « مئات
الاميال لينال ما جاء من أجله وهو جائزة سنية للحياة
الحقة وذلك فى اعتناقه للاسلام ومشاهدته وصحبته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأى مكسب خير من
هذين المكسبين العظيمين ، غير أن حظه هذا لم يكن سهلا
ميسورا فقد كلفه ذلك ما كلفه من أتعاب وأوصاب ،

فقد فقد - زيادة عما ذكر - حرিতে الشخصية من أجل ذلك الى أن أعادها اليه الاسلام ولم يخف الله فيه من صحبه من وطنه ذلك الى أرض العرب ، فاسترقه واستعبده وهو حر ابن أحرار على ما كان سائدا في ذلك آلمان المظلم بظلام الجاهلية الاولى وباعه من التجأ اليه في مسيرته تلك لليهود أعداء الله والحرية وعباد المادة والمال وهم أشرار خلق الله وتاريخ الانسانية عامر بمآسيهم المحزنة ومآمراتهم الخسيصة، وفسادهم في الارض قلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر سلمان بتحرير رقبتة - بالمكاتبة - ونزع قيد الذل والعبودية عنه، فقال له الحبيب محب الحرية والتحرر كما أخبر سلمان نفسه ، قال ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي : (كَاتِبُ يَا سَلْمَانَ عَنْ نَفْسِكَ). قال سلمان فلم أزل بصاحبى - يعنى مالكة اليهودى - أسأله وأطلب منه المكاتبة ، حتى كاتبنى على أن أغرس له ثلاثمائة وقيل خمسمائة (ودية) - صغار النخل - فسيلة - وهى الجبارة أو الزمرة كما يسميها عندنا فى الجزائر أهل غراسة النخيل لا زراعة النخيل فالنخيل تفرس ولا تزرع مضافا الى الثلاثمائة «ودية» أربعين أوقية من الذهب على هذا المبلغ من الذهب والغراسة المذكورة تم الاتفاق بين سلمان ومالكة اليهودى وهو مبلغ باهظ يطلب من رجل فقير لا مال عنده وغريب عن هذه الديار ولا أهل له يعينونه على أداء ما أبرم بينه وبين اليهودى وهو من جنس الدين

لا يرحمون سواهم ولكنه ثمن « العرية » والحرية
يبدل فيها كل ما يمكن بذله من جهد ومال وأنفس
ثلاثمائة - فسيلة - وأربعون أوقية ذهباً ، ثمن كثير
وأخبر سلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بما تم
الاتفاق عليه مع اليهودى الجشع قال سلمان : فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله
عنهم أجمعين (أَعِينُوا أَخَاكُمْ) قال سلمان فأعانوني
بالخمس والعشر نخلات صغيرة حتى اجتمع عدد
الثلاثمائة بفضل هذا التعاون من الصحابة وبفضل أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بمد يد المعونة لآخيتهم
سلمان على فك رقبتة وقيده من ذل العبودية قال
سلمان فقال لى الرسول صلى الله عليه وسلم : (إِذْهَبْ
يَا سَلْمَانَ فَقَهْرًا - احفر - لها ، وَلَا تَضَعْ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى
أَضَعَهُ أَنَا بِيَدِي) فقال سلمان ففعلت ما أمرنى به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعاننى أصحابى على
الحفر حتى فرغت فأتيته فكنت آتية بالنخلة فيضعها
ويسوى عليها تراباً فانصرف - والذى بعثه بالحق -
فما ماتت منها واحدة وبقي الذهب فبينما هو
قاعد إذ أتاه رجل من أصحابه بمثل بيضة الدجاجة من
ذهب أصابه من بعض المعادن وقيل من بعض الغزوات
فقال (ادْعُ لِي سَلْمَانَ الْمَسْكِينِ الْفَارِسِيِّ الْمَكْتَابِ ، فَلَمَّا
جِئْتُهُ قَالَ : ادِّهْهِ) فقلت يا رسول الله وأين تقع
هذه مما عليّ ، قال (خذها فإن الله سيؤدّي بها عنك) .

قال سلمان فأخذتها فوزنت لهم منها - والذى نفس
سلمان بيده - أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها

وبهذا التعاون الاسلامى تم عتق رقبة سلمان
الفارسى وخرج للدنيا حرا طليقا حرا مثل عباد الله
الاحرار وكما رأينا فقد شارك فى تحرير سلمان
ثلة من الصحابة بالتعاون وأمامهم امامهم الرسول
العظيم صلى الله عليه وسلم فقد بذل لسلمان ما أعانه
على الوفاء بما التزم به لمالكه اليهودى أعانه بعرق
جبينه الشريف حيث كان يفرس له بيده الطاهرة كل
(وَدِيَّةً جَبَّارَةً) فصلحت كلها ولم تيبس منها واحدة

هكذا كان ويكون التعاون بين المسلمين لا فرق بينهم
فى المعاملة الحسنة كلهم يتعاونون على فعل الخير
وليس هناك مثال - وكم له من أمثال - أدل على هذا
التعاون من مشاركة خير الخلق أجمعين فى عمل شاق
فيه تحرير رقبة « عبد من فارس ذلك أن الاسلام
يعتبر المسلمين كلهم اخوة بلا فرق فى العرق
والجنس ليت المسلمين رجعوا الى تشريع شريعتهم
وألغوا ما استوردوه من فضلة قوانين وضعية وضعها
الكفرة بالله ، زرعت بينهم الحسد عن التعاون والبغضاء
والانانية وحب الذات وهذه كلها أمراض تصيب
المجتمع فتعوقه وتقتل فيه روح التعاون ليتهم يفعلون
هذا فيسعدوا وينعموا بحياتهم هذه فقد كفاهم ما هم
فيه من التفرق والتدابر والتناحر والتخاذل الشنيع
وهذه الامراض الاجتماعية نتيجة لتلك الامراض ،

ولكنهم ابتعدوا - كثيرا - عما هم مطالبون به والله
الموفق للخير والهداية فعتق سلمان بهذا التعاون
وخرج من الرق حرا يتمتع بحياته ، كما يتمتع بها
الاحرار يعبد ربه كما يشاء ويريد ويتبع رسول
الله كما يحب أن يتبعه من غير أن يمنعه مانع ، ويزوره
كما يشاء بلا خوف ولا اختفاء عن أعين الرقباء هذه
هى الحرية التى دعا اليها الاسلام وطبقها فى أيام حكم
القرآن لا حرية الكفر والفجور والفسوق والعصيان
والالحاد التى يتبجح ويفتخر بها بعض الحكام الذين
ابتليت بهم الشعوب الاسلامية فقد قهروا المسلمين
بظلمهم وطفيانهم باسم الحرية وفتحوا الباب على
مصراعيه لمن لا دين له ولا ذمة يرعى حقوقها فعاثوا
فى الارض فسادا وزرعوا فى شعوبهم بذور الشرور
والتفرقة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد ومنعوا
حرية الرأى والقول والتعبير فلا يسمح لاحد أن يتكلم
أو يكتب أو ينشر على الناس الا ما وافق أغراضهم
وأهواءهم وما فيه مصالحهم الخاصة بهم ولو كان فى ذلك
هلاك الوطن والامة معا فى حين تركوا الملحدون وذوى
الاخلاق السيئة يقولون ما يريدون أن يقولوه ، وينشرون
على الناس ما ظهر لهم أن ينشروه والويل لمن كتب فى
الاسلام أو تعرض لفضائله وأحكامه هذا ما رأيناه
منتشرا فى غالب الاوطان الاسلامية بالقول وبالفعل ،
وهذه احدى النكبات التى أصابت الشعوب الاسلامية
بعد تحررها من الاستعمار الكافر بفضل الاسلام

فانقلب بعض حكامهم على الاسلام وصاروا له خصوما
والبعض منهم تحول - بعد فوات الاوان - الى مسلم
شديد التمسك بالاسلام يدعو اليه ويعترف بفضله عن
غيره من أنواع الحكم ، بعد ان وصفه بـ « البالى » وسمى
القائمين بالاسلام والداعين اليه والمدافعين عنه
بالرجعيين ! ولولا الاسلام لما وصل هؤلاء الى
ما وصلوا ! فصار حالنا شبيها بحال من
كان يعيش فى القرون الوسطى المظلمة بظلام الجور والذل
والقهر وقد أغلقوا أبواب مقر حكمهم الحديدية فى
وجوه المظلومين وبذلك أثبتوا أنهم لا يصلحون للحكم
بين الناس ونسوا موقفهم يوم القيامة - وهو آت لا بد
منه - بين يدي أحكم الحاكمين وسيحاسبهم على أعمالهم
وهو اسرع الحاسبين وصاروا لا يقبلون النصيحة من
أى أحد كان واذا ضاعت الحقوق فى الدنيا فانها
لا تضيع يوم القيامة ، وتكلمة لروح التعاون التى كانت
بين المسلمين أقول قد روى أبو الطفيل عن سلمان
الفارسى قال أعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيضة من ذهب ، فلو وزنت بأحد - الجبل - لكانت أثقل
منه

من هو المكاتب وما هى الكتابة ؟ ؟

الكتابة عقد يبرم ويتم بين السيد المالك وعبد
المملوك له ، فهى عقدة بيع وشراء واتفاق بينهما على

مبلغ من المال يدفعه العبد لسيدته فإذا دفعه له خرج من عنده حراً فلا تكون له سلطة عليه ، وهذا نوع من أنواع العتق فالعبد المملوك يشتري رقبتة من سيده ومالكة ليزيل عن نفسه عناء العبودية وذلكها وشقاءها، يمنح السيد عبده فرصة للعمل خارج نطاق ملك سيده فيعمل الببد بالاجرة ويأتيه بالقدر السدى يحصله منها ويدفعه له فإذا تم دفع المبلغ المتفق عليه بينهما حرر العبد نفسه بنفسه كما فعل سلمان مع مالكة اليهودى بإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كان العمل جارياً فى السابق من الزمان أيام كانت العبودية والعبيد ومن تتبع التاريخ القديم أدرك مدى الغاية التى يرمى إليها الاسلام فى تشريعه لهذه الاحكام التى ترمى الى الحرية والتحرر، سواء كان هذا بالكتابة أو بتحرير الرقاب ، كما فى الكفارات أو بالعتق لله وفى سبيل الله والكتابة المذكورة باب من أبواب الفقه الاسلامى

وقد رغب القرآن الكريم فى الكتابة هذه وحث المسلمين عليها وطلب من المالكين تسهيلها وتيسيرها على عبيدهم اذا علموا فيهم خيراً كصلاح فى الاقوال والاعمال أو قدرة على كسب المال أو ليتفرغوا لشؤونهم الخاصة كزواج وجهاد وتعلم حرفة ، الى غير هذا مما يزيد فى قوة المسلمين فإذا طلبها العبيد من مالكيهم أعطوها لهم ومكنوهم منها كما فعل مالك سلمان - اليهودى - وغيره من السادة

المالكين للعبيد وهذا كان شائعا في العصور القديمة،
وقد دعا اليها الله جل جلاله ورغب فيها فقال
« وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، فَكَاتِبُوهُمْ
إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ، وَأَتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ » .
سورة النور من الآية 33 .

فآلية فيها ترغيب للمسلمين على منح الكتابة
لعبيدهم وتسهيل ذلك عليهم بل ما هو أكبر من ذلك،
فقد أمر باعانتهم بالمال على ذلك سواء كان المال من
مال السيد الخاص به أو من مال الجماعة الاسلامية
كمال الزكاة مثلا وهذا حق لهم مقرر من الله وموجود
في مصارف الزكاة الثمانية اذ هذه الاعانة على
التحرر احدى الواجه الثمانية وهى فى قوله تعالى
« وَفِي الرِّقَابِ » فتلخص من هذا أن العبد المملوك
يشترى نفسه من سيده بمال يؤديه له حسب الاتفاق
الذى يتم بينهما ويكون بدفع ذلك المال حرا وسيدا
لنفسه ولا سلطة لاحد من الناس عليه ، وهذه هى الكتابة
شرعا

هذا ما أراده الرسول صلى الله عليه وسلم لصاحبه
« سلمان الفارسي » حين طلب منه أن يكتب ماله
اليهودى وعلى هذا أعانه بالمال - الذهب - وغرس
النخيل حتى فك رقبتة من سيده اليهودى الذى اشتراه
هو بالمال أيضا كما تقدم وهذا باب معتبر من أبواب
الخير والاعانة عليه كما هو باب من أبواب الفقه
الاسلامي له شروطه وأحكامه المقررة له .

ونلاحظ هنا : أن الرق – والعبودية بالمعنى القديم –
قد زال من العالم الحاضر ، لانعدام الجهاد الشرعى
فقد خلفه رق من أنواع أخرى ، وهو أخطر وأفظع
وأشد على النفس البشرية من الرق القديم ، والمعروف
أن ذلك هو رق الافكار والعقول والمشاعر ، فقصد
استولى عليها رن الالحاد الذى نشر سلطانه على ضعفاء
المقيدة ووجد الوسائل الكفيلة ببلوغه الى مراده ومنه
استرقاق الحكومات القوية – كأريكا وروسيا – لبعض
الشعوب وحكوماتها الضعيفة فجعلتها تابعة ومسخرة
لها تسير فى فلکها لا تملك لنفسها أمرا ويضاف الى
ذلك نوع آخر كرق حب المال والشهوات ، ومن المعروف
أن الرق أو العبودية لا يوجد الا فى أوساط الضعفاء ،
فيتسلط عليهم بقوته غير أن الضمير الاسلامى لازال
يقظا – والحمد لله – فالالحاد مثله مثل السارق الذى
ينتهز فرصة غفلة رب البضاعة أو التمتع ليستحوذ
عليها ومن سوء طالعه التعميس أن تيقظ له هذا
الضمير فانتبه لما يريد هذا اللص الخبيث ، فصاح
به مستعملا كلمة كنا نسمعها من بعض الصبيان وقت
اللعب فى صفرهم مع بعضهم البعض أو من بعض
الرجال من معترفى – السياسة – فى أيام مجدهم
السياسى وارتفاع صيتهم فى غفلة من الزمان ، فاذا
أرادوا الرجوع الى كسب ما فقدوه من مناصب كانوا
عبثوا فيها وداسوا بها الكرامة والمبادئ صاح بهم
أبناء الشعب الذى سخروا منه أولا مرددين هذه الكلمة،

وهي قولهم لهم (فاقوا بكم) . - ومعناها انتبه الناس
لما تريدون - هذا ما يقوله المسلم - اليوم - لدعاة
الالحاد والشهوات وعبيد المال

اذن فليمن بعضنا البعض على التحرر من عبودية
الشهوات ، وعقائد الزيغ والضلال والالحاد اذ عبودية
الرقاب قد انتهى زمنها وذهب غير مأسوف عليه
وخلفته عبودية الشهوات ورق المال اللذين صيرا
الاحرار عبيدا

ان سلمان الفارسي قد شارك المسلمين في حياة
النضال والجهاد من أجل العقيدة الصحيحة بعد ان نال
حرите بكتابه ، فقد اندمج في حياة الصحابة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وشارك في كل الغزوات معهم
بعد التحرر ، ولم يفته من تلك الغزوات الا غزوتا بدر
وأحد وبعض المناوشات لانه كان عبدا رقيقا مملوكا
لسيده والمملوك لا جهاد عليه وأول غزوة شارك فيها
هي غزوة (الخندق) لانه تحرر من الرق ولم يتخلف
عن مشهد من المشاهد بعدها وسميت بغزوة الخندق
لان سلمان الفارسي هو الذي أشار على الرسول صلى الله
عليه وسلم بحفره اذ العرب كانت لا تعرفه فهو من
تنظيمات الدول الحربية .

روايته للحديث

روى سلمان عدة أحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم منها قوله عليه الصلاة والسلام (لَا يَغْتَسِلُ الرَّجُلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يَفْرَقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْآخَرَى) أخرجه الامامان أحمد والبخارى ، وروى عن سلمان رضى الله عنه أنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (هَلْ تَدْرِي مَا يَوْمُ الْجُمُعَةِ ؟ قَالَ : قُلْتُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ آبَاكُمْ أَوْ أَبَاكَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، مَا مِنْ عَبْدٍ يَتَطَهَّرُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَقْضَى الْإِمَامُ صَلَاتَهُ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً بِمَا قَبْلَهَا) .

وقد أحب الرسول صلى الله عليه وسلم صاحبه سلمان وشاهد ذلك الحب قوله عليه الصلاة والسلام فيه (سَلْمَانٌ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ) فهذا وحده كاف في منزلته عنده ، وروى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ الْجَنَّةَ لَتَشْتَاقُ إِلَيَّ ثَلَاثَةً : عَلِيٍّ ، وَعَمَّارٍ ، وَسَلْمَانَ) وفي رواية أربعة بزيادة المقداد ، أخرج الاول الترمذى والحاكم ، وأخرج الثانى الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية .

وكان سلمان رضي الله عنه مسن خيار الصحابة
وزهادهم وفضلائهم ومن ذوى القرب من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها كان
لسلمان مجلس من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالليل حتى كان يغلبنا على رسول الله ، وسئل علي رضي
الله عنه عن سلمان فقال (**عِلْمُ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمُ
الْآخِرِ ، وَهُوَ بَعْرٌ لَا يَنْزِفُ ، وَهُوَ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ**) .
وقال الذهبي فى (سير اعلام النبلاء) سئل على عن
سلمان فقال (**مَنْ لَكُمْ بِمِثْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ ؟** وقال
فيه أيضا **أَذْرَكَ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ وَالْعِلْمَ الْآخِرَ ،
بَعْرٌ لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ ، وَهُوَ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ**) .

مكانة سامية ودرجة عالية فى أسرة الرسول صلى
الله عليه وسلم يصل اليها سلمان ، فهو رجل من الفرس
غريب عن العرب يلحقه الرسول العربى بأسرته
وعشيرته (**سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ الْبَيْتِ**) ما ذاك الا لرابطة
الدين التى تمحو فوارق العرق والوطن واللون
وتثبت رابطة العقيدة التى قوت هذه الصلة الروحية
التي شرعها الرسول الكريم بنفسه لامته ، وهذا لم
يكن فى غير الاسلام الى يومنا هذا ولن يكون أبدا
والى أبد الأبدىين - ان شاء الله - وهذا من فضل الله
على الانسانية كلها والحمد لله رب العالمين وقد
أهملت هذه الرابطة الحكومات الاسلامية فى وقتنا
الحاضر ، وجعلت مكانها التجنس بجنسية الدولة ، لمن

أراد أن يكون مواطننا في تلك الدولة المسلمة ، له حق الإقامة والعمل فيها سبحانه الله ، ما هذا ؟ فقد ألغيت جنسية العقيدة والشريعة الواحدة التي تجمع بين أبناء الملة الواحدة فوطنهم واحد أينما كانوا ووجدوا فوطنهم العقيدة الواحدة وعوضت بقوانين من وضع البشر الحقيير وشتان بين ما شرعه الله وما شرعه البشر لانفسهم من القوانين الوضعية وهي اخوة العقيدة

أخوة الاسلام :

ما بين سلمان الفارسي ، وأبي الدرداء العربي :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين المهاجرين والانصار ، ومن بين من آخى بينهم سلمان الفارسي وأبو الدرداء العربي كما آخى بين المهاجرين والانصار ، سكن أبو الدرداء الشام ، وسكن سلمان العراق ، فكتب أبو الدرداء من الشام الى أخيه سلمان المستقر بالعراق يقول له أخى سلمان سلام عليك ، أما بعد فان الله رزقنى بعدك مالا وولدا ونزلت الارض المقدسة فكتب اليه سلمان من العراق ، يقول أخى أبا الدرداء سلام عليكم أما بعد فانك كتبت الى ان الله رزقك مالا وولدا ، فاعلم ان الخير ليس بكثرة المال والولد ، ولكن الخير أن يكثر حلمك ، وأن ينفعك علمك وكتبت الى تقول انك نزلت الارض المقدسة ، وأن الارض لا تعمل لأحد ، فاعمل لكأنك ترى ، واعدد نفسك من الموتى .

زُهدُه في الدنيا :

جاء في الاخبار أن حذيفة قال لسلمان ألا نبني لك بيتا؟ قال له سلمان لم؟ لتجعلني ملكا وتجعل لي دارا مثل بيتك الذي بالمدائن؟ قال لا، ولكن نبني لك بيتا من قصب ونسقفه بالبردي، إذا قمت كاد أن يصيب رأسك وإذا نمت كاد أن يصيب طرفيك، قال فكأنك كنت في نفسي

وكان عطاء سلمان - وهو ما يأخذه من بيت المال - خمسة آلاف فاذا خرج عطاؤه فرقه في الفقراء والمساكين وأكل من كسب يده وكان يسف الخوص - أي ينسجه - ليجعل منه المكاتل وغيرها

وهو الذي أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة المنورة حين تحزبت عليه الأحزاب وهم (كفار قريش والمنافقون واليهود) الذين أتوا لغزو المدينة سنة أربع من الهجرة وعمل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه بعد أن عمل بإشارة سلمان عليه بحفره، وقد شارك أصحابه في العمل، كما هو مذكور في محله فكان الخندق واقيا للمدينة من زحف الأحزاب عليها وبه سلمت من هجوم الأحزاب عليها بقواتهم الوافرة، وعددهم الضخم **أما** قيس بقوة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وهي مكيدة حربية غير معروفة عند العرب في ذلك الزمان، فإلى سلمان يرجع فضل سلامة المدينة من فساد

اليهود والمنافقين والمشركين فلم تقع حرب فيها ، كما قال الله تعالى في سورة الاحزاب « وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » حيث رجع الاحزاب على أعقابهم خاسرين وخاسئين ، اذ سلط الله عليهم ريحا قوية وشديدة أسقطت قدورهم من فوق أثافيتها المنصوبة عليها ، كما اقتلعت وأسقطت عليهم قوائم خيامهم التي كانت تحملها وألقت الرمال والأتربة عليهم وقد أفرعهم ما رأوه واقعا ونازلا بهم في لحظة قليلة فأسرعوا بالعودة من حيث أتوا هاربين فارين ، وهذا من نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الداعى الى الله وحده، فلا حرب فيها ولا قتال وكان اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لما أشار به سلمان عليه بحفر الخندق نجاحا له لم يكن متوقعا على الاحزاب وانتصارا باهرا لرسوله الكريم فقد جاؤوا بنية الغزو والفساد للبلاد والعباد فكانت الخيبة والهزيمة من نصيبهم الذى غنموه وعادوا به الى ديارهم ، وهذا من صنع الله ، لحماية دينه ووقاية رسوله من شر الغزاة المفسدين ولما عمل رسول الله باشارة سلمان (فى حفر الخندق) ولما رأى فيها من أنها وسيلة من وسائل الحماية والوقاية للمسلمين ، ادعى كل من الانصار والمهاجرين نسبة سلمان اليهم، فقال المهاجرون سلمان منا ، وقال الانصار : سلمان منا فقال الرسول صلى الله عليه وسلم « سَلْمَانٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ » أخرجه الحاكم والطبرانى عن عمرو ابن عوف .

رواة الحديث عنه :

روى عنه الحديث كثير من الصحابة منهم عبد الله ابن عباس وأنس وعقبة بن عامر وأبو سعيد وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين عن سلمان قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يَا سَلْمَانَ لَا تَبْغِضْنِي فَتُفَارِقَ دِينَكَ ، قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ أَبْغِضُكَ وَبِكَ هَدَانَا اللَّهُ ؟ قَالَ: تَبْغِضُ الْعَرَبَ فَتُبْغِضُنِي) أخرجه الامام أحمد والترمذى والحاكم عن سلمان . فالى بعض الجهال ممن يدعون الاسلام نسوق هذا الحديث .

ثناء الرسول صلى الله عليه وسلم عليه :

فضيل الله البعض من عباده على غيرهم بفضائل ظهرت فى أعمالهم وسلوكهم ومما سلف علمنا فضل سلمان الفارسى الذى دفعه حبه للدين الصحيح والعقيدة السليمة وبحثه عن الحق الى المخاطرة بحياته، والى المفامرات التى خاضها من أجل البلوغ الى غايته التى قطع فى سبيلها الفيافى والقفار ولم ينشأ أن ينعم بنعيم الحياة الدنيا مع أبيه الذى كان يحبه حبا عظيما وبين أهله وعشيرته التى كانت تجله وتقدره لما يقوم به من أعمال دين قومه وعقيدتهم ونارهم المعبودة من دون الله رب العالمين وهذا توفيق من الله لهذا الرجل الصالح

وتلك الغاية التي هام بها ومن أجلها هي الوصول الى الشرب من معين الدين الحق الذي دله عليه الراهب النصراني المسيحي الذي لازمه مدة لاخذ الدين عنه ، فاستجاب سلمان لنداء ضميره وما تصبر نفسه اليه ، لذا - وحده - فارق أسرته التي نشأ بين أحضانها ، وترك ذلك العطف والمحبة والحنان الذي كان يحبوه به أبوه ، كما أخبر به هو نفسه ، فارق ذلك كله بحثا عن الحقيقة وقد ساقه الله الى قوم فيهم المحسن والمسيء حتى بيع على أنه عبد مملوك والواقع أنه حر الى أن بلغ مراده ، واستقر في - يثرب - مدينة الرسول قبل أن يهاجر اليها فسبقه سلمان وهذا من علامات السعادة التي أنعم الخالق بها على هذا المسلم والمؤمن الصادق الذي تعلق قلبه بالرسول صلى الله عليه وسلم حسبا وصفه له آخر من صحبه من رهبان النصارى ، وعاش صحبة الرسول الكريم ، وقد أحبه وقربه اليه وحباه من فضله وبره وقديما قيل (لَا يَعْرِفُ الْفَضْلَ إِلَّا ذَوُوهُ) وقيل أيضا في القديم

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

ومما جاء في الثناء عليه ما أخرجه الامام الترمذى فى جامعه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوما : « وَإِنْ تَوَلَّوْا

يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» سورة محمد
صلى الله عليه وسلم الآية 38 قالوا ومن يستبدل
بنا؟ قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
منكب سلمان ثم قال (هَذَا وَقَوْمُهُ) قال الامام
الترمذى بعد أن ساق هذا الحديث هذا حديث غريب،
وفى اسناده مقال ، وفى رواية فضرب على فخذ سلمان
وقال (هَذَا وَأَصْحَابُهُ)

وجاء فى صحيح الامام البخارى من كتاب التفسير
عند الكلام على سورة الجمعة عن أبى هريرة رضى الله
عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم
فأنزلت عليه سورة الجمعة ، وفيها قوله تعالى « وَآخِرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْعَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ». قال قلت من هم؟
يا رسول الله فلم يراجع حتى قالها ثلاثا وفيما
سلمان الفارسى فوضع يده على سلمان ثم قال
(لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ
هَؤُلَاءِ) . وجاء فى صحيح الامام مسلم - ج 16 بشرح
النوى - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال (لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثَّرِيَّا
لَذَهَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ ، أَوْ قَالَ : مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ
حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ) ومن طريق أخرى (كما تقدم عن
الترمذى فى جامعه) عند مسلم أيضا وفى نفس الجزء
عن أبى هريرة أيضا قال : كنا جلوسا عند النبى صلى

الله عليه وسلم ، اذ نزلت عليه سورة الجمعة ، فلما قرأ
« **وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ** » . قال رجل من هؤلاء
يا رسول الله ؟ فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم
حتى سل مرتين أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي ،
قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان
ثم قال (**لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثَّرِيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِّنْ
هَؤُلَاءِ**) .

بينت هذه الاحاديث الشريفة فضل سلمان الفارسي
وفضل الشعب الذي ينتسب اليه انه شعب يحب الدين
والايمان ويكثر من البحث والاستقصاء للحقائق ،
ولا يكتفى بالقشور الفارغة دون اللب العامر بالفوائد
والخيرات .

قد عرفنا السبيل الذي سلكه سلمان الفارسي ، وهو
سبيل شاق وطويل ، للوصول الى حقيقة الدين الصحيح ،
والمصاعب التي كابدها واعترضت سبيله في رحلته
الطويلة ، فقد تنقل في حياته الدينية بين المجوسية
- دين آبائه - والمسيحية التي فضلها أولا على المجوسية ،
والتي عاشها سنوات بحثه عن الدين الحق وتنقل من
أجلها فيما بين الشام والعراق الى أن وصل الى الغاية
من تلك الرحلة الشاقة والطويلة في الزمان والمكان ،
وليس هذا بالامر السهل على كل أحد ، لو لم يكن له
الصدق في الطلب ، والعزم في السعي ، والهمة العالية ،

والرغبة الصادقة لما بلغ مراده رضى الله عنه
ورزقنا همة كهفته وعزما كعزمه وايماننا مثل ايمانه،
انه السميع المجيب ولله در من قال (وهو على بن أحمد
النعمي) فى القديم من الزمان

إِذَا أَظْمَأْتِكَ أَكْفُ اللَّئَامِ كَفَّتْكَ الْقَنَاعَةُ شَبْعًا وَرِيًّا
فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى وَهَامَةٌ هَمَّتِيهِ فِي الثَّرِيَّا
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَا ةِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْمُحَيَّا

فقد حفظ التاريخ لبعض الرجال من الشعب الفارسى
خصائص قل أن وجدت فى غيرهم من قديم الزمان
سواء فى ميدان العلوم أو الحضارة ، وهو الشعب الذى
لا يقل عن بقية الشعوب الاسلاميه تمسكا بدينه وعقيدته
بل ربما فاق البعض منها فى بعض المواقف والاحظ
هنا (بأننى عربى مسلم ولست شعوبيا فلا يظنن
ظان غير هذا فيهلك مع الهالكين) وفى هذا التاريخ
المحفوظ أسماء لامعة لبعض العلماء العظماء ، سواء فى
اللغة العربية أو فى التفسير وعلوم القرآن أو فى
علوم الحديث أو فى العلوم العقلية وقد شاركوا
بمجهوداتهم الفكرية فى الثقافة الاسلاميه فلا ينكر
فضلهم الا الحسود والجهول ومن هنا تظهر خصائص
الدين الاسلامى الحنيف البعيد عن سوس السياسة
المتحيزة ووسواسها الخناس وشيطانها المرين اذ
لا طائفية ولا عنصرية فى الاسلام ، فكل المسلمين اخوة ،
أبناء دين واحد وعقيدة واحدة ، ولا عبرة فيه لتباين

لغاتهم ولهجاتهم وهذه هي الاخوة الاسلامية التي تقاوم نزعات شياطين الانس والجن ، فتدفعها بعيدا عن الساحة الاسلامية الطاهرة حتى لا تفسدها ، فيجب على المسلمين الصادقين أن يراعوا هذه الاخوة - دائما - وليحذروا تسرب تلك النزغات والنزعات الشيطانية الى صفوف البعض ممن يدعون الاسلام ، فانها تفسد ما بين الاخوة ، وتفرق الجماعة المجتمعة ، وتوهن القوى ، ومن أجل هذه الآثار السيئة التي تتركها تلك العصبية الجاهلية في الجماعة الاسلامية حاربها الاسلام ونبه كما هو معلوم لمن درسه بتجرد عنها من ذلك ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم (في غزوة المريسيع) عند ما سمع الانصارى يستنجد بالانصار ، والمهاجر يستغيث بالمهاجرين قال (مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ ؟ دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ) ، فالاستنصار بالعصبية القبلية والطائفية خبيثة العنصر والمادة ، تؤول بالجماعة الواحدة الى الفرقة والعداوة فرائحتها خبيثة ، وما تتركه في الامة شر كبير ، لا يميل اليها ، ولا يرضى بها الا الاشرار والمفسدون الذين سيؤول أمرهم الى تفريق الجماعة ، اذا عملوا بها واستجابوا لسيطانها لانها من دعوى الجاهلية التي نهى عنها المسلمون بعد أن دخلوا في الاسلام وقد وجد فيها أعداء الاسلام وسيلة فعالة لتفريق الامة الاسلامية بطوائفها المتعددة فالمفرور والجاهل بالعواقب من استجاب لهم وعمل بقولهم ذلك أن عواقبها تؤدي الى الفرقة والتشتت ، ثم الى الضعف

والوهن - وهذا ما يريده اعداء الاسلام - كما جاء في حديث « الحارث الاشعري » رضى الله عنه الذى أخرجه الامام أحمد فى مسنده والترمذى فى جامعه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال (**إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرَ يَعْنِي بِنَ زَكْرِيَاءَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِي نِصْفِهِ الْأَوَّلِ ، وَجَاءَ فِي نِصْفِهِ الْآخِرِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : وَأَنَا أَمَرْتُكُمْ بِخَمْسِ أَلْفِ أَمْرٍ نَبِيٌّ بِهِنَّ : السَّمْعُ ، وَالطَّاعَةُ ، وَالْجِهَادُ ، وَالْهَجْرَةُ ، وَالْجَمَاعَةُ ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قَيْدَ شِبْرٍ ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ ، وَمَنْ أَدْعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ ، فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ ؟ قَالَ : وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ - وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ - فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ ، عِبَادَ اللَّهِ) . (صحيح الترمذى ج 10) ، وقال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب .**

وذكر الامام ابن قيم الجوزية فى كتابه « الوابل الصيب » بعد أن ساق الحديث بطوله قال فذكر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث العظيم الشأن - الذى ينبى لكل مسلم حفظه وتعقله - ما ينبى من الشيطان وما يحصل للعبد به الفوز والنجاة فى دنياه وأخراه) انتهى كلام ابن القيم

ان الهدف الذى يرمى اليه الاسلام ويدعو المسلمين اليه - وهو المعتبر فى حياة الافراد والجماعات - انما هو العقيدة والتدين والصلاح والاستقامة ونقاوة السريرة ، من غير نظر واعتبار الى النسب علا وارتفع ،

أو نزل وتدلى ومن هذا المنطلق والاعتبار ما ذكره
الامام الذهبى فى (سير أعلام النبلاء) عن معمر عن
قتادة قال كان بين سعد بن أبى وقاص وبين سلمان
شئ فقال له سعد انتسب يا سلمان (يريد اذكر
نسبك) - وفى طلب سعد هذا لمزة - فقال سلمان
ما أعرف لى أباً فى الاسلام ، ولكن (سلمان ابن الاسلام)
فله در سلمان فى هذا الجواب فقد قال المسلم القديم
قبله مفتخراً بأسلامه تاركاً لمن يفخر بالعظام البالية
النخرة والى من يجرى وراءها فى ميدانهم ما أرادوه
أَبِي الْإِسْلَامِ لَا أَبِي سِوَاهُ * إِذَا أُفْتَخِرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمٍ

فبلغ ما قاله سعد لآخيه سلمان الى أمير المؤمنين عمر
ابن الخطاب ، فلقى عمر سعداً ذات يوم ، فقال له عمر
انتسب يا سعد ، فقال سعد لعمر أنشدك بالله يا أمير
المؤمنين (قال وكأنه عرف ما أراد عمر من انتسابه)
فأبى عمر أن يدعه ، حتى انتسب ، ثم قال له عمر لقد
علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم فى الجاهلية ، وأنا
عمر ابن الاسلام أخو سلمان ابن الاسلام ، ثم قال
له عمر أما والله لولا شئ لعاقبتك

فما أعدل الاسلام وما أطيبه ، وما أعدل عمر فى
حرصه على سلامة الاسلام واطمئنان الغرباء عن العرق
العربى الى نسبتهم اليه فلا عيب عليهم ،
ولا حيف ولا ظلم يلحقهم اذا كانوا خارجين
عن النسب العربى ، فهم والمغرب سواء

فى النسبة اليه لان الاسلام دين الله الى كل البشر ،
لا الى العرب وحدهم وكذلك محمد صلى الله عليه
وسلم بعثه الله الى الناس كافة بشيرا ونذيرا فلا
يفتخروا بهما - الاسلام ومحمد - عن غيرهم فهما لمن
اتبعهما وعمل بما جاء به ، وقد غرس عمر حب الاسلام
فى القلوب الحية ، ثم اوضح لسعد ما يفيد به بأن الافتخار
بالاجداد المشركين لا يكسب المسلم العز والفخر بل
الهبوان والمذلة ثم قال له او ما علمت أن رجلا انتمى
الى تسعة آباء فى الجاهلية فكان عاشرهم فى النار ؟

فعمر رضى الله عنه يشير بقوله هذا الى الحديث الذى
أخرجه الامام أحمد فى مسنده - وانفرد به - عن
أبى ريعانة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
(**مَنْ أَنْتَسَبَ إِلَى تِسْعَةِ آبَاءٍ كُفَّارٍ يُرِيدُ بِهِمْ عِزًّا وَكِرْمًا
فَهُوَ عَاشِرُهُمْ فِي النَّارِ** » . **أَوْ كَانَ - عَاشِرَهُمْ فِي النَّارِ -**
كما جاء فى بعض طرق الحديث

بهذه الروح الاسلامية النقية التى لا تحب الفخر
بالآباء المشركين ، ظهرت الاخوة الاسلامية بأجلى مظاهرها
ولا ترضى بذلك الانتساب المشين والافتخار المهين
- أن يتسرب ويتغلغل فى صفوف أبناء الدين الواحد
والامة الواحدة اذ ما يرمى اليه عمر هو ما دعا اليه
الاسلام وحث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم
فأمير المؤمنين عمر أراد للمسلمين أن يتحلوا بحلية
الاخوة الاسلامية البعيدة عن الفخر والاعجاب بالانساب

الجاهلية فهم اخوة في الاسلام متساوون في كل شيء
لا فرق بين عربى وعجمى الا بقدر طاعة الله ، والعمل
بالاسلام وللإسلام ، ومن غير اللائق بهم أن يتناول منهم
أحد على أحبه ، بنسبه أو بعرقه لان هذا من شأن
الجاهلية المشتركة الاولى ومن أعمالها ، فهو موقف صلب
هذا الذى وقفنا عمر مع قائد من قواد المسلمين - وهو
من الصحابة أيضا - المشهورين بالشدة فى الحروب ،
(سعد بن أبى وقاص) من غير أن يجامله - كما يفعل
نحن - على حساب الدين والمبادئ أو بغض الطرف
عنه لانه من حزبه ، أو كان تحت امرته وقيادته ، فما
أحسنك يا تربية الاسلام

فسعد بن أبى وقاص أراد أن يفتخر بنسبه العربى
الجاهلى على سلمان الفارسى ، فرده عمر الى الصواب ،
والى ما يجب أن يكون عليه مع رجل هو أخوه فى الدين
والمقيدة جاء من وطن بعيد فى رحلة طويلة وشاقة ،
استغرقت مدة من الزمن وقطع فيها آلاف الاميال يطلب
الهداية والنور والحقيقة ، فلا يليق بصاحب الاخلاق
الاسلامية أن يهينه أو يحتقره ، وهو الذى كان أبناء
شعبه الفرس يحترمونه لانه كان سادن معبودهم - النار -
وخادمها القائم عليها حتى لا تخبو ولا تطفأ قال فيه
الذهبي فى (سير أعلام النبلاء) وكان لبيبا حازما ، من
عقلاء الرجال وعبادهم ونبلائهم ، وقد رأينا كلمة عمر
فى تركه للافتخار بأصله الجاهلى ، وافتخر بالاسلام

تطمينا لخاطر سلمان وردا على ما طلبه سعد من سلمان ،
وتلك هي الحقيقة التي جنح اليها عمر فقال عمر
(وأنا عمر ابن الاسلام)

وللعلاقة الاخوية التي كانت بين سلمان وأبي الدرداء
رضي الله عنهما ، وهي الاخوة التي جعلها بينهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ذكر أهل السير عن
يحيى بن بن سعيد أن أبا الدرداء نزل في الشام - كما
تقدم ذكره - وكتب الى سلمان النازل بالكوفة - كما
مر - يقول له أن هَلُمَّ الى الارض المقدسة ، فكتب اليه
سلمان ان الارض لا تقدر أحدا ، وانما يقدر المرء
عمله وقد بلغني أنك جعلت طبيبا - يشير سلمان الى
منصب القضاء الذي كان يشغله أبو الدرداء بين الناس -
فان كنت تبريء فنعم لك ، وان كنت متطببا - دعيا -
فاحذر أن تقتل انسانا فتدخل النار ، فكان أبو الدرداء
اذا حكم بين اثنين ثم أدبرا عنه نظر اليهما وقال
(مُتَطَبِّبٌ وَاللَّهِ إِزْجَعَا أَعِيدَا عَلَيَّ قَضَيْتُكُمَا) أو قستكما .

وفاته :

قال أهل العلم عاش سلمان ثلاثمائة وخمسين سنة ،
وقيل مائتين وخمسين سنة على خلاف في مدة حياته
وقال أبو نعيم كان سلمان من المعمرين . وتوفي سلمان
رحمه الله ورضي عنه سنة خمس وثلاثين للهجرة ، في
آخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقيل أول سنة ست

وثلاثين ، وقيل غير هذين ، وقال الواقدي مات سلمان
في خلافة عثمان بالمدائن سنة ثلاث وثلاثين وقيل
ست وثلاثين ، ولم يحضر وقمتي الجمل وصبين ، رحمه
الله ورضي عنه ، ورزقنا حبه والقدوة الحسنة لسلفنا
الصالح ، أنصار العقيدة الإسلامية ، وعمدة الدين



كلمة ختامية - فيها عبرة وذكرى لكل عبد منيب :

بأمثال هؤلاء المؤمنين المستضعفين الصابرين على
البلاء والعذاب ظهر الحق وزهق الباطل وانتصر
العدل على الجور والظفيان واندحر الظلم والباطل
والفساد فاستنارت البصائر المظلمة ، وأشرقت على
عالم الانسان شمس اليقين وفي هذا السعادة كل
السعادة والطمأنينة كل الطمأنينة فبعثت أرواح
بنى آدم بعثا جديدا فحلت في أجسامها بعد أن سكنتها
أرواح مردة شياطين الوثنية وطهرت من خبث
الطوية

وبمثل هؤلاء الاخيار الطيبين أمكن رفع لواء التوحيد
عاليا وخفاقا وجد السير به سيرا حثيثا ومتواصلا
أشواطا تتبعها أشواط الى أن أشرقت شمس المسيرة
الاسلامية على أحياء الاحرار ومحبي معاشره الاحرار
الاخيار فأنارتها بنور اليقين بعد ظلام دامس في أيام
الشرك ولياليه تلك التي امتدت عبر أزمان غابرة ،
قطعتها الانسانية في جهالة جهلاء فلما حان موعد
الحياة الحقيقية الصالحة بالانسان قال الله الخالق
المدير الحكيم لرسوله محمد العظيم « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ

يَا حَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا « (1) وقال له « لَتُنذِرَ قَوْمًا
 مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ « (2) وقال له : « وَلَكِنْ
 رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ « (3) . وقال له « لَتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ
 مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ « (4) .

فيمثل هذه النفوس الخيرة التي كونها وصانها
 الاسلام والتي مر بنا شيء يسير من مواقفها الصلبة ،
 في صف الحق واليقين ضد الباطل والفساد تحول
 اتجاه الانسانية ، وبمثلهم تطهرت الارض من رجس
 الوثنية ، وأقذار الباطل والضلال ، لا باولئك المتكبرين
 والمذبذبين الخوارين ضعاف الايمان أصحاب الوجوه
 المتلونة كـ - الحرباء - التي تعطى للشمس، لونا
 وللظل لونا آخر غير لون الشمس

اولئك المذبذبون الذين مرجت نفوسهم ، وضعفت
 عقائدهم ، فتراهم واقفين تارة الى جانب الحق ساعة
 ظهوره وقوته ، وتارة اخرى تنقلهم الريح - اذا هبت -
 الى جانب الباطل ، حين يقوى - مؤقتا - فيكونون لسانه
 وسمعه وبصره ، اذا لزم الامر ولاحت المصلحة الذاتية
 من بعيد ، فطائفة من البشر مثل هؤلاء ، لا تحسب لا في

(1) سورة البقرة ، آية 119

(2) سورة يس ، آية 6

(3) سورة القصص آية 46

(4) سورة السجدة ، آية 3 .

الغير ولا فى النفير فوجودهم وعدمهم سواء ، فلا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم أما أصل العقيدة وما تتطلبه من الوقوف الى جانبها اذا حاربها خصومها وما يقتضيه ذلك الموقف فهذا شىء آخر بحسب الظروف والملابسات ، فهم مع الحق فى زمن ظهوره ومع الباطل فى ساعة عتوه وجبروته ، والفضل يرجع - دائما - لاهل الصدق والوفاء فهم أنصار الدين المتمسكون بعقيدتهم الاسلامية

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم كان لا يميل الى الجبايرة والطفاة الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون بل كان يحب الفقراء ويميل اليهم فهم فى الغالب يصبرون على ما ينالهم ولا يخافون على أموالهم أن تضيع أو تنقص ، ولا على مناصبهم أن تنزع منهم ، بل كان يجالسهم ويعطف عليهم ، وقد ضرب المثل الاعلى فى هذا وكان يقول (**اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَتَوَفَّنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ**) .

أما الطفاة والجبايرة الذين يأنسون من أنفسهم نوعا - ما - من القوة فانهم يترفعون - جهلا وغرورا - عن اخوانهم الضعفاء ، فكم وكم من نصيحة قدمها ، وكم من توجيه وجههم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقائد المسلمين فلم يعباوا به ، فأصابهم ما يصيب المعرضين عن نصائح الرسل الكرام ففكر قليلا - أيها المسلم - فى قوله عليه الصلاة والسلام ، فيما أخرجه

البخارى عنه صلى الله عليه وسلم حين قال (**وَهَلْ تَنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعْفَائِكُمْ**) والضعفاء اذا دعوا الله لينصر المسلمين استجاب لهم - اذا اخلصوا - واذا استرزقوه رزقهم ، ولا كذلك المتكبرون والمتجبرون فانهم لا يتواضعون لله ولهم أعمال تخالف وصايا الشرائع السماوية وهذا شأن الكثير منهم ، وقليل فيهم الصلاح والتقوى .

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم وجهه ربه هذا التوجيه ، وأدبه هذا التأديب البعيد عن تأديب الخلق ليكون مثالا صالحا للاخذ عنه والاقتراء به ، وخسر حياته من لم يأخذ حظه من أخلاقه وسجاياه الحميدة ومع هذا التوجيه والتأديب فقد حاول جبابرة قريش أن يخرجوه من صف المساكين ساعة من الزمن ليخلو بهم وحدهم دون مشاركة الضعفاء لهم ، غير أن الله عصمه وحفظه مما أرادوه منه ، وأمره بمجالسة الفقراء ، ومن أراد من الاغنياء أن يجالس الرسول مع الفقراء فله ما أراد بلا تخصيص ولا امتياز ، اذ ليس فى الاسلام تفضيل طبقة من الناس على طبقة أخرى الا بتقوى الله كما قال « **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** » ، فشرعية الاسلام شريعة العدالة والمساواة ، وبهذا تمتاز عن غيرها من الشرائع

جاء فى سنن ابن ماجه عن خباب بن الارت فى سبب نزول قوله تعالى : « **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ**

وَالْعِشِيِّ ، يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ،
وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ
الظَّالِمِينَ ، سورة الانعام الآية 52 قال جاء بعض
كفار قريش (منهم الاقرع بن حابس التميمي ، وعيينة
ابن حصن الفزاري قبل أن يسلم) الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريدون الجلوس معه ، فلما رأوه
جالسا مع الفقراء الضعفاء أمثال خباب بن الارت
وبلال وعمار بن ياسر وصهيب الرومي وسلمان
الفارسي الخ نفرّوا منهم ولم يرغبوا في الجلوس
اليه في مجلس واحد مع هؤلاء الضعفاء ، واحتقروهم
لضعفهم وفقرهم فأتوه واختلوا به وقالوا له نحن
نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب
فضلنا ، فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب
مع هؤلاء الاعبد فاذا جئناك فأقمهم عنك فاذا نحن
فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا فاكتب
لنا عليك كتابا قال فدعا بصحيفة ودعا عليا ليكتب
ونحن قعود في ناحية ، فنزل جبريل من قبل رب العالمين ،
على رسوله الامين بهذه الآية « **وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ**
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ
مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ،
فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ » فكف وترك ما عزم
على كتبه اجابة لرغبة عظماء قريش يا لها من تربية
ربانية لرسوله الحبيب اليه ، فنسبه ربه الى الظلم ان هو
أبعد الفقراء عن مجالسته لحظة من الزمن ليتفرغ فيها

الى عظماء المشركين المتجبرين ، الذين يأنفون من مجالسة القراء ثم أشار الى ما رغب فيه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن (قبل أن يسلم) فقال الله بعد تلك الآية : « وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ، لِيَقُولُوا : أَهَؤُلَاءِ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ؟ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ؟ » ثم قال تعالى في هذا السياق التربوي الاسلامي « وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ » ، سورة الانعام الآيتان 53 - 54 .

وبعد هذه التربية الربانية لرسوله الكريم الحريص على نشر الاسلام قال خباب بن الارت فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس معنا ، فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا ، فلما أنزل الله عليه الآية 28 من سورة الكهف وهي قوله تعالى « وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (أي لا تجالس الاشراف الكفرة) ثم قال : وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا - عيينة والاقرع - وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا » ، قال خباب فكننا نقعد مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم

هذه حياته صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة قبل الهجرة أما بعدها فقد تحول الحال وتبدلت العلاقات ، وأسلم الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن ، وصار

الاشراف والفقراء والاعنياء طبقة واحدة بفضل الروح الاسلامية التي بثت فيهم الحب لبعضهم والاخوة فيما بينهم وسارت في نفوسهم تقضى على كل فوارق الجاهلية

فقضية التمييز بين الناس بحسب مراتبهم أو طبقات الاشراف والاراذل قضية قديمة بقدم الانسان، لكن الاسلام أبطل التعامل على حسب تلك الفوارق المجحفة ، التي جعلها الانسان لنفسه وليعلو بها على أخيه وأثبت - الاسلام - أن الفرق بينهما يكون بما لا اجحاف فيه ، فهو يرى أن عمل الانسان هو الذي يرفعه أو يضعه والى هذا يشير القرآن حيث قال « وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » وقال « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى » ان الاسلام ينظر الى النفوس والاعمال لا الى الذوات والانساب فان اشراف الناس هم اشراف النفوس والهمم ولو كانوا فقراء وأن اراذل الناس وأنزلهم قيمة هم اراذل النفوس والهمم ، ولو كانوا اغنياء بنسبهم وأموالهم ولم يخل زمان ولا مكان منهما ، فالاشراف لا يظلمون الناس لشرفهم فهم سراة القوم وأعيانهم ، لهذا كانوا يختارون للحكم بين الناس وللمناصب العالية فالامة التي تختار من بين أفرادها النخبة الصالحة من أبنائها للسياسة والرئاسة تسعد وتنال ما تتمنى من الحياة العزيزة الكريمة وكذلك الحكومة المختارة من بين أفراد الامة الذين جمعوا بين النفس الشريفة والخلق الكريم ، فانها تشرف

وطنها وتعلی رأسه بین الاوطان والعكس بالعكس
أما أراذل النفوس فانهم يُبَعَّدُونَ عن الحكم والسياسة
والرئاسة ، لما فى نفوسهم من النقص والخسة والرذيلة ،
وهذا مجرب صحيح كما يقول أهل الطب وقديما
قال الشاعر العربى

لَا يَضْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ
وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهِلَهُمْ سَادُوا

وقال آخر

إذا كان الغراب دليل قوم * يمر بهم على جيف الكلاب
وللمناصب والولايات فى الشريعة الاسلامية موازين
ومقاييس ، وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمتة العاملة بشرع الله أن ترعاها وتطبقها إذا أرادت
الخير والمنفعة للدين والوطن ، ومنها قوله صلى الله
عليه وسلم : (مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ عِصَابَةٍ ، وَفِيهِمْ مَنْ
هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ) .
أخرجه الامام أحمد والحاكم ، وقال عليه الصلاة
والسلام (مَنْ وَلى مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَرَ عَلَيْهِمْ
أَحَدًا مُعَابَاةً ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا
وَلَا عَدْلًا) واختلف فى معنى الصرف والعدل ، فقيل
الصرف التطوع والعدل الفرض وقيل الصرف
التوبة ، والعدل الفدية ، وقيل غير هذا وعلى كل حال
فهو تهديد لمن لا يعدل فى ولايته أو توليته لموظفى
مصالح المسلمين وقال أيضا عليه الصلاة والسلام

(إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صَدَقٍ إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنِّهِ) .
أخرجه أبو داود والبيهقي في شعب الأيمان عن عائشة رضي الله عنها ولما أهمل هذا الاعتبار الاسلامي في اختيار الموظفين للمناصب ساء الحال وتدهورت الاوضاع و « ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ » .

نعود الى موضوعنا السابق في حق أولئك الضعفاء من الصحابة ، وهم صهيب ، وخباب ، وبلال ، وعمار ، وسلمان وفضائلهم كثيرة ، وغيرهم من الصحابة أيضا ، وقد عاتب الله نبيه فيهم في آيات من القرآن كقوله « وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ » الى قوله تعالى « وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ » الآيات من 51 الى 58 من سورة الانعام وقد سبق بعضها

وذكر ابن عبد البر في كتابه « الاستيعاب » في ترجمة صهيب قال ان أبا سفيان مر على سلمان وصهيب ، وبلال ، وغيرهم من ضعفاء الصحابة - وكانوا قعودا - فقالوا ما أخذت السيوف من عنق عدو الله - كان هذا قبل أن يسلم - مأخذها فقال لهم أبو بكر أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدها ؟ ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بالذي قالوا ، فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم (يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ؟
وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ ، لَقَدْ أَغْضَبْتَ
رَبِّكَ) . فرجع اليهم أبو بكر فقال لهم يا اخوتى لعلى
أغضبتكم ؟ فقالوا له يا أبا بكر يغفر الله لك

وبالجملة ففضائل الصحابة كثيرة ، فلهم فضل السبق
الى اجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبدلوا
دماءهم وأموالهم فى سبيل الله ، وفى معاربة الباطل
الذى تجسم فى الشرك والالحاد فى حين أعرض عنه
وعنها ذوو القوة والبطش من صنايد قريش وأعيانها ،
وهذه حقيقة قديمة ، فالضعفاء هم أنصار الرسل والدين
فى كل زمان ومكان ، والقرآن ذكر لنا ما قاله قوم نوح
- مثلا - لنوح عليه السلام ، فقد أرادوا أن يعيبوا عليه
دعوته وينقصوا من قيمتها - فى نظرهم - ويحتقروها
بقياسهم قيمتها بقيمة أتباعها والمؤمنين بها والمعتنقين
لها ، حين قالوا له « وَمَا نَرَاكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ
أَرَادُوا بِآدَانَا بَادِيَ الرَّأْيِ » أما المدركون للحقائق التاريخية
والمتتبعون لما جرى من الاحداث فى الزمن الماضى ، فانهم
عرفوا أن بعض الضعفاء هم أنصار الحق - دائما -
كما عرفوا صدق رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ،
بِاتِّبَاعِهِ ، من أمثال « ورقة » بن نوفل وهرقل ملك
الروم ، والنجاشى ملك الحبشة وغيرهم ، فقد ذكر
التاريخ أن « هرقل » اغتنم فرصة وجود ركب تجارى
فى الشام من العرب ، فيهم أبو سفيان بن حرب ، جاؤوا
للتجارة ، فبعث اليهم واستدعاهم اليه ، وسألهم عن

الرسول الجديد الذى ظهر فيهم ذلك حين سأل هرقل
كبير قريش أبا سفيان بن حرب عن أتباع محمد صلى الله
عليه وسلم ليدرك من خلال هذا حقيقة هذا الرسول
وهل هو صادق فى دعواه أو هو كاذب ، فأجابه أبو سفيان
- وهو يدس فى جوابه انتقاصا - فى زعمه - فى حق
الرسول صلى الله عليه وسلم - فقال هرقل لابي سفيان
فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فقال بل
ضعفاؤهم ففهم هرقل الحقيقة من جوابه فقال
لابي سفيان هم أتباع الرسل فظهرت الحقيقة من فيه
من غير أن يشعر ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان غالب من اتبعه فى أول بعثته من ضعفاء
الناس من الرجال والنساء والعبيد والاماء والفقراء ،
ولم يتبعه من الاشراف الا القليل مثل أبى بكر رضى
الله عنهم أجمعين فهذه حقيقة تاريخية قديمة بقدم
الزمان والرسالات لا تتغير وهذا مبنى على أن ذوى
العقائد الصحيحة المبنية على الايمان الصحيح تلفيهم
لا يترفعون عن الحق حين يعرفون أنه حق ويدعون
اليه بدون مكابرة ولا عناد لان نفوسهم مستعدة الى
تصديقه واتباعه والعمل به وبما جاء به والانقياد الى
ما يأمرهم به وبهم انتصر الحق على الباطل فى كل
زمان ومكان ويصعب عليهم التحول عما آمنوا به ،
وما سبق من مواقف ضعفاء الصحابة شاهد على هذا
فهم بالرغم من العذاب الشديد والاهوال المظنينة
ومحاولات كفار قريش لهم على تركهم عقيدتهم ودينهم ،

كل ذلك لم يرحزهم عنها وبهم انتشر الاسلام وعم نوره الآفاق فكل الوسائل التي اتخذها كفار قريش ضدهم رجعوا بها خاسرين ، فلم يفرهم مال ، ولم يصدهم عن دينهم وعقيدتهم تهديد ولم تشرئب أعناقهم الى بريق المناصب والوظائف ولا الى غرض آخر من الاغراض ، ولا الى أى حظ من حظوظ النفس الرخيصة ، بل همم الوحيد نشر الدين وحماية العقيدة من أعدائها الكثيرين ، رحمهم الله ورضى عنهم ورزقنا القدوة بهم ، لنكون مؤمنين حقا كما يجب علينا أن نكون

الى هنا أقف عن السير فى خط هذه الفصول التى حررتها لتكون لنا ولاخواننا - وبالاخص - ولشبابنا ذلك الشباب الناهض الواعى لواجباته الدينية والوطنية مثلا صالحا للسير على نهجه القويم لا لذلك الشباب المذبذب الذى لم يعرف فى سلوكه واجباته فراح يتحول من مبدا الى مبدا كالكورة بين أرجل اللاعبين بها اقدمها للشباب الصالح لحمل المسؤولية ولتكون له مثلا يصلح للسير على هداه ، فتنبههم الى مواقف ثابتة صلبة ، وقفها سلفهم فى وجه المشركين والظالمين والطفاة فلم يلينوا فيها ولم يهنوا فى مقاومة الشرك ولم يضعفوا فأعلنوها كلمة صريحة مدوية انهم أتباع الحق وأنصار التوحيد ، وان كانوا تألموا فى أبحاثهم من عذاب المشركين وهمجيتهم فانهم لم يتألموا فى ضمائرهم ونفوسهم وقد قال لهم خالقهم (إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ، وَكَانَ

اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) . الآية 104 من سورة النساء تلك
الضمائر والنفوس التي سقاها الخالق العليم من ينبوع
الايمان الصافي من كل الاكدار فأحيها بعد ما أماتها
قحط الشرك والضلال ، فنقلها من عالم الموتى وأصناف
الجمادات الى عالم الكائنات الحية والمفكرة في مصيرها
المنتظر فنزل غيث الايمان عليها فطهرها من أوساخ
وأقذار طال بها الامد عليها، وهي تعلق أجسام البشرية،
فنسيت بها هذه البشرية المصدر الحقيقي لوجودها
وحياتها ودوامها وتشبثت بنخوط الاوهام التي هي
أوهى من نسيج العنكبوت ، لا تغنيها عن جبل الله المتين
شيئا فذلك الذي لاح لها من قبل سراب خادع وأمل
ضائع غر الكثيرين ممن لم يعتصموا بجبل الله المتين،
اذ لا بد للانسان من البحث عن الحقيقة لاتباعها تلك
الحقيقة التي فيها نجاة الانسان المفكر مخافة أن يتعثر
في سلوكة للدروب الجبلية الصعبة وكثيرة التعاريج
المملوءة بالاشواك التي تعطل السائر فيها عن بلوغ
المرام فان تلك الدروب كثيرا ما أضلت سالكيها
وألقت بهم في الهاوية وما أدراك ما الهاوية فقد
أدرك الله بالايمان والهداية اليه نفوسا سبق في علمه
أنها مهيأة للايمان به وبوجوده وبأنه المصدر الوحيد
لكل موجود ، تجلت فيه عظمة الخالق وقدرته وارادته
فصدقت به الها واحدا لا شريك له فهو رب كل شيء ،
سبحانه ما أبدع صنعه وما أجل وأعظم قدرته
وما أوسع علمه ، وحلمه وعفوه ، لم يعجل بعقاب

الجاحدين له والمنكرين لربوبيته فأرسل رسله لخلقهم لينبهوهم الى أنه لا اله الا هو فمن صدق به فله الرضا والجزاء الاوفى ومن أنكر وكفر فعليه الغضب والعقاب والبوار ، وسوء المنقلب والمصير فكان منقلبه الى نار السعير ، « وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا » وأنزل على خاتم رسله وأمره بان يقول لعباده « وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ » وقال « ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ، لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ، قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيضٍ .»

سورة الانعام ، الآيات 102 - 103 - 104

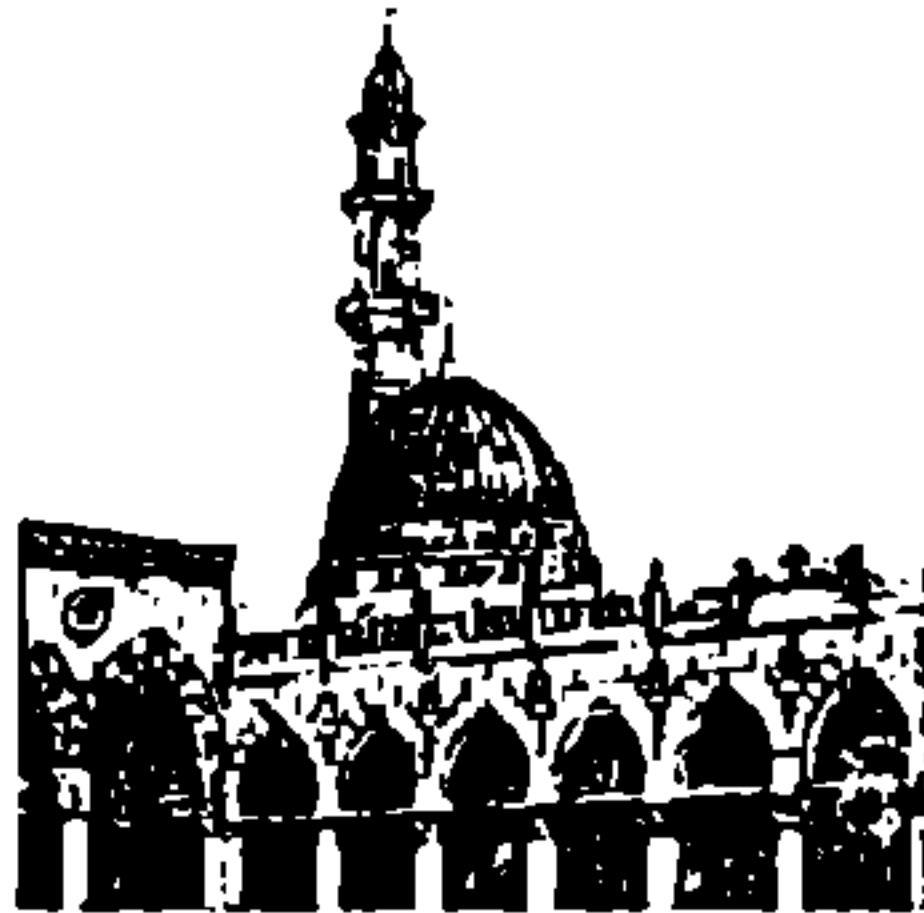
وقال عليه الصلاة والسلام : (اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَسْتَ بِإِلَهٍ اسْتَعْدَثْنَاهُ ، وَلَا بِرَبِّ ابْتَدَعْنَاهُ ، وَلَا كَانَ لَنَا قَبْلَكَ مِنْهُ إِلَهٌ نَلْبَأُ إِلَيْهِ وَنُنْذِرُكَ ، وَلَا أَعَانَكَ عَلَى خَلْقِنَا أَحَدٌ فَشَرِكُهُ فِيكَ ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ) .

ومما ورد في دعائه عليه الصلاة والسلام قوله (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ خَلِيلٍ مَآكِرٍ ، عَيْنَاهُ تَرِيَانِي ، وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا ، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَدَاعَهَا) .

اللهم عفوك نرجو ورحمتك نبتغي ، فلا تخيب رجاءنا فيك ، ومبتغانا اليك اللهم اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء ، اللهم ارحم آباءنا ومن سبقنا

بالايمان، وارحم جميع المؤمنين والمؤمنات، وتب على العصاة
من هذه الامة، اللهم واهد برحمتك وعفوك الضالين، وصل
اللهم وسلم وبارك على روح سيدنا محمد رسولنا وامامنا
من أنقذتنا به من نار الجحيم - ان شاء الله - اللهم
واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك
يا رب العالمين وسلام على المرسلين،، ورضاك عن
أنصارهم الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

وكان الفراغ من تحريره ضحوة يوم الاحد ثانی
أولی الجمادیین ، من عام واحد وأربعمائة وألف من هجرة
خير المهاجرين وأفضل الخلق أجمعين ، الموافق للثامن
من شهر مارس - آذار - سنة احدى وثمانین وتسعمائة
وألف ميلادية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



استدراك أخطاء

الصواب	الخطأ	سطر	صفحة
عليها حسابها	عليها كتابها	الاخير	13
قلما كبر	فلما كبر	2	119
انى قد كبرت	انى كبرت	2	119
ابتليت	ابتليت	15	119
فصعدوا	فصعدوا	9	120
رسول الله	رسول رسول	12	142
لله قال فأذن	لله فأذن	12	143
قلت	قلت	6	157
مكتسبة	مكتسية	12	194
بعضهم	بعضهم	20	203
خلق الله اليه	خلق اليه	4	212
بن	بن بن	7	243
الصعبة	الصحبة	15	257
		5	120

الخطأ حتى وقع شقاه ثم جىء بالغلام
الصواب حتى وقع شقاه عن دينك فأبى فوضع المشار فى مفرق رأسه فشقه به ،
 حتى وقع شقاه ثم جىء بالغلام

مواضيع كتاب (فى سبيل العقيدة الاسلامية)

3	الافتتاح
7	توجيه وارشاد
15	تمهيد
21	تقديم العقيدة
31	أى السبيل انفع لنشر العلم ؟
35	فصل الاستغال بالتأليف واغتنام العمر
39	الانسان وحقوقه فى هذه الحياة
43	العقيدة الصحيحة قوة للقلب وقوت له والمعذبون من أجلها
47	(1) سيدنا ابراهيم خليل الرحمن
48	لماذا لقب ابراهيم بالخليل
56	خليل الرحمن يبحث عن المعبود بالحق
59	خليل الرحمن يلقى فى النار من أجل عقيدته
67	محاجته لقومه المشركين
	(2) الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما أصابه من قومه
75	المشركين وأول من أظهر الاسلام
84	الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وحلف الصحيفة
90	اشتداد أذى المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم..
91	الرسول صلى الله عليه وسلم وقبيلة ثقيف فى الطائف
97	ياس كفار قريش من صده عن تبليغ دعوته
261	

- 99 عتبة بن ربيعة بين يدي رسول الله
- 103 كبار كفار قريش يستمعون الى القرآن سرا
- 107 ابو بكر يدافع عن الرسول صلى الله عليه وسلم
- 111 (3) اصحاب الاخدود في القرآن
- 118 اصحاب الاخدود في الحديث الصحيح
- (4) بلال بن رباح أحد المستضعفين المعذبين من الصحابة من أجل عقيدته
- 133
- 137 من هم اول من اظهروا الاسلام ؟
- 139 بلال أول مؤذن في الاسلام
- 141 بلال حائل العنزة
- 143 بلال لا ينكر أصله
- 145 رواية الحديث عنه وبعض فضائله
- (5) عمار بن ياسر واسرته
- 149
- 152 محنته وفتنته مع معذبيه
- 154 من بدل دينه الاسلام يجب قتله
- 157 بعض ما كان المشركون يعذبون به المؤمنين
- (6) سمية
- 161
- 163 بعض فضائل عمار بن ياسر ووفاته

167	(7) صهيب بن سنان الرومي واسلامه
169	صهيب يشتري هجرته ونفسه بكل ما يملك
172	بعض الاحاديث التي رويت عنه
176	نشاطه وخدمته للاسلام
177	كلمة حول عبد الله بن جدعان وكرمه
179	نعم العبد صهيب وعمل « لو » الشرطية
185	(8) خباب بن الارت
189	اسلام عمر بن الخطاب واثره في نشر العقيدة الاسلامية
192	وقفه اسنعراض وتقييم
200	تعذيب امشركين لخباب
203	رواة الحديث، عنه
211	(9) سلمان الفارسي
213	سلمان الفارسي ورحلته الطويلة في سبيل عقيدة التوحيد
216	سلمان الفارسي يكاتب عن حرите
223	من هو المكاتب ؟ وما هي المكاتبه ؟
228	روايته للحديث
230	اخوة الاسلام والعقيدة تضاهي اخوة النسب
231	زهده في الدنيا
233	رواية الحديث عنه وثناء الرسول عنه
243	وفاته
245	كلمة ختامية
263	

صدر للمؤلف

- كتاب «المزكية»

- كتاب «سهام الاسلام»





هَذَا الْكِتَابُ

○ العقيدة الإسلامية عقد أبرمه المسلم ببنه وبين خالفه، وأوثقه بالآيمان بكل ما أخبر به خالفه.

○ العقيدة الإسلامية هي العقيدة الصحيحة السالمة من الدخَل والغش والبهتان، فَتَكُونُ صاحبها نكوينا سلما فترقى روحه وتوصلها إلى الهدف الاسمى من هذه الحياة، " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ " وتجعل صاحبها ذامتل عليا وقوة عظيمة حتى يصير كأنه طود راسخ وعلم شامخ. وقليل هم أهلها وأقل منهم أنصارها.

○ وفي هذا الكتاب تجلّى العقيدة الإسلامية بأجلى تجلّياتها في نفر من أولئك الرجال الأبرار الزهراء، فيهم قام الحق وثبت وأرسى قواعده على الأرض الصلبة فرست فيبيت موافقهم في نصر الحق المذكورة فهي أنجع الأدوية في علاج أمراض البشريّة وأنجح الطرق والوسائل للكاملان النفسية.